تنبأ
نهائيات عمران
Papers of the Great Arab Revolt (3)
Maysaloun
End of a Regime

BY

Sobhi Omari

First Published in the United Kingdom in 1991
Copyright © Riad El-Rayyes Books Ltd
56 Knightsbridge
London SW1X 7NJ
U.K.

CYPRUS: P.O.Box: 7038 - Limassol

British Library Cataloguing in Publication Data
Omari, Sobhi
Maysaloun
End of a Regime
1. Arab countries. Social Life revolt, history
I. Title
909'.097927

ISBN 1855131110

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission in writing of the publishers

الطبعة الأولى: كانون الأول / ديسمبر 1991
المحتويات

11 مقدمة
12 مدخل
15 1 - تأسيس الدولة العربية
20 2 - المسرح السياسي
22 3 - توسيع الجيش
29 4 - إلغاء جيش الثورة
51 5 - حالة الشعب
60 6 - العودة إلى حلب
72 7 - الأحزاب والجمعيات السياسية
77 8 - من حرب إلى حرب
79 9 - خلال غياب فيصل
80 10 - المؤتمر السوري
99 11 - فيصل في أوروبا ثانية
109 12 - عودة الأمير وإعلان الاستقلال
121 12 - الانذار الفرنسي
133 14 - الأيام الحائرة
159 15 - خطة المعركة
160 16 - المعركة
192 17 - مغادرة دمشق
199 الخاتمة
216 فهرس الأعلام
"ميسلون، هي ولا شك، إحدى معارك العرب الحديثة، التي كثر الحديث حولها. واستمتع الزمن رمزاً، فعندما لم يسمح للمحتل أن يدخل عاصمة عربية دون قتال، بغض النظر عن التفاصيل.

صبيحي العمرى، ضابط عربي، فاضطركت تلك المعركة، وكتب دراسته عنها، ليدخلنا في التفاصيل، التي ربما كنا نجهلها حتى الساعة. قد توافقه في كثير من آرائه وتحليلاته، وقد لا توافقه. ولكن لا تستطيع إلا أن تعترف بأهمية هذه الدراسة، وما قدمته للتاريخ العربي الحديث، من فائدة.

ميسلون الزمن، وميسلون التفاصيل، وبين هذه وتلك، ينشدنا المؤلف إلى موضوع شيق وهام.

الناشر
موقعة ميسلون لم يكتب عنها حتى الآن أحد ممن حضرها من العرب وكل ما كتب عنها كان نقلًا غير دقيق عن بعض من حضر جزءًا من جوانبها. ولا لم يكن في بعض تلك الجوانب ما يكفي لتهدئة العواطف الجروحة فقاموا بحشوة بالبلاغات عن ضعف إمكاناتنا وقلة وسائلنا وعن قوة عدونا وكثرة وسائله. أما الشخص الذي كتب الشيء القليل عن حقيقتها فهو قائد اللواء الذي عهد إليه الدفاع عن ميسلون قائدها الفعلي المقدم (حسن الهندي) لقد كتب هذا القائد الخلاص الشجاع ما لديه من معلومات وأخيف ما لديه من أوراق طيلة حياته ضمًا بالعواطف التي كانت تؤوج في ذكرى ذلك اليوم من كل عام لكبلا يسحق ألمها عليها بالوقت الذي كان المستعمرا لا يزال جاشمًا على صدر البلاد. ويهب هذا القائد الشريف إلى جوار ربه بعد أن أودع ما كتبه عن هذه الموقعة إلى ابنه الاستاذ فاروق الذي رأى من قلقًا أن الوقت قد أصبح ملائما لنشرها خدمة للحقيقة والتاريخ ففضل علينا مشكوراً بالكثير مما حوته هذه المذكرات.

يلاحظ القارئ فيما كتبناه عن هذا العهد وعن موقعة ميسلون خصوصاً إننا ذكرنا الكثير من النقاق والاختفاء الذي ارتكبت فنجر عيذ لا يتهمنا بانتهاك نقد التشيير أو التجريح بأهو أو التشكيك بالقدرة العربية. إن قصدنا فيما ابديناه من نقد وتحليل للوقائع أن نحدد مواطن الضعف وأسباب الحجز وما تعرض له هذا العهد من مؤثرات خارجية وداخلية إلى وجود هذه التفاوتات وتلك العيوب. وقد يبدو هذا النقد لأول وهلة قاسيًا وسلبية ولكن في
حقيقة إيجابي، الغاية منه إزالة الصدا الذي غمر الطاقة العربية منذ اضاعت شخصيتها وحيويتها وأصبحت ضعيفة تعيش عالة على مجد إجادها دون أن تفعل شيئاً مما فعلها، مستعية عن قصورها بالإدعاء الفارغ والقصائد العاملة والأناشيد اللاهبة. انني أكتبها مادة للمؤرخين الذين من واجبهم تمحيضها وشرحاتها ثم تقديمها حقائق لأجيالنا الناشئة الضائعة بين الحقائق المرة التي يشاهدونها وبين ما يقرأون ويسمعون.

إن أحداث هذا العهد (العهد الفيصل) وحدة متسقة مرتبطة بعضهما، يصعب علينا أن نفهم أحدى نواحيها إذا لم نقف على نواحيها الأخرى. ولذلك سوف نبدأ هذا العهد بدخول الجيش العربي إلى دمشق في أعقاب الجيش التركي ونتهي منه بمواجهة ميسلون واحتلال الفرنسيين لسوريا.
تأسيس الدولة العربية

وصلنا فيما كتبناه في هذه المذكرات إلى استحال
الجيش العربي والبريطانيا الأراضي السورية
في أعقاب الجيش التركي المتحتم أمامها حتى موقع (قطمة)
في شمال حلب وإعلان الهدنة في 11 تشرين الأول 1918.
وستمر في هذا الجزء بذكر ما أعقب ذلك من أحداث.

حينما خرج الإنكليز جبهات التركية في فلسطين وبدأوا
بمدرسة الجيش التركي المتحتم وقام الجيش العربي
بمهاجمة حوران، كلف جمال باشا المنسي والمحمد سعيد
الجبلاوي بتشكيل قوة متطوعة من المغاربة الموجودين في
دمشق لمساعدة الجيش التركي، فأبطه هذا الأمر وتمكن من
جمع قوة صغيرة بقيادة أخيه عبد القادر سار بها إلى أرض
وخلال يومين جرف الجيش التركي المتهزم هذه الجماعة معه
إلى دمشق، وأصبحت المدينة في فوضى. ويجمع جمال باشا
زعماء الأحياء ويكشفهم بتأمين الأمن ولهما لتحمل الفائدة
المطلوبة من ذلك طلب إلى الأمير سعيد أن يأخذ على عهديه
الأمن بواسطة أولئك المتطوعة الذين كانوا بقيادة أخيه. وعلي
الامير سعيد استقلال البلاد باسم الشريف حسين ويرفع العلم
العربي على سارية دار الحكومة وكان ذلك قبل دخول الجيش
العربي إلى دمشق ببومين(1).

ما كاد الأمير فصيل يدخل على رأس جيشه إلى دمشق في 3 تشرين الأول 1918 حتى باشر تنظيم وإكمال تشكيكية الدولة في هذه المنطقة التي كانت في العهد العثماني تتكون من ولايتين دمشق وحلب والتي الحق بها فيما بعد منطقة دير الزور. ولأن هذه البلاد كانت في العهد العثماني تدار كولايات ترجع في إمورها الإدارية والعسكرية والعدلية إلى مراجعها في العاصمة العثمانية، وكبنت جميع القوانين والمعاملات مدوية باللغة التركية، أصبح الوضع برمه يحتاج إلى إعادة تنظيم على ضوء الواقعة الجديد وما يتبث عنه من حاجات وصالحات ومسؤوليات. ولأن البلاد حسب العرف الدولي كانت لا تزال في حالة حرب ومن بلاد العدو المحتلة التي لم يبزانياها. فقد عهد القائد العام لجيش الحلفاء الجنرال النتني بإدارة شؤون هذه المنطقة إلى قائد الجيش العربي الشمالي الأمير فيصل الذي اعتبر أحد قادة الحلفاء. واعتبر الأمير فيصل ذلك بداية لتلبية المعاهدة التي جرت بين بريطانيا والملك حسين باستقلال هذه البلاد. وبهذه الاعتبار عين لإدارتها حاكماً عسكرياً عاماً هو الفريق الركن رضا الكرابي الذي كان من قادة الجيش التركي، يتبعه حكام عسكريون في كل من ولايتين حلب وبيروت وكذلك في علبک والبقاع. وقام الحاكم عسكري العام بتعيين مدراء لمصالح الدولة يقومون بتصريف الأمور. وتأسست محكمة للتمييز ومجلس شورى الدولة. كما تأسست لجان لتربين الاصطلاحات التي كانت تستعمل في الدوائر المدنية والعسكرية وكتب المدارس. وأمليت الشؤون التي حصلت من جراء انفصال الموظفين الأتراك بغيرهم من العرب. والمديريات التي تأسست هي:
المديريّة الداخلية.
المديريّة الشؤوريّة الحربيّ (رئاسة أركان الجيش).
المديريّة الماليّة.
المديريّة المعارف.
المديريّة الأمن.
رئاسة مجلس الشورى.

ويدأ كل مدير بتنظيم أمور مصلحته وتدبير شؤونها وتعيين مسؤوليه من موظفيه. كما شرع بتوسيع الجيش وذلك بفتح باب التطوع وقبول الضباط العرب المعادين من الجيش التركي بuxtapتهم. وهكذا تشكلت هذه الدولة بسرعة غريبة. وقد كان يقبل في عداد موظفيها وضباطها كل عربي دون أي تفريق بين متنسبين الأقطار العربية الأخرى. وبذلك كانت أول دولة عربية قامت على أسس قومي عرفي اقليمي، ولم يقم بعدها حتى الآن ولا دولة عربية على هذا الأساس.

إعلان الحكم العربي في الساحل السوري

عندما أعلن الأمير سعيد الجزائري الحكم العربي في سوريا، كما ذكرنا، أُبرق إلى جميع رؤساء بلديات المدن الداخلية والساحلية يطلب إليهم رفع العلم العربي وإعلان الحكم الوطني، ومن أبرز الأشياء رئيس بلدية بيروت عمر الداعوق الذي ذهب مع ثلاثة من أعيان بيروت يوم 30 أيار 1918 إلى وادي الولاية اسماعيل حقي بك وأبلغه فجأة بالبرقية وطلب إليه وافق الوالي على تسليمه شؤون الإدارة. وفي اليوم التالي في 1 تشرين الأول 1918 أصدر امراً إلى جميع مأموري الحكومة في الولاية بتسليم جميع شؤون الإدارة في ولاية بيروت إلى رئيس بلديتها وباشرها وظائفهم مع الحكومة العثمانية. وعمل ذلك أصدر رئيس البلدية الذي أصبح مسؤولًا عن إدارته دفعة
الحكم في ولاية بيروت بياناً أعلن فيه تسلمه زمام السلطة ومباشرة الإدارة العربية منذ ذلك اليوم مرسوماً عملها وتم الاتصال بحكومة دمشق ورفع العلم العربي على سارية دار الحكومة في احتفال شعبي كبير.

وكانت صلاحيات الحاكم العسكري في ولاية بيروت تشمل جميع الساحل السوري حتى لواء الأسكترون. وكان اللواء شكري الأيوبي الذي عين له مسجباً من قبل الأتراك خرجه للثوار من السجن التركي قبل دخول الجيش العربي إلى دمشق بيوم واحد. وقد رافقته شكري الأيوبي إلى بيروت إحدى السرايا النظامية من القوة العربية التي دخلت دمشق ووصول، إلى بيروت بتاريخ 6 تشرين الأول 1918 وحالة وصوله تسلم السلطة وأعلن انضمام لبنان إلى الحكومة العربية وعين حبيب باشا السعد حاكماً مدنياً بعد أن أقسم يزن الوالد للملك حسين.

وبلغ هذا الإجراء الذي اجري في بيروت إلى باقي مدن الساحل فالف الأهالي في كل من صيدا وطرابلس وأنطاكية واللاذقية وصور وبقية المدن الساحلية إدارات مدنية ورفعت العلم العربي على سارية دواويرها.

ما كان الفرنسيون يعلمون بهذه الإجراءات وإرسال الجنود العرب إلى بيروت حتى هما ثائران يتحرون عن فيصل ويلحون على الانكليز بتطبيق اتفاقياتهم، ونتج عن ذلك انزال العلم العربي في بيروت وباقى مدن الساحل وتحويل إدارتها إلى حاكم فرنسي (جورج بيكو) تحت إمرة القائد العام الإنكليزي الجنرال اللنبي.

وهكذا ما كانت الحرب تنتهي وتتحرر البلاد العربية من الاتراك ونزل بزوالها حاجة الحلفتين (بريطانيا وفرنسا)
لمساعدة العرب وإيضاء الرئيس الأمريكي وسن بتطبيق مبادئ
الشجرة وفي مقدمتها تحرير الشعوب، حتى صرفوا النظر عن
كل ما تعهدوا به للعرب وراحوا يعملون على تطبيق ما اتفقوا
عليه في معاهدة سايس - بيكس ومتعمدو التهجين من وراء
واعتمدوا أعلام نواياهم الاستعمارية وتتركمهم للعرب قبل
وقوع الهدنة. وبمجرد مباشرة العرب في مسارسة حقهم في
تشكيل حكومات وطنية في البلاد التي اعتبروها أنها ستكون
مستقلة حسب اتفاقهم مع بريطانيا. وكانت حادثة إنزال العلم
العربي في المدن الساحلية وتسليم أدارتها للفرنسية بمشاركة
الإعلان الأول عن نوايا الفليتين السيدة نحو العرب. والتفت
العرب لجذب أنفسهم بغناءً قد تحولوا من محاربين في جانب
حلفائهم في سبيل التحرر والاستقلال إلى مناضلين ضد هؤلاء
الحلفاء في سبيل الحيلولة دون وقوعهم في قضية استعمارهم.

أخذ فيصل منذ دخوله المنطقة الشرقية (دمشق - حمص-
حمص وحلب) يدير امورها على أساس أنها جزء من المملكة
العربية الكبرى التي كان يأمل أن تؤسس على وجه من الوجه
وكان مما يصمد أي ماهي هذا الجام هو وجود الفرنسا في
الساحل الشامي والانكليز في العراق وفلسطين. وكانت مخاوف
العرب تكمن في وجود فرنسا في الساحل أكثر من وجود الانكليز
في فلسطين والعراق لأنهم (أي العرب) لم يكونوا قد نقضوا
ابديتهم بعد من شرف بريطانيا ووفاتها بعهدوها لهم.

في 6 تشرين الثاني 1918 وصل الأمر فيصل إلى حلب وكان
في معيته عدد كبير من الرجال بعد أن مسير بحمص وحمصاء
وال-Headers، وكان الاحتمال فيه عظيما. وفي 11 منه أقيم له في
النادي العربي في حلب احتفال خطبة به خطاباً أكد فيه على
خطة نسيان ما مضى وضرورة الوحدة الوطنية باسم القومية
معيناً أن العرب هم عرب قبل عيسى ومحمد وعدد كيل من يقدم
علي بذر بذور الفتنة بين المواطنين. وفي خلال وجود الأمير في حلب وربت إليه برقيه من والده يأمره فيها بالتوجه إلى الغرب ليتمله في مؤتمر الصلح.

وغادر الأمير حلب في 18 منه إلى حمص ومنها إلى طرابلس الشام فاستقبل فيها بحفاءة بالغة. وفي 19 منه وصل إلى بيروت وكان استقباله فيها رائعاً وجاء رجالات دمشق إليها لوداعه وأبحر من بيروت في 22 منه عل مركب حربي بريطاني. وكان في صحبته رئيس مرافقته نوري السيد ورئيس ديوانه يستم حيدر وكابته الخاص فائز الغصين ومرافقه الخاص حسين قدرى وطيبه الخاص الدكتور أحمد قدري، وقد أتامب عنه في إدارة شؤون البلاد أثناء غيابه أخيه الأمير زيد.

وفي هذه الأوقات زار الجنرال البلجيكي حلب وأقيم له استقبال كبير فيها اشتمرت فيه الفرقة الإندلورية التي كانت في حلب كما اشتمرت فيه لوازنا أي لواء الهجانة الذي استوبل على حلب. وجرى الاستقبال بذبة عظيمة قدم أثناءها رئيس بلدية حلب إلى الجنرال مفتيح المدينة مع خبر وملح دليل الصداقة والتقدير. وقبل موعد هذه المراسم كلفني قائد المرفزة على جودته الأوبي أن يكون خلال هذه المراسم مراقباً عسكرياً للشريف ناصر ابن علي الذي كان يمثل الأمير فيصل في حلب. وهكذا أشتمرت في هذه المراسم وما أعقبها من حفلات بصفتي مراقباً للأمير.

ولما أنهت المراسم وغادر الجنرال حلب رفض الشريف ناصر أن يتركتي اعتود إلى لوائي وأبيت الانفكاك من سريتي بعد أن قضيت بين جنودي تلك الأوقات السعيدة الملوية بلذة المشاق والرخاف والظفر. وأخيراً أقترح قائد الفرزة أن أبقى في ملاك سريتي أعمل فيها إلى جانب قيادي بواجبات مراقبة وهكذا كان.
كان الشريف ناصر يقيم في دار ببي العزيزة التي خصصت لتكون مقرًا رسمياً لدار الإمارة وكان في معيشته كامنل للسر الشيخ سعيد الباني وعلي الفيرة كمرافق صحفي ومين الغريب كترجمان وهو صحافي مغترب. والشريف ناصر هو أول من ناصر الثورة من الأشراف وكان على رأس قوة الهجانة التي رافقت فيصل إلى دمشق في العهد التركي لرسلها إلى جهة سينا. وهي القوة المتطوعة التي خدع فيصل بها جمال باشا. وعندما تقرر إعلان الثورة فر الشريف ناصر بهذه القوة من دمشق والتحق بفيصل في المدينة المنشورة وأعلنت الثورة. (كانت طلقة الشريف ناصر التي قتل بها الشيخ ابن مبيرك الشالع مع الأشراط الطلقة الأولى في ميدان الثورة وكان ابن مبيرك أول قتلاها). لقد كان الشريف ناصر أول المرئين عند فيصل وما من حملة تنوي القيام بها في الجيش الشمالي منذ تشكيله حتى نهاية الحرب من مشارف المدينة المنورة حتى شمال حلب إلا ووعد إليه بقيادته فهو الذي اقتحم الوجه والعقبة ومعان ودمشق وحماة وحب وكان موفقاً في كل معركة دخلها حتى أصبح الأمير وقية القادة يعتقدون أنه حليف اليمين والبركة والنصر والتوافق. وقد كان ميسوراً يملك الكثير من العقار والمناخ فترك جميع ما يملك في المدينة بيد الأشراط في سبيل معارضته للثورة يدفعه إلى ذلك إيمانه المطلق بقوميته وكان يتمد ذكاء وفكرًا هادئًا سريع الأشراط حاضر الجواب، والحادثة الآتية التي حضرتها تدلنا على سرعة بديهته.

لقد حضر كل من سايكس الإنجليزي وجورج بيكر الفرنسي صاحبي المعاهدة الشهيرة في زيارة إلى حلب، وفي أحد الأيام

(3) في كتاب صور من البطولة لسليمان موسى فصل عن تاريخ حلب.
جاءنا معاً لزيارة الشريف ناصر بصفته أميراً لحلب. وبعد
الحادثين الجاملاً بذا بيكو يشكو من الشائعات التي كانت
تدور عن أطعمة فرنسا في سوريا، إلى أن قال بأن الناس
اصبحوا يتاجون التكلم مع أي فرنسي وأن أحداً لم يتجرا على
زيارته منذ وصوله إلى حلب. وبدا ينفي تلك الشائعات ويتكلم
عن نوايا فرنسا الطيبة تجاه سوريا وعدم تفكيرهم بما يسيء إلى
حريتها واستقلالها؛ فأجابه الشريف ناصر بأن هذه الشعور
الشعبي الذي ذكره صحيح وليس للحكومة داخل فيه وهو متأتٍ
من الربيئة التي يشعر بها الشعب خوفاً على استقلاله وإن تلبٌ
هذا الأمر بيدكم وبإمكانكم أن تطمئنوا الشعب بالقول والفعل
وعندما يحصل له هذا الأطمئنان فإنه سيخرجكم بحبه وعطقه
وصداقته. أما أقوالك المطمئنة التي ذكرتها الآن فإن قلم يسمعها
سواء الحاضرين فهي لا تحل المشكلة، وهناك مثل بدوي يقول:
(ان (... من خلف العبا لا يلقع) ولا ترد الترجم (امجين
الغرب) في ترجمة المشتاك على كلمة ثابتة أصل عليها أن
يترجمها حرفيًا واعتذر عما فيها بأن بعض الأمثل تحمل عادة
مثل هذه التعابير. وكانت كلمات الشريف ناصر محكمة ومجردة
والكلام ينطبق على الواقع. ولم يبق أمام بيكي إلا الاعتراف بأنه
ليس بإمكانه بهذه الحالة الاتصال بالشعب ليفهمهم نوايا
فرنسا الطيبة. عندما قال له الشريف ناصر: حسن يمكن أن
تقام لكما حفلة تكريم في النادي العربي حيث يدعى إليها
زعماء البلد وأعيانها وشبيها ويقوم كل منكما بإلقاء كلمة
تطمئنوا بها الشعب إلى عدم وجود أطعمة لحكومتكم في هذه
البلاد. وهذا لم يبق لهما طريق للتملص وقد اضطررا لقبول
الاقتراح. ثم طلب إليهما الاعلان على خطابهما قبل القائهما
كما لا يحصل سوى فهم. ومضى اليوم التالي بتصحيح
خطابهما. وفعلاً أقيمت لهما الحفلة وخطباً بما من شجانه
تطمين الأفكار. أما كونها ظهرت فيما بعد بأنها كانت أكاذيب وخدعًا وتضديراً فهذا أمر آخر. وهكذا نرى الشريف ناصر الذي لم يتخرج من آية مدرسة كيف احسن التصرف والتغلب على هذين السوسيين العريقين في السياسة.
المسرح السياسي

في يوم 11 تشرين الثاني 1918 وقعت الهدنة.

وبانتهاء الحرب أعظم القادة العسكريين الغالب منهم والمغلوب سيوفهم وترجعوا خطوات إلى الخلف ليفسحوا في المجال أمام القادة السياسيين الذين كانوا خلفهم ليتقدموهم ويصدحوا عقولهم للاستثمار الظرف بالنسبة للغالبين واتقان ما يمكن اتقانه بالنسبة للمغلوبين.

وبانتهاء الحرب أيضاً تخلص العرب من حكم تركي ظالم غاشم متل ذكر كان مدة أكثر من 400 عام ليجدوا أنفسهم أمام شبح استعمار أخطر منه يقترب منهم مكشراً عن أنماه باعتدال دينية ملتهبة باللوم والقدر. ففرنسا الولمانية بسوريا لم تنتظر الهدنة بل أسرعت فأتت بجيوبها التي كانت وجهة أشرافها لا تزال تعلوها كدمات جرم الإنسان لتثبت وجودها في الساحل العربي، وبريطانيا الطيبة والصديقة اللدود التي خرجت من الحرب وهي أقوى دول العالم وجيوبها تحتل جميع الأهداف التي تطبع فيها في البلاد العربية. قد بدأت تتفشى عن الأساليب الملائمة التي يجد بها اتباعها الوصول إلى تأمين مصالحها من خلال القضايا والالتزامات العقدة التي تورثت بها ووربت غيرها فيها أثناء الحرب من أجل الوصول إلى الظرف.
لقد اتفقت مع فرنسا على تقسيم البلاد العربية بينهما وتخصيصها ب⇌كيا وسوريا، ووعدت اليهود بمساعدتهم على تأسيس وطن قومي لهم في فلسطين واتقفت مع العرب على استقلال بلادهم إن هم ثاروا على الأتراك ووقفوا إلى جانبيها.

وكانت هذه الاتفاقات التي اضطررتها ظروف الحرب لعقدها لا تتفق ونواياها ومصانعها، ولذلك ما كادت تنتهي الحرب حتى بدأت بالسعي لتعديلها. وفي لتريد الوفاء بكل ما اتفقت عليه مع العرب ولا هي راضية من إعطاء فرنسا الموصل وتبزيلها ولا هي مرتاحة من وجود فرنسا في سوريا قريبة من مناطق تفوؤها على طريق الهند البري الذي بدأت بفتحه اعتباراً من سواحل فلسطين وانتهاء بالبصرة على الخليج العربي. ولا هي راغبة بتنفيذ ما اتفقت عليه مع فرنسا بتدويل فلسطين ولا هي مرتاحة لتأسيس دولة عربية كبرى للعرب ومساعدتهم لنقل الخلافة اليهم كما وعدتهم بذلك، بل هي مصممة على السعي في إلغائها (كما وقع فعلًا) والتخلص من شبحها المزعج. وأهم ما كان يعتبر سبب بريطانيا لجعل هذه المشاكل هو إصرار فرنسا المستمر على الاحتفاظ بكل ما نالتته في معاهدة سايكس - بيكو وتأممن وجودها في سوريا.

ورات بريطانيا أن دعوة العرب إلى مؤتمر السلام من شأنه أن يسهل عليها بعض هذه المصاعب فيقوم موقفها أمام فرنسا من جهة ويخفف من شعور العرب بمسؤوليتها عن عدم وفائها بما اتفقت عليه معهم وجعلهم يشعرون بأن قضياتهم أصبحت دولية ليس بإمكان بريطانيا وحدها البث عنها.

وهكذا أبعت وزارة الخارجية البريطانية إلى الملك حسين تقترح عليه أن ينذب ابنه الأم ف يصل مثالًا عليه إلى مؤتمر السلام الذي سيعقد في باريس. لماذا اقترح البريطانيون فصولًا بالذات؟ لأن كبار البريطانيين اللولجين بالحركة العربية مثال
اللنبي وكلايوقن وسبيس ووجيت ولورنس وسودارد كانوا أكثر اتصالًا بفصول من غيره من الأمراء، وقد عرفوا فيه وهو يقود جيشه القريب من جيش اللنبي الهدوء وحسن التدبير وتقدير الأمور تقديرًا واقعياً (ففضلوه على غيره). ويبرق الحسسون إلى فيصل الذي كان في زيارة لحلب بالتوقيع إلى باريس. ووصل إلى مرسيليا بتاريخ 26 تشرين الثاني 1918 وليس لديه من المعلومات عن الأسس التي يجب السير عليها سوى توجية والده بالاعتماد على بريطانيا وbineفيد ما يشيء به ساستها، وعدم التوقيع على ما يخالف ما اتفق عليه مع الانكلز.

وكان الحسسون ويفصل لا يزالان تحت تأثير البيان المشترك الذي اعلنه بريطانيا وفرنسا قبل بضعة أيام بتآكيد ما اتفق عليه الحسسون مع بريطانيا باستقلال بلاد الشرق العربي (الجزيرة العربية، الحجاز والشام) ولم يكن قد قطعنا بعد إلى أن بريطانيا تدرك أن وجود فرنسا في سوريا أمر لا بد منه وأنها بعد الحرب لم تعد الصديق الذي كانه أثناء الحرب.

وعندما وصل فيصل إلى مرسيليا وجد في استقباله الكولونيل لورنس وبعثة فرنسية خاصة برئاسة الكولونيل بريمون. وأول ما ألقاه من المتاعب هو عدم اعتراف فرنسا به كممثل للعرب ويعدم موافقتها على تمثيل الحجاز في مؤتمر السلام إلا بعد قرار من الدول الكبرى، وقبلته بصفته أميراً حجازيًا ونجل ملك الحجاز جاء ليزور فرنسا وصارت الصحف الفرنسية تلقبه بالأمير الحجازي، وفي الوقت نفسه تحيطه بآيات التحية. وأبلغ الفرنسيون لورنس بعدم سماحهم له بمراقبة فيصل بتيابه العربية كما أبلغوا فيصل بعدم إمكانهم استقباله في باريس ولذلك سوف يرافقه رئيس البعثة بزيارة بعض المدن الأخرى وهكذا بدأت فرنسا بإظهار نواياها السيئة للعرب. وفي
خلال زيارته لمدينة ستراسبورغ قلده وسام جوقة الشرف ثم وجه امل إليه الدعوة لزيارة باريس. وفي 7 كانون الأول استقبله رئيس الجمهورية. وكان الأمير يرتدي الملابس العربية وقد أت لفته إليه جميع الأنظار والقلوب بوجهه السموح وقامته المديدة وقد شببه الكثيرون بالسيد المسيح. ولاحظ الأمير رغبة فرنسا بإبعاده عن مؤتمر فرساي فقطع برنامج زيارته. وفي 9 كانون الأول غادر فرنسا إلى انكلترا وعاد لورنس لمراقبته ليصبح له ترجمانًا ودليلًا ومستشارًا.

وأحاطت الحكومة البريطانية الأمير بكل مظاهر الحفاوة فأنزلته ضيفًا عليها في فندق كارلتون وهو أضخم فنادق لندن كما هيئ له مقاولة الملك.

ويصل الرئيس الأميركي ولين إلى انكلترا وتسعي بريطانيا لقبول الأمير في مؤتمر الصلح بتعهد أميكي، وبالرغم من معارضة فرنسا منح الحق للعرب بأن يمثلوا بمندوبين عوضاً عن مندوب واحد.

وخلال وجود الأمير في لندن سعى اليهود للاجتماع به فقبل الاجتماع بثلاثة منهم ووقع لهم على كتاب قدموه له يعرف لهم فيه بناءه وطن قومي ثقافي فقط في فلسطين وكتب بديل ذلك الكتاب بخطه بالعربية وأنه يقبل ما عرض عليه إذا ما وق في اليهود بوعدهم بمساعدة العرب في الحوامل السياسية وتم للعرب تحقيق استقلالهم من طوروس إلى خليج البصرة وفقاً لمطالب الملك حسين من الحكومة البريطانية قبل دخوله الحرب.

في مؤتمر الصلح

وأشار على الأمير بالعودة إلى باريس للاتصال بالحكومة الفرنسية بعد أن تقرر اشتراكه في مؤتمر الصلح. وبدأ الأمير
يسعى للحصول على معاوضة الرئيس الأمريكي لسن السكا بالوصول إلى حقوق العرب بعد أن تيقن من موقف فرنسا وبريطانيا المخالف لمبادئه المعلنة التي دخل ولسن على أساسها الحرب، وفي مقدمتها حق الشعوب في تقرير مصيرها.

لقد اشترك مع الدول الكبرى في المؤتمر سبع عشرة دولة من أبرزها في الحرب وقد لاقى الأمر عطفاً لأنه لم يكن للدول المشاركة في المناقشات سوى دور الامراء لمناقشة الدول الخمس الكبرى وهي أميركا، بريطانيا، فرنسا، اليابان وبريطانيا، وكان كل من هؤلاء يسعى للحصول على أكبر قسط ممكن من المناقش الاستعمارية لبلده.

وفي كانون الثاني 1919 افتتح مؤتمر الصلح في فرنسا وكان الرئيس ولسن قد لاحظ نوايا فرنسا وبريطانيا الاستعمارية فأخذ بمخالفيهما وبالدفاع عن حقوق الأمم الضعيفة مما اضطرهما للنزو على ارادته في عدم ترك القضية العربية خارجة عن المؤتمر. وهكذا في 8 كانون الثاني تقرر أن يكون للبلاد العربية حقها الشروط في تقرير مصيرها على أن تتفق عليها جمعية الأمم. ودمج قرار مجلس الحلفاء الأعلى هذا في المادة 22 من ميثاق الجمعية.

وعين الأمير فيصل رستم حيدر ليكون المندوب العربي الثاني في المؤتمر بالنظر لدراسته الحقوق والسياسة وكان كل من الدكتور أحمد قدري ونوري السعيد وعوضي عبد الهادي أعضاء يشتركون في لجان المؤتمر.

وفي 6 شباط 1919 بسط الأمير مطالب العرب وهاجم بشدة تقسيم البلاد العربية في معاهدات سرية وطالب باستقلالها ووحدتها وطالب بإرسال لجنة لاستفتاء أهلها للتأكد من مطالبهم (بعد أن اتفق على ذلك مع الوفد الأمريكي) ولندحض
ادعاءات الجمعيات اللبنانية المرتبطة بفرنسا. وفي الجلسة التي عقدت في 14 شباط وتقرر فيها ميشاق جمعية الأمم اعترض رستم حيدر (المندوب العربي الثاني) على كلمة الانتداب طالباً تحديد معناها معترضاً على معاهدة سايكس بيكو وتقييم البلاد العربية إلى مناطق نفوذ.

وفي 30 شباط 1919 قرر المؤتمر فصل البلاد العربية عن تركيا والاعتراف باستقلالها ووضعها تحت إشراف الأمم الواقية العراقية بالحكم. وفي 21 آذار 1919 قرر إرضاء لولسن إرسال لجنة يشترك فيها مندوبون من أميركا وفرنسا وبريطانيا لاستفتاء سكان سوريا والتحقق من رغابتهم.

وكان رئيس الولايات المتحدة قد اشترط على الحلفاء من أجل الدخول في الحرب بجانبهم اتباع خطوة مثالية جديدة لم يكن لها سابق عهد في السياسة العالمية وميولية للنهج الاستعماري القائم في ذلك العهد والذي قامت في سبيله تلك الحرب الضروس ومن أهم تلك الشروط تحرير الشعوب وحقها في تقرير مصيرها(1) وحيث أن الحلفاء كانوا في ذلك الوقت في موقف سبيء أمام ضربات الألمان فقد قبلوا بمبادئ واسع الأربعة عشر مبتيين عدم العمل بها. ولا وصل ولسن إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح كان النجم المتألق الذي كانت جميع الشعوب الغالب منها والمغلوب عدا الدول الاستعمارية تبني عليه اعترام الآمال في القضاء على ظلم والاستعمار والإشاعة العدل الدولي. وتحمس ولسن خصوصاً لقضية العرب واعطهما اهتمامه بالرغم من العراقيل التي كان يضعها الإنكليز والفرنسيون في سبيله.

وكانت خطة ولينس المتالكة هذه قد سببت خروج الولايات

(1) مبادئ ولينس التي اشترطها لدخول الحرب.
المتحدة عن مبدأ (منرو) الانعزالي الذي قره الشعب الأمريكي سنة 1823 بان لا يقبل مداخلة أوروبا في شؤونه الداخلية ولا هو يتدخل في شؤونها. فاستمرت خطة ويسن هذه دخول الولايات المتحدة الحرب وبالنتيجة تحملها مسؤوليات عظيمة في العالم، ولكن الشعب الأمريكي الذي لم يكن حتى ذلك الوقت قد تعود بعد على الخروج عن مبدأ منرو سبب لولسن أن يكون عرضة لمعارضة شديدة من قبل كبار الساسة الأمريكيين ومن الكونغرس مما اضطر للعودة إلى أمريكا لإصلاح الوضع، ولكنه على إثر عودته غير نهجه واضطر إلى إقرار أمور تناقض جميع المبادئ التي أعلنها. وهكذا خسر العرب أقوى مؤيد لهم وأصبح الميدان مفتوحا أمام الدولتين الاستعماريتين الطامعتين في البلاد العربية لترصا إلى ما يحقق أطماعهما.

ويقرر الأمير فيصل العودة إلى سوريا لتهيئة الأمير أمام لجنة الاستفتاء التي تقرر إرسالها. فوكل عنه في عضوية المؤتمر عوني عبد الهادي إلى جانب العضو الثاني محمد رستم حيدر وقبل مبارحته لفرنسا وفي 16 نيسان 1919 اجتمع إلى الرئيس الفرنسي كليمنصو الذي فاتح الأمير بأن الانتكاز سيستحمون من المنطقة الشرقية التي تحت الإدارة العثمانية وأنه يود أن يحمل الجند الفرنسيون محلهم فرفض الأمير معلنا رفضه بوجود قوة عربية كافية ولم يقع كلينصو بذلك وبيان له أن الآمة الفرنسية تأتي إلا أن يرفع علمها على سوريا ليتمثل مع قوة عسكرية فرنسية ولو قليلة.

لقد كانت الموصل في القسمة التي تقررت في اتفاقية سايكس - بيكو بين بريطانيا وفرنسا تقع ضمن حصة فرنسا. ولما وقعت الهدنة وجاء دور تطبيق الاتفاقية وكانت بريطانيا على علم بما تحتويه أرض الموصل من بترول فدخلت مع كلينصو بمفاوضات حول تنازله عنها وإلحاقها بالعراق مقابل اطلاق
يدهم في جميع سوريا ولم يجد البريطانيون صعوبة في إقناعه بذلك لأن سوريا كانت تملا أفكار الفرنسيين الذين لا يزالون يحلمون بها منذ الحروب الصليبية.

وفي 23 نيسان 1919 غادر الأمير مع حاشيته فرنسا بطريق عودته إلى سوريا عن طريق إيطاليا تلبية لدعوتها ونزل في روما ضيفاً على الحكومة وقابل الملك والبابا وغادر إيطاليا متجهاً إلى بيروت قوصلها في 30 نيسان 1919 وجرى للأمير في بروت وفي دمشق استقبالات شعبية عظيمة.
توسيع الجيش

 حينما وقعت الهدنة لم يكن في البلاد جيش سويا المفرزة الشمالية التابعة لجيش الثورة العربية، التي قامت بمطاردة الجيش العثماني المنسحب حتى وقوع الهدنة في شمال حلب. وعقب الهدنة بقيت هذه المفرزة مرتبطة في حلب، وتقدمت بقية جيش الثورة الشمالي من مواقعها في الوهيدة وابي السين فانشقت معاين واستمر في تقدمه إلى عمان ودرعا. أما بباقي المدن السورية فكانت خالية من أي قوة عسكرية عربية. وهذا على ما يظهر كان أحد الأسباب التي حددت الحكومة لتوسيع الجيش من العناصر المتخلفة عن الجيش التركي من ضباط وضباط صف وجنود على أساس التطوع.

 فاذاً، انسحب الجيش التركي من المدن الشامية كان يتفاهم عليه جميع الجنود والضباط العرب على اختلاف رتبهم وكان جميع هؤلاء إلا ما ندر يرغبون بالانتماء إلى الجيش العربي بقصد تأمين المعيشة والمستقبل، وكان عددهم يزداد باستمرار بسبب الاعداد المتلاحقة التي كانت تصل من تركيا. لأن الاتراك وقد احتل الحلفاء عاصمتهم وسرحوا الجيش الذي كان فيها كما سرحوا الجيوش في جميع الولايات الأخرى التي
احتلها، فكان الضباط العرب على اختلاف أقطارهم يراجعون قيادات الحلفاء طالبًا تسفهمهم إلى سوريا وهكذا تجمع في سوريا عدد كبير من الضباط العراقيين والسوريين، وحتى ذلك التاريخ لم تكن التفاوت بين الأقطار العربية قد ظهرت بعد، وكان العراقيون يفضلون الخدمة في سوريا لأن بلادهم كانت ما تزال تحت الاحتلال الإنكليزي. وهكذا عندما تقرر تسويق الجيش قبل في هؤلاء الضباط على مختلف أقطارهم، وامضباط الصف والجنود فكان لهم شأن آخر.

كانت البلاد عندما أعلن نظام التطور الذي نحن في صده قد خرجت حديثًا من الحرب التي استمرت خمس سنوات بويلاتها ومصائبها، والجنود الذين عادوا إلى بيوتهم وذويهم بعد غيابهم كانوا قد قضوا هذه السنين الصعبة إما في ميدان القتال أو فارين من الجيش لا يستطيعون على حال. أما الآن وقد انتهت الحرب وعاد كل منهم لاهله فنم له حقل عاد للعمل في حقله ومن له تجارة في تجارةه ومن له صناعة في ضناعته. ومن بقي للتطور في الجيش كان عليه أن يقبل براتب الجندي الضئيل.

وإذن لم يتطور في الجيش سوى الذين ليس لهم عائلة مسؤولون عنها أو أرض يعملون فيها أو صناعة يشتغلون بها. لقد كانت من العاطلين غير المرتبين بمسؤوليات وقد كان أكثرهم من قضي سيء الحرب فارًا من الجندية بين اليسائين والأرثوة فتعود التشريد وما يجره من أخلال وعادات. وما كاد يبدأ تطور هؤلاء حتى بدأت عمليات الفرار وما يلحقها من إجراءات التعقيب والمحاكمات. وكانت أكثر المحاكمات الإدارية تجري لأسباب انضباطية وأخلاقية. فهؤلاء المتطوعة هم الذين تشكو منهم الجيش المتطوع وأصبحوا خسرة التي تكون منها الجيش الإلزامي فيما بعد.

أما الضباط الذين مر ذكرهم فقد كان أكثرهم مهن بقوا في
خدمة الأتراك حتى أيامهم الأخيرة، رياضين باشا الهاشمي الذي كان المسؤول الأول عن الجيش كان أحدهم فتخلت عن الجيش التركي في دمشق وهو مصباح برصاص العرب فاختبأ في دار أحد معارفه في حي الميدان عدة أيام حتى إذا ما اكتشف أمره ذهب إليه ثلاثة من أصدقائه الضباط العراقيين فأخذوه من مخبأة وأبلغوه بأمر من الأمير فيصل بعينه فيه رئيسًا لديوان الشورى الحربي (تعادل وزير الدفاع) أكبر مقدم عسكري مسؤول.

إن الفكرة القومية في ذلك الوقت كانت لا تزال حديثة عند الشعب لم يهضموا أو يتهموها بعد ذلك الضياع الطويل، ومنهم هؤلاء الضباط الذين اتوا من صفوف الأتراك وكانوا لا يزالون متشبعين بالعقلية العثمانية، لا يصدقون إمكانية تأسيس حكم عربي وهم يشاهدون ما يعتبر من سبيل هذا الحكم من وجود الفرنسيين في الساحل والإنكليز في فلسطين والعراق وكانوا أيضاً لا يزالون تحت تأثير الدعاية التي أشاعها الأتراك أثناء الحرب بأن الثورة ما هي إلا خيانة قام بها الشريف حسين بأموال الإنكليز ليست سوى عصيان على الخليفة وتفريق أمر المسلمين.

وكانت تتملك الكثيرية هؤلاء الضباط عقيدة نفسية تجعلهم يشعرون بأنهم غرباء عن هذا العهد الاستقلالي الذي قام على هزيمة الأتراك الذين بقوا في صفوفهم إلى آخر أيامهم وكان بعضهم يجهر بأن الثورة على الأتراك كانت خيانة وicensing.

وكان بعضهم متأثراً بالدعاية التي كان بيدها عملاء الفرنسيين بعدم إمكانية استمرار هذا الحكم وان الفرساني سوف يحتلون البلاد وأن على فيصل أن يقوض خيامه ويعود إلى الحجاز. وكان ضباط الثورة يشعرون بالكرهية والحسد الذي
كان يكَّن لهم بقاء الضباط خصوصاً وكان البعض منهم قد حاز على رتب ما كان يصل إليها لو أنه كان في الجيش التركي لأن الرتب كانت خلال الثورة تمثل للشجاعة غير العادية وليس للمدة والقدم علمًا أن كل ضباط الثورة كانوا قد منحوا رتبة
فعلى التي كانت لهم في الجيش العثماني، لم يهضموا
الفكرة القومية غير مرتاحين لوجود ضباط أعلى منهم رتبًا
ومنصبًا من منسوبين الاقطارات العربية الأخرى كالمصريين
والفلسطينيين واللبنانيين وكان التركيز في ذلك ينصب بصورة
خاصة على العراقيين (وليس من شك أن ذلك بإيصال من
الفرنسيين والإنكليز عن طريق عمليائهم).

لقد كان الضباط العراقيون أول من لبى نداء الثورة وأول
اللتحقين بصعوبتها وقد خاضوا المعارك من بدايةها حتى
نهايتها من جدة حتى شمال حلب وكانوا يقاتلون بكل جهد
وإخلاص تدفعهم إلى ذلك روح قومية صادقة تستهدف تحرير
البلاد العربية كلها وكانوا يشكلون الأكثرين في جيش الثورة
ومنهم القيادة الكبار الذين أداروا حركاتها وأمنوا الظفر في
معاركها. وقد كان القسم الأكبر من شهداء وجرحى الضباط
منهم، وعندما وصلوا إلى سوريا وانتهت الحرب زهد قسم كبير
منهم بالمناصب وانصرفوا إلى العمل من أجل العراق وإشعال
الثورة فيه على الانكليز متخذيين من سوريا نقطة ارتكاز
وانتفاخًا لأعمالهم.

هذه هي الأفكار التي كانت سائدة بين ضباط الجيش، لقد
كانوا فكاك غير متجانسة وغير متفاهمة لا تجمعهم عفاكة ولا
غاية ولا هدف، وكان عدد كبير منهم لا يشعر بأي حساس لهذا
العهد العربي بل ظهر فيما بعد أن عدداً غير قليل منهم باعوا
أنفسهم إلى الفرنسيين يتقاضون منهم الراتب ويقدمون لهم ما
يطلبونه من خدمات، وحتى وقعت الحرب مع الفرنسيين
اشتركوا مع العملاء الآخرين بتوصيل الأخبار وإشاعة الفوضى والتشويش، وهكذا قدم البعض من هذه الفئة إلى الفرنسيين أعظم الخدمات التي حققت لهم كسب الحرب بمتلك السهولة، وكان بينهم عدد من ذوي الربت الكبيرة قدموا للفرنسيين خدمات كانت لها نتائج مباشرة في خسارة موقعة ميسلون وفي استيلائهم على حمص وحلب.

و فيما يلي ما جاء في الصفحة 130 من مذكرات الدكتور أحمد قدري عن هذا الأمر، ولأقول الدكتور قدري أهمية خاصة بسبب اطلاعه على تطورات القضية العربية منذ نشأتها ومشاركته في جميع ادوارها. ففي الحقيقة التي نتكلم عنها كان الدكتور يعمل طبيباً خاصاً للأمير فيصل وكان أحد مستشاريه في محاولاته مع الحلفاء في الغرب وكان أحد المؤسسين الثلاثة لحزب الفتاة الذي كان يسيطر على أمور الدولة وكان بطبيعة مرزته هذا اطلاع واسع على جميع ما كان يدور من أحوال.

يقول الدكتور قدري:

وكان يا سين الهاشمي رئيساً لمجلس الشورى العسكري (وزارة الدفاع) وتقدر عليه العمل بالصارمة التي يستلزمها الموقف للتقدم في الجيش السوري قوي مدرع بعد غلبة الجيش الذي دخل سوريا ملتزماً من المجاز مع سمو الأمير، بسبب عودة الضباط السوريين إلى سوريا من تركيا ومطالبتهم بتشكيل جيش جديد هذا وأن الكثيرون من يرغبون في الوظائف من الشباب بدأوا يتشكون من انهم أصبحوا غرباء في بلادهم وعمل الفرنسيون كثيراً لدعم ونشر هذه النزاعات، ولذا كنا نود حكومة عربية، لم يدم بخلادنا الإكتفاء بسورية فقد عانينا وعاني الأمير معنا الكثير لنوقف بوجه هذه الموجة من الاستياء.
إلغاء جيش الثورة

ال.flatMap: بعدم جواز وجود جيشين مختلفين، فإنها فكرة ياسين الهاشمي أساساً عرضها على
فيصل معلماً بعدم اعتراف فيصل فيما بعد ببعض خطأهما ارتكبهما خلال حكمه في سوريا وكانوا أسواء الأخطاء التي ارتكبها الهاشمي خلال المسؤولية التي اضطلمها بها في سوريا. لقد كان ياسين الهاشمي أول من سلمت إليه مسؤولية
الجيش في أول حكم عربي وهو من ضباط الحرب القلائل المرموقين في الجيش العثماني والوحيد بينهم الذي توصل إلى قيادة فيلق تركي (بعد ذكي باشا الحليبي الذي كان قائداً للجيش الرابع قبل جمال باشا) وكان اللواء ياسين في طليعة من اعتنقوا الفكرة القومية ومن كبار أعضاء حزب العهد العسكري السري وهو أحد القادة الذين تصلوا في دمشق وكدفوه بدعوة أبيه للثورة على الاتراك وتكفلوا بإقامة الثورة في سوريا بالقطاعات التي بامرتهم وأكثرها من العرب(1).

(1) أصبح ياسين الهاشمي فيما بعد كبير رجال السياسة في العراق ورئيساً للمعارضة وعدد وزارات، وقد قام بكر صدقي بإبتكار الشمع في عهد وزارته حيث نزح عن العراق وشن نفسه في لبنان وسكن في دمشق في تهريج مساح الدين الأليوي في عام 1937.
بالرغم من كل ذلك فقد تغلبت على هذه الشخصية المحترمة العقدة التي تمثلت أكثرية الضباط الذين اشترمو انتصار الثورة فلم يحتلم وجود جيش الثورة الذي اكتسب فضل المشاركة في هزيمة الجيش التركي ويعثرته وصبيغ في سبيل ذلك الأرض العربية بدماء أعراقوه من الحجاز حتى شمال حلب.

لقد نسي الهاشمي جميع الاعتبارات العسكرية والوطنية وتقدم إلى فيصل بطلب إلغاء جيش الثورة بحجة وفاة ضعيفة بعيدة عن العقل والمنطق بحثا الإنسان كيف يعلق قبول فيصل لها وكيف يمكن لشخصية عسكرية محترمة عاملة مثل ياسين الهاشمي أن يعرضها عليه، الأمر الذي سبب في النهاية بعثرة جيش برهن على جدارته بما تركه من انتصارات، فعل ذلك قبل أن يتأكد من إمكانية تشكيل جيش بديل عنه وسوعه القيام بالمهام المصريه التي كانت تنتظره.

كان بالإمكان الإبقاء على جيش الثورة بكمية إحدى الفرق الثلاث التي جرى تشكيلها دون أن يكون هناك جيشان مختلفان كما اعتقد. لم يكن هناك أي سبب أو ضرورة لإلغاء جيش الثورة فالجيش الشمالي الذي حارب في الأراضي السورية واستقر فيها هو جيش نظامي كباقي الجيوش النظامية التي كانت تقاتل في المنطقة كالأتراك والإنكليز والفرنسين وقد كانت هذه الجيوش تتفوق عليه بالعدد والعدة ولكنه كان يتفوق عليها (أي على تلك الجيش) بحماسه وانسجامه وقوة معنواته.

لم يأت أحد من منسوبى هذا الجيش إل ميدان الثورة بالرغم عنه أو بموجب أوامر عسكرية لان جميع ضباطه وجنوده كانوا مختلفين يحملون فكرة وطنية واضحة فكانت جهودهم والمعارك التي يدخلونها تجري بدافع من وطنهم ولذلك كان كل واحد منهم يشعر ويقاتل في سبيل تحرير وطنه وأن كل شبر من
أراضي هذا الوطن قد استحوذ عليها بجهده وعرقه ودماء رفاقه. وأن هذا الكيان الذي وصلت إليه البلاد قد دفع ثمنه غالياً وأصبح حقاً من حقوق أمه وعلى يقع واجب الدفاع عن هذا الحق.

لقد كانت النسبة في العدد والعدة بين جيش الثورة والجيش العثماني الذي كان ينافذه كبرى جداً ومع ذلك فكانت الغلبة دائماً للجيش العربي والمبئرة بيده وذلك بسبب كفاءته وقوة معنوياته. لقد كان هذا الجيش لا يتجاوز عده الثمانية آلاف، ومع ذلك كان يقارب خمسين ألفاً من الأتراب. وقد كان مجموع ما أسره من الجيش التركي على ما اعترف به الإنجليز أنفسهم 35 ألفًا.

لقد علل السيد إحسان الهندي في الصفحة 84 من كتاب ميسلون أسباب إنهاء جيش الثورة بقوله:

"وأما أن جيش الحجاز الأصلي هو جيش غير نظامي، تعود على حرب العصابات أكثر من تعود على الحرب النظامية، وإذا فز عليه يعد من اللائمة الاحتفاظ بهذا الجيش خصوصاً وأنه قسماً كبيراً من ضباطه وجنوده يحتمل أن يتحول إلى أهلهم وعشائرهم في الحجاز وفي الأردن...

ربما أن الخبراء العسكريون في دمشق أنه يمكن تشكيل نواة جيش جديد من مسرحي الجيش التركي، ومن سيختارون البقاء في الجندية من أفراد الجيش الحجازي الأصلي، ومن سيتطوعون من أبناء بلد الشام للخدمة في الجيش العربي الجديد، قاموا عن طريق "رأس ديوان الشؤون العربي" بحل الجبهة السابق وتشريع قسم كبير منه، وابتدأوا مباشرة، من طريق التطوع والاستدعاء للخدمة تشكيل جيش منظم حسب الأصول الحديثة.

لقد ألف السيد الهندي كتابه "حركة ميسلون" في سنة 1917 أي بعد تلك الموقعة بأكثر من 47 عاماً ويفلب على الظن أنه
استناداً ما كتبه عن إلغاء جيش الثورة من أحد أولئك الضباط المتبقين من ذلك العهد لذلك نرى أن تبين الحقيقة شيء من التوضيح.

عندما أعلنت الثورة لم يكن مع الشريف حسين في الحجاز ضباط ولا جنود، لقد كان جميع المقاتلين من البرد، انقسموا إلى ثلاث مجموعات كل منها تحت قيادة أحد أنجاليه.

كان الحسين قبل قيام الثورة قد قدر أن ثورته ستحتج إلى جيش نظامي فتطرق أثناء مفاوضاته مع الأنجليكز إلى هذه الناحية وتقرر أن يستعان على هذه الأمنية بتطويج الجنود والضباط العرب الذين أسهم الأنجليكز في ميدان فلسطين والعراق على أن يقدم الأنجليكز جميع ما يحتاجه هذا الجيش من أسلحة ومعدات.

واخذ الحسين من اليوم الثاني للثورة بلغ على الأنجليكز لإرسال الضباط والجنود إلى الحجاز للبدء في إنشاء الجيش وفي 15 رمضان 1334 هـ أرسل برقية إلى المندوب البريطاني في مصر يعيد أعلن الثورة بخمسة أسابيع قال فيها:

"مطلب إمكان من السرعة تبعنا ضباطاً لتألف قوة البلاد المنظمة فإن أمرها أصبح أول شيء تحتاجه البلاد.

ولا ريب أن هذه البرقية القصيرة توضح إحساس الجنين بالأهمية التي كان يوليها لوجود الجيش النظامي في دعم الثورة واستمرارها.

وفي 2 أب 1916 وصلت إلى جدة أول قافلة من المتطوعة وهم الربيع الأول من الضباط المجاهدين الذين لبوا نداء الثورة العربية الأولى وكانت هذه القافلة تتكون من:

 ضابط ركن عراقي
 نوري السعيد
 ضابط مدفعي عراقي
 سعد المدفعي
محمد طلبي
ابراهيم الزاوي
عمرو عبد الهادي
الدكتور أمين مخلوف
طبيب سوري (لبناني)
الدكتور خليل الحسيني
طبيب سوري (فلسطين)
رشيد المدفعي
راضي سريست

ونلاحظ أن جميع هؤلاء الضباط من صنف المدفعية وكان
برفقتهم في الباخرة نحو 120 ضابط صفي وجندي مدفعي
جميعهم عراقيون وأربعة مدافع مع حيواناتهم وعتادهم(1).

وفي 5 أيار 1916 وصل إلى جدة عزيز علي المصري ليقوم
بتنظيم الجيش العربي وعين وزيراً للدفاع، وعزيز علي من
رؤوس الحركة العربية وزعيم الضباط العرب في الجيش
العثماني ومؤسس حزب العهد العسكري الذي قام ببث الفكرة
القومية العربية بين الضباط العرب في الجيش العثماني. وأن
أكثر من ذكرناهم أعلاه من الضباط كانوا من أعضاء هذا
الحزب.

وتعاقبت بعد ذلك قوافل الضباط والجنود من معتقلات الأسر في
الهند ومصر إلى ميدان الثورة وكانوا يوزعون بين الجيش
الثلاثة التي ذكرناها، أما هذا زخم الهجوم التركي وتحولت
المبارة من الاشتراك إلى الجيوش العربية واستسلمت مدينة
الطائفة توجه جيش الأمير عبد الله الذي كان يلاحقها
للاشتراك في القتال مع الجيشين الآخرين في أطراف المدينة،
وحين أثر الاشتراك الحصار فيها وتوجه فيصل بجيشه نحو

مذكرة اللواء إبراهيم الزاوي، ص.72.
الشمال واحتل الوجه، قبلت الخطة التي اقترحها عزيز علي المصري بأن يصار إلى تقسيم جيوش الثورة إلى ثلاثة، اثنان يقومان على حصار المدينة والثالث يكون جيشاً متحركاً مهيأاً لتخريب خطوط الاتصالات والاندفاع إلى الشمال، وتقرر أن يقوم جيشاً الأمينين على وعند الله علّ حصار المدينة المدنية وأن يكون جيش فيصل هو الجيش السيار، وعلى ذلك بشر بتنصيب أطراف الضباط والجنود النظاميين في جيش فيصل.

واعطائه بعد ذلك جميع الملحقين من المعتقلات وفي مقدمتهم جعفر العسكري الذي عين قائدًا عامًا للجيش فيصل.

وهكذا أصبح في مبانين الثورة منذ الشهر الثاني لقيامها صنفان من المقاتلين الأول الواجهة الجيش النظامي الذي جرى تشكيله وتسيعه بصورة مستمرة وسريعة. والثاني من رجال الاستشارات وهو الاسم الذي عرفوا به، أي أنهم لم يسموا جنداً، ولم يكن لهم تشكيلات خاصة ولا قادة من الضباط وليس لهم نظام عسكري ولا مخصصات ثابتة. يجتمعون برئاسة شيخهم ويعتقلون كقوة مساعدة للقطاعات النظامية حسب أساليبهم.

أما العسكريين النظاميين فقد تقرر تنظيمهم حسب الأنظمة العسكرية المعروفة ووزعوا على الوية وأفواج وسرايا وفصائل جيش وحظائر وإلى صفوف مشاة ومدفعية وخيالة ومدفعية وحربية وكان قادرهم وجميع ضباطهم ممن تشاروا وخدموا في الجيش المشاعي يرغبون مختلفة من لواء حتى مرشح ضباط وجميعهم كانوا إما من تطوروا من معتقلات الآسر كما ذكرنا أور ممن فروا من قطاعات الجيش التركي والتحقوا بيد جيوش الثورة أو ممن أسووا خلال المعارك من الجيش العثماني وقبلوا الالتحاق بجيش الثورة.

(2) كاتب هذه الأسطر أحد هؤلاء
ومنهذا افتح الشريف ناصر العقبة بالعشيء الشامبة بقيادة أحد شيوخهم عودة أبو تايم لم يكن منهم العشيء الحجازية سوى مدندوياً كحرب خاص للشريف المذكور. وينقل الأمير فيصل بجيشه النظامي من الوجه إلى العقبة ولم يستصحب معه من العشيء الحجازية سوى عدد قليل من الهجالة والخيالة كحرب خاص له وليقية الأشراف والمستخدمين الذين بعيته. ولم يكن لهؤلاء صلة أو علاقة بالجيش النظامي. 

وبعد وصول الجيش النظامي إلى العقبة جرى تنظيمه بفرقتين كل فرقة من لوائي وكل لواء من فوجين أو ثلاثة وكل فوج من ثلاث سرايا مشاة وسرية رشاش وفصول نقلية كما جرى تشكيك لواء خيالة باسم لواء الهاشمي من سرية خيالة وسرية رشاش(4) وتشكلت المدفعية بلواء صحراء من بطاريتين كل منهما من مدفعين أو أربعة ومن لواء مدفع جبلية عيار 7.5 ببطاريتين كل بطارية من مدفعين أو أربعة. ونظمت الإعارة والمهام والتقلبات بريئسة ضباط.

وكان قائد الجيش الذي قام بهذا التنظيم اللواء جعفر العسكري يعاونه رئيس ركنه العقيد نوري السعيد. وتشكل المقر العام من ضباط ركن آخرين يترأس كل واحد منهم شعبة (العمليات، الإدارة، الاستخبارات، اللواء، الصحة، المحاسبة).

وجميع هؤلاء الضباط ممن نشأوا في مدارس الجيش العثماني ومنهم من تخرج من مدرسة الأركان ومنهم من أكمل تحصيله العالي في الثانية (كجعفر العسكري). وكذلك ضباط الصف.
والأجناد جميعهم دون استثناء ممن خدموا وتدريبوا في الجيش العثماني وليس منهم من لم يمارس الحرب في الجيش العثماني كما هو واضح من طبيعة التحاقهم بالثورة لأن أكثرهم اسروا أثناء المعارك أو التحقوا من إحدى الجبهات.

ولم يكن بينهم جبان لأن الجبان يعتبر الوقوع في الأسر نعمة قد أنقذته من ويلات الحرب فهو لا يعود ويتطوعليبتي بها.

إذا فالجيش الشمالي الذي اقترح ياسين الهاشمي الفاها للأسباب التي ذكرها السيد إحسان الهدفي في كتابه (معركة مسلون) لم تكن أسباباً حقيقية. فالجيش الشمالي كان يجمعه ضباطاً وجنوداً جيشاً نظامياً مدرياً ومنظماً يتفوق على الجيش العثماني الذي يحاربه بجميع التواج، خصوصاً لجهة ودة عناصره وانسجامهم بقوميتهم وإفكارهم وآسائهم ومشاعرهم بخلاف الجيش العثماني الذي كان يشكل مما لا يقل عن ثلاثة عشر سنة لا تجمع بينهم إيه رابطة فهمهم العربي والتركي والكردي والألباني والأرمني والرومي والبوسناوي واللادي والتركماني والتركي والشامسي واليهودي والفرجي وجميعهم غير ممسجمون ولا مختصين لا لجيشهم ولا لبعضهم باستثناء الأتراك.

لم يكن في جيش الثورة النظامي ولا بديري واحد ولا ضابط غير شامي أو عراقي سوى ضابط واحد يُمالي اسمه (سُرِي) كان في الأصل ضابطاً في الجيش العثماني كباقي الضباط، كما لم يكن في الجيش كما ذكرنا ولا ضابط حجازي لأنه في الأصل لم يكن في الحجاز ضباط ولا جنود حجازيون بسبب إخفاء الحجازيين في العهد العثماني من الخدمة العسكرية وعدم وجود مدارس عسكرية فيها.

كما أن جيش الثورة لم يحارب على أصول العصابات قطعاً.
فرجح جميع المعارك التي دخلها مع الجيش التركي جرت على الأصول النظامية وبموجب خطط منظمة كما هي مفصلة في الثورة العربية الأولى كما عُرفت.

إن الطريقة التي جرى بموجبها إلغاء الجيش الثورة كانت مقصودة لذاتها وكأنها جرت ببراءة خفية من الفرنسيين والإنكليز لإبقاء البلاد بلا جيش يدافع عنها خصوصاً وإنهم كانوا يعرفون الشيء الكثير عن الأعمال التي قام بها جيش الثورة ومقدار خطره على أطماعهم. اتنا لا نقصص القول بأن الإلغاء جرى بإيعاز من الفرنسيين أو باتفاق معهم وأنه خيانة ولكننا في النتيجة كان عملًا وصل إلى تلك المرتبة.

بعد صدور الأمر بإلغاء الجيش الثورة بقي جميع ضباطه لم يسرح منهم أحد ولكنهم بعثوا بين القطعات الجديدة التي بدأوا بتشكيلها. أما الأفراد فإنهم بعثوا أيضاً وسرح من أراد منهم التسريح بعد أن افترق عن رفاقه وهذا لم يبق في البلاد لا جيش الثورة القوي الذي كانت تكال هامته وتقوى معنوياته الاستعراضات ولا جيش جديد يستطيع هذا الاسم لسبب تفككه وسوء عنصريه. كما سينتبين ذلك مما سنتشرحه في الصفحات القادمة.

كان للأوامر التي صدرت بإلغاء جيش الثورة أسباب أخرى. في منتسبى المفرزة الشمالية التي تحولت إلى لواء خيالة واستقرت في جلاب على ملاك الفرقة الثالثة. وبناءً على إلحاح قادتهما والشريف ناصر تقرر عدم إلغائها وأعطي لها اسم جديد يتفق مع ما قامت به من أعمال وهو (لواء الفتح الخيالي) لأنها بالفعل قد أصبحت لواءً خيالاً ولكن القرار بعدم إلغاء هذا اللواء لم يخفى شيء. فقد جرى نقل ضباطه تدريجيًا إلى قطعات أخرى وسرح أكثر أفراده حتى أصبح كباقي قطعات الجيش التي تشكلت حديثاً متفككةً بسبب عدم انسجام عنصريه وانحلال...
عقائدهم والعملاء الذين نفذوا إلى داخله للإفساد والتخريب. كما سيتضح ذلك عند استيلاء الفرنسيين على حلب. تلقى الشريف ناصر أمرًا من الأمير فيصل بِلبزوم حضوره إلى دمشق ليبقاء إلى جانب أخيه زيد خلال غيابه في الغرب، وأصر الشريف ناصر على بقانه برفقته، ونزل في دمشق في دار استأجرناها في شارع السكة قريبة من دارة الأمارة وقيت على ملاك لوازي بصفة ضيف على ملاك مراقب دار الأمارة.

لقد تسنى في خلال وجوهي مرافقًا للشريف ناصر في حلب بحكم وظيفتي التعرف على أعيان البلد وزعمائها وعلى الطبقة الدينية من الشباب العام وكبرى الموظفين ورجال الدولة الذين كانوا يؤمنون حلب.

وكانت دمشق في ذلك الوقت مركزًا للنشاط السياسي والقومي لسورية الطيبة فقط بل للحجاز والعراق أيضًا، وكانت العناصر الفعالة من رجالات هذه الاقتراز تعمل في دمشق فتجد فيها لنشاطها المدى الواسع والعون والتشجيع وكانت سياسة الدولة تتجاوب مع مبادئ الثورة العربية وروحية فيصل فتشتت هذه الدولة على أساس قومي بعيد عن الإثنيمية فكانت الوزارات والمديريات والمحافظات وجميع الوظائف الكبيرة والصغيرة يعين لها الأكفاء البلاقون، بصرف النظر عن القطر الذي يتنموه إليه. وهكذا يقال عن النشاط القومي، فالفلسطينيون الذين يعملون لإنقاذ فلسطين من الانكليز وجد بلغور ورجال المسواحل الشامية الذين يعملون لدرة الخطر الفرنسي، والمصريون الذين يعيدون ثورتهم ضد الاحتلال الانكليزي، جميع هؤلاء كانوا يجدون في سوريا المكان الأمين والعون المادي والمعنوي، وكان بلا قواعد الموت لجميع هذه النشاطات منه يستمدون ما يسهل أعمالهم ويشجعهم ويسدد خطاهم.
كل هذا لا يعني أن الأمر لم يكن ليخلو من دسائس الفرنسيين
庇thonاً بواسطة أعوانهم وعمالاتهم الكثيرون النبلين في جميع
أنحاء البلاد وفي دوائر الدولة والجيش لإشاعة التفرقة وزرع
بذور الخلاف ونشرها بين أصحاب المصالح، وساعدهم على ذلك
الجهل وعدم النضوج القومي.

ومما أشاعوه في سبيل تفرقة القلوب والجهود نغمة عراقي
وسوري وفلسطيني و لبناني ومسلم ومسيحي، شوري و غير
شوري، وبالرغم من أن هذا الصوت كان يبدو ضئيلاً بين
صياحات القومية العربية وحماسها لكنه في الحقيقة كان ذا أثر
أليم في النفوس استغلله الفرنسيين والانكليز والشعوبيين من
أعداء العرب أعظم استغلال.

كانت في هذه الحقبة أتمنى إلى البلاط في عداد المراقبين
وبطيعة عملي تهياً في التعرف على الكثيرون من العاملين في
الحمل الوطني، وأن الخدمات التي تهيأ في القيام بها أثناء
الثورة أكسبتني شيئاً من القدر والاعتراب لدى الأميين.
فيصل وزيد وجعلت لي لديهما دالة انعكست على الآخرين فكان
لها أثرها في نفس من كنت أتعرف إليهم من الرجال العاملين
وكان لهذا التعرف آثاره ونتائجه بنسبة لشخصي في خلال
الستين المقبلة، لقد كان بلاط فيصل المركز الذي تبعت منه
وتدور حوله(5) السياسة العربية بأجمعها بمشاكلها ومختلف
أنواع نشاطاتها. ففي هذا الجو كنت أعيش وأتعرف على
مختلف الشخصيات ومختلف الأمور.

5) ومن تعرفت عليهم في ذلك الوقت هاشم الأنصاري، جميل سريم، رشيد طليع,
أبراهيم مهنا محمد كريدي، أحمد مردوخ، لطفى الحفاري، شكري颧ودي، نبي
العظام، عادل العصمة وغيرهم كثيرين.
قوة الهجالة

بعد عودة الشريف ناصر من حلب وقرار بقائه في دمشق، صدر الأمر بعودة الهجالة المحاذيين الذين كانوا في حلب بإشراف الشريف مطر فاضيفوا إلى باقي الهجالة الذين جرى تجميعهم ممن كانوا في مهبة الأمير وباقي الأشراف. وتشكل من مجموعهم قوة واحدة بقيادة الشيخ مروزق التخيمي واعتبرت كحرس خاص للأمير، وأصبح من الضروري وهم متنركزون في داخل مدينة دمشق أن يصادر إلى تنظيمهم بتشكيل شبه عسكري لتأمين أمور ادارتهم وتدريبيهم وضبطهم، وكلفني الأمير زيد أن أساعد الشيخ مروزق التخيمي بهذا التنظيم فنظمنا لهم منهج تدريب ملائماً وأنظمة للواجبات وقضايا الضبط وقد بقيت هذه القوة وسرية الحرس الملكي النظامية التي كان جميع جنودها من اليمنيين الذين كانوا في الجيش الشمالي هي القوات الوحيدة من جيش الثورة التي بقيت سليمة من التشتيت ولم يكن لقوة الهجالة هذه ارتباط بالجيش لا من الوجهة الإدارية ولا العسكرية ولا المالية، بل هي مرتبطية بالإمير زيد مباشرة. وفي موقعة ميسلون كما ستلاحظ ذلك في مكانه ظهر النفع العظيم الذي حققه هذا الترتيب عندما بقيت هذه القوة سليمة من إفساد العناصر الأموية من الداخل كما وقع في أكثر قطعات الجيش وقد سألت أيضاً من التسريح وكانت هي وسيلة الحرس الملكي القويين الوحيدتين اللتين حاربتا في موقعة ميسلون بموجبهما الكامل كما سيتضمن ذلك.
حالة الشعب

كانت فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى من أصعب وأخطر الفترات التي مر بها القطر
الشامي كان الشعب خلالها يخطو أولى خطواته في سبيل تكوين شخصيته وينفض عن كاهله غبار أكثر من ألف سنة من الاستعباد. وقد أضاع خلال هذه السنين الطويلة شخصيته واعتداده بنفسه وما أديره من تراث، وأصبح عالة على مجد إجداده. لقد أضاع شعوره القومي تحت حكم القوميات الأخرى التي تعاقبت على حكمه بالظلم والتحجر مستمدة شرعية حكماً من الدين ومن شعار (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) مع محافظةها على قوميتها واستهالتها القومية، والف على مرور الزمن الخروج والذل والاستسلام. وأصبح من أمثاله الدارجة على كل لسان (من أخذ أمي صار عمي).

خرجنا من الحكم التركي ونحن متفرقون مفككون المسلم، مسيحي، شيعي، سنو، اسماعيلي، نصيرية ودريزي. ومن القوميات الأخرى تركي، تركمانى، شيرازي، كردى، إلابى، وأرمنى، وجميع هذه الديانات والمذاهب والقوميات مختلفة مع بعضها كل منها تعتبر نفسها غريبة عن الآخرين وتعتقد أنها مغزبة مهضومة الحقوق. لقد كان المسيحيون بصورة عامة لا يزالون تحت تأثير الماضي. لقد كان المسيحي في العهد العثماني
مواطنين من الدرجة الثالثة، لا يشعر أنه مواطن له حقوق وعليه
واجبات، فلا يعقل أن ينقلبوا بمجرد خروج الأتراتك قوميين
عريباً وينسوا كل ما مر بهم. من ظلمهم وإهاناتهم خلال تلك
القرن الطويلة. وهكذا كانت أكثرية المسلمين، غير مرتبطة
للمحكم الوطني فقروا أصدقاء لفرنسا. أما اليهود فهم شعب
عدو لكل ما هو غير يهودي ففضلون أن يكونوا تابعين لأي حكم
اجنبي، والشيعة في حينهم منكششين يشعرون بغربتهم عن
الأكثرية السنية وقد لجأ عدد غير قليل منهم للحصول على
الجنسية الايرانية لتعميده من ظلم الدولة، والتصعيدية في
جبالهم، منعزلين تحت وطأة الفقر والجهل والأعمال، لا يعرفون
عن الحكم سوى أنه ضريبة إلى الجاني في يد الجاندروه
(الدرك)، وهكذا الإسماعيليون المرتبطون مذهبياً واجتماعياً
باعا خان، والدور في مناطقهم الجبلية يشعرون بغربتهم عن
جميع من يحيط بهم وهم دائمًا في ريبة وعدم اطمئنان
والحكومة في نظيرهم عدو مشدود بهم. أما الأقليات العنصرية
كالاتراك والشاركسة والتركمان وغيرهم ففي واقع ولاهم للأتراتك
يعتبرون أن هذه الحركة العربية التي نقلتهم عن الأتراتك
المسلمين بالتعاون مع الانكليز الكفار حركة خائنة، ويفتق معهم
بهذه الفكرة أكثرية رجال الدين المسلمين والكثير من العامة.
أما عشائر الألفوف من الأرمن明清يين منهم والهاجرذين الذين
 تعرضوا خلال الحرب للدمار التي أقامها لهم الأتراتك فقد
أعطوا ولاهم لفرنسا التي عطفت عليهم خلال الحرب وبعدها
فطغوا فيها وحاربوا معها لينتقروا من المسلمين ولم
يكونوا قد توصلوا بعد للتنسيق بين العرب الذين عطفوا عليهم
أثناء منحتهم وانقروا عشائر الألفوف منهم بالرغم من انهم
كانوا مثلهم تحت وطأة مذابح من نوع آخر، وبين الأتراتك
 الذين أقاموا لهم تلك المذابح. وكان يافي الشعب الشامي الذي
خرج من عين الحرب مهشماً ينفض عن كاهل آثار النكبات.
التي نزلت به خلال الحرب، لا يزال مأخوذًا بفرحة الخلاص والتهيؤ غير متقدم لما يتطلبه الحكم الوطني من تضحيات وواجبات وكان لا يزال تحت تأثير عقدة عداء الحكم التي كونتها في نفسه المظالم التي عانتها من الحكم الأغراض عنه منذ سنوات السين وکانت الفكرة القومية عنده لا تزال جديدة لم يفهمها على حقيقتها، وقد فسرها له بعض الجهلاء والمغرفين من أعداء العرب على أنها عداء للإسلام وتفريق للمسلمين، وقد وجد الكثيرون من قنابل الأتراك والفصائل الأخرى وعملاء الأجانب من هذه الفكرة منفذًا يدخلون منه لتشكيك بها.

هذه هي حقيقة أكثرية الشعب في تلك الآونة العصيبة من حياته، وقد وجد فيها الفرنسيون الطامعون باستعمار البلاد ما سهل عليهم مهتمتهم فاستغادوا من هذا الضعف فراحوا يتفخرون بئاره ونار كل خلاف لييجوه ويطعمهم إصبعهم في كل خرق ليوسفه وقد وجدوا لهم في الجهل وعدم الوعي مساعدًا يعينهم على الوصول لغايتهم، ف половинهم به معيانًا آخر لا يقل عنه تأثيرًا وهو المال فصرفوا منه الملايين بل عشرات الملايين ووجدوا أصابهم الطريق ممهدة لشراء الألوف من المستضدين لبيع أنفسهم. إذا كانت الشعوب تناشأ في أعمالها وافتكارها بزعاماتها، ففي الفترة التي نتكلم عنها كان في البلاد ستقام من الزعامات، الأول: أولئك الذين ورثوا زعامتهم عن آبائهم الذين حصلوا عليها بما قدموه للدولة من خدمات أعادتها على ظلم الشعب وحققت لهم الجاه والثراء، ولا غادر الأتراك البلاد أظهروا ولاهم وحماهم للحكم الوطني للمحافظة على مصالحهم وتفوزهم. وظهر منهم فيما بعد من وآل المستعمرين وأخلص لهم أكثر من إخلاصه لوطنهم.

والصفن الثاني من الزعامات، هي التي كانت تستمد زعامتها من مكانتها العائلية أو الدينية وكان أكثر هؤلاء كغيرهم من
أفراد الشعب لم يدركوا بعد المعنى الحقيقي من الحكم الوطني فكانت زعامتهم لا تتعدى مشاركة الشعب بمشاعره دون أن يكون عندهم المقدرة على معالجة شؤونه.

وكان هناك فئة من المتعلمين الذين ناضل بعضهم في العهد التركي في سبيل القضية العربية وأعد الاتراك قسماً منهم بسبب هذا النضال، ولكن لم يكن بين هؤلاء من سبق له ممارسة العمل السياسي وتعلم قيادة الجماهير. فامتتصتهم الوظائف وجعلتهم فوق كراسيهم يталعون تحت ضغط حماس الشارع.

لم يكن هناك غاية وطنية متوخاة لها أهداف مدرسة خططها خبراء علماء تفرغوا لدراسة ما من جميع وجهاتها وتواحيها. كانت جميع الأمور تعالج بصورة ارتجالية تحت تأثير حماس الشارع وشعاراته. وكان الشارع لا يزال كما تركه معاوية ابن أبي سفيان (لا يفرق بين الناقة والإبل) ويتطبق عليه قول الشاعر الذي كرر في المجتمع الشامي (طلب يجمعه وعصي تفرقه).
العودة إلى حلب

في هذه الآونة كنت لا أزال أقوم بوظيفة مرافق
للشريف ناصر في دار الأمارة وقد بدأت اختيار
من هذا العمل الرتبة الأثيوس الذي لم يتلاحم مع تقسيتي بما
تعودته من حياة الجندة الخشنة خلال سنوات الحرب الأربع,
والإنسان حريص على ما ألف. ولذلك قررت العودة إلى لوائي في
حب واقتضى ذلك الشريف ناصر فكان لي ما أردت. استقبلت
أخواني في اللواء وسوا بيدتي. ما كنت أقف على ما حصل
بثناء غيابي حتى انتسابتي الفم وندمت على عودتي. إن أكثر
ضباط الصف والجنود سرحوا والضبط والإدارة قد تبدلت بما
لا يسر حتى أن المال الذي كنت قد تركته في صندوق السرية
(وهو من الكفايات التي كانت تعني لنا لتصرف في مصالحها)
وكانت نحو ١٨٠٠٠ جنيه قد ذهبت بغير طريقها. وكان
الملازم عبد الله الذي ناب عني في قيادة السرية مدة غيابي قد
اهمل أمور السرية وانهمك بملذاته وتصرف بأموال السرية حتى
عمد إلى التجهيزات التي غنمها من الأتراك حين خروجنا حلب
وكانت في مستودع كبير فتصرف بها تدريجياً حتى بايعها
بأجمعها. وكان يحسن التملق وكسب رضا الأمراء فتمكن من
اكتساب ثقة ومحبة قائده اللواء الطيب القلب حتى انتي حينما
فاتها ب애مه وطلبت إليه محاكمة لمهامته لم يوافق خوفاً من
الضيده، أما باقي السرايا فقد نقل بعض ضباطها واستعيض عنهم ضباط من المتقنين من الجيش التركي وأصبحوا أكثرية. وبعد أن كنا في مجتمعاتنا نتحدث عن الثورة وعن المعارك التي خضناها وشهدناها وأعمالنا القومية في المستقبل صندنا نتحاشى الخوض بمثل هذه الأمور التي أصبحت مجملة للجدل مع هؤلاء الضباط الذين كانوا يتنصتنا و يشجعوننا للاشتراكا بالثورة ضد السلطان أمير المؤمنين. فتصور كم كان وقع ذلك أيماً على نفوسنا.فقد كنا نفرح بما فعلناه لتصبحنا منهم يوطنينا وديننا. من الفائدة أن اذكر حادثة جرت لي قبل مبارحتي لحلب وانتقالات مع الشريف ناصر إلى دمشق سأذكرها الآن لما لها من صلة بالأحداث التي ستكمل عنها فيما بعد. جرت هذه الحادثة في الأشهر الأولى من دخولنا إلى حلب: لاحظت أن الملازم سعد الله الذي مسرذكره يصرف على مبانه أكثر مما يتحمله راتهبه. ففي إحدى الأسماوات سألته عن كيفية تأمته لهذه الأموال فأجابني يقوله: أنت أيضاً يمكنك الحصول على أموال أكثر مما أحصل عليه أنا. ولا سالته عن كيفية ذلك قال: إن الجيش الاستكليزي سوف ينسحب من البلاد وسيطر محله الجيش الفرنسي وسيسرح الفرنسيون الجيش العربي وسوف يشكل عوضاً عنه جيشاً جديداً وأنهم يقومون الآن بانتخاد الضباط الذين سيعتمدون عليهم ويدفعون لهم رواتبهم من الآن مقابل خدمات بسيطة، ويدفعون أيضاً لبعضهم علاوات مقابل خدمات إضافية مثل: أنا أتقاضى 50/1 جنيهًا شهرياً ولو أني كنت في مكان لدفعوا لي بالتأكيد ألف جنيه في الشهر بسبب أنك مرافق للشريف ولديك الشفرة السريه ومجموع أسرار دار الأسد ولاDecoration أن تقدم لهم خدمات لا تقدر بثمن. فأجابه بجد وانفعال، إذاً انت تتجسس للعدو ويتقاضى راتبباً من دولةنا والثاني من عدونا وبرسرعة، وما أودي منه من لسان زوب قلب الحديث إلى منزل
واقتعمني بأنه غير جاد بما حدثني به. وبعد ذلك بآيام وفي
مناسبة أخرى تطرق للحديث نفسه وقال مازحاً: ان مبلغ الألف
جيني في الشهر صعد إلى الألفين فظهرت وقلت له: اكر في هذه
المرة أن أصدق ما قلته، فاضطراب واقتعني بأنه يمزح ولم
يفاتحني بعد ذلك بهذا الأمر وبعد هذه الحادثة بثمانية سنوات
أي في سنة 1936 وكمت آلياً من العراق للاتصال بالشورية
السورية عن طريق دمشق - لبنان - شرقي الأردن - جبل
العرب - الغوطة. وفي دمشق صادفت هذا الضابط في إحدى
المتزهات فعرفني قبل أن أعرفه لأنه كان بقيافة مزية قدوته
للجلسينجلس وبدأ يشكو لي حالته وما أصابه من بؤس وعوز
وجوع وسجن وأن كل ما قاله كان من الفرنسيين بالرغم مما
قدمه لهم من خدمات على حساب وطنه وشربه إلى أن تطرق إلى
الحديث الذي حدثني به في حلب فاعتبر أنه كان حديثاً جدياً
ثم شرح لي كيفية دخوله في خدمة الفرنسيين وتجسسه
لحسابهم إلى أن قال: إن الأمر الذي فاتحنا به في حلب كان
حقيقياً لأنهم كانوا مهتمين به بسبب وجود الشفرة لديكم
ووتفريق لكم بطريقة وضيفتك على الأمور التي تجري بين دمشق
والحاكم العسكري رئاة الإمارة إلى أن قال: وقد كانوا يدفعون
في زيادة عن غيري من الضباط الذين في خدمتهم لكوني كنت في
معيتك راسمياً لأن أحصل منه على ما يهمهم من أخبار. وإنما
لم أتمكن من ذلك كنت ألفها وأحصل على مكافآت إضافية
عنها تتناسب مع أهمية الخبر. فمن هنا كنت أصرف بسعة
واهم ما قدمته لهم من خدمات كان عندما تقدم الجيش
الفرنسي لاحتلال حلب فقد تمكنت من إشاعة الشك والبلبلة بين
الضباط بالتعاون مع من كانوا مثلي في خدمتهم كما كنت على
اتصال بهم أخيرهم عن ترتيبات اللواء من أجل الدفاع عن
حبل. وبعد دخولهم إلى حلب طلبوا إلئ الاتصال بثورة الشيخ
صلاح العلي كمجالد فعلت. وهذًا شرح لي مطولًا الخدمات التي قدمها لهم خلال ثورة الشيخ صالح العلي. إلى أن قال:
ويعود كل تلك الخدمات نبذوني ثم سجينوني وما أنا ذا كما تراتي لا أحد لقمة العيش وصار يشك. استنتجت من مجمل حديثه أن السبب فيما حصل له من قبـل الفرنسيين هو الأقلاـل من عطائتهم بعد أن نفتّدت حاجتهم إليه. ولأنه كان قد تعـوـد الصرف الكثير بما يكسبه بالجهد القليل فقد أخذ يستعمل معهم في سبيل الحصول على المال طرفاً أكثر التواء وتحايلًا مما كان يتبعه سابقاً فانتفكه أمره فاعتبره بالسجن عدة أشهر ثم طرده من عمله كجاسوس وحرم من الدخول في دورة الضباط التي افتتحها للزملائه في جامع دنكر عقب دخولهم. لقد أطلت الكلام على هذا الضابط لأنه كان يمثل صورة لعدد غير قليل من الخونة الذين كانوا من الأسباب الرئيسية التي سهلت للفرنسيين الاستيلاء على البلاد بتلك الصورة التي سنذكرها.

كانت حالة اللواء عندما عدت إلى حلب على الصورة التي ذكرتها فبدأت أفكر بالانفصال منه. وأثناء ذلك صدر بلاغ بطلب ضباط يتطوعون للخدمة في الحكومة الحجازية بسبب اقتصاد جيشها نتيجة المعركة التي وقعت في موقع تعب مع ابن السعودية. فتجمع وغادرت حلب إلى دمشق. وفي دمشق وجدت معارضة لتطوعي فقد طلبني الأمير زيد وكلفني بالعودة للبلاد كمرافق فأعتذر وأقترح أن أعين في أي محل أريده على أن أبقى في دمشق وذكر لي أن هناك عملًا سيكلفني به فيما بعد. وعينت أسمًا لسرية رشاش الفوج الثاني من اللواء الأول. وفي هذه الآونة علمت بوجود لجنة من كبار الضباط العراقيين بقيادة على جودت الأوليي يقومون بتطوع الضباط العراقيين للعمل في العصابات التي يشكلونها للعمل على الحدود العراقية في جهات دير الزور ضد الأنكليز. فتقدمت إلى اللجنة بتطوعي ولم أحدث...
إليهم بعد يومين لتلقي الجواب البلغوري عدم موافقة الأمير يزيد لأنه يريد بقائِي في دمشق لأعمال أخرى.

لقد جرت معي عقب عودتي من حلب الحادثة التالية التي ساذكرها أيضًا لما لها من أهمية في تفهم الوضع في ذلك الوقت.

في أحد أيام الجمعOfWeekلت مقوية النصر الكاذب فيطلعة رامي وكتبت على موعد مع صديقي محمود الهندي، وهناك وجدت بجانبه ضابطًا آخرًا أسمه اسمه تقب كتب أعرفه من الجيش التركي عندما كنت في مركز تدريب الرشاش الذي أقامه الألمان في عين كارم قرب القدس. وقد عاد عقب انتهاء الدورة إلى الجبهة وهناك وقع أسرًا بيد الإنكليز وفي المعتقل تطوع في جيش الثورة. وكان قصص القامة بصورة غير عادية يكاد أن يكون قزماً فكونت هذه الظاهرة عقدة في نفسه مرتكب نقص جعله متكبرًا شرسًا حقوقيًا. وفي العقبة جرب له حادثة مع القائد العام سبب اعتقاله ثم أرسل إلى مكة مخفوًا ودخل السجن ويقي فيه حتى نهاية الحرب حيث أرسل إلى دمشق ودخل الجيش العربي ولكنه كان ناقصًا على الثورة وعلي الإشراف وعلي الارتباط كلها. يوجد الجو في تلك الحقبة صالحًا لإظهار شعوره فصار يعلن نقمته على الحكم الوطني دون تحفظ. وله أصبحنا وجدنا في إحدى روايا المقهى قال لنا: «الا تزالان مغفلين، تظاهرا أن هذا الحكم سيستمر. أن فصيل سوف يفوض خيانته ويعود للحجاز، وهذه التي تسمونها حكومة عربية سوف لا يعبر عليها أشهر قليلة حتى تزلج، وسوف تأتي فرنسا لتشكيل حكومة وجيشه (مثل الأوادر)، وأنت إذا كنت عندما عقلك فعلتًا بما فعل فقال إن الفرنسيين يهبون كل شيء من الآن فعمل دخولهم البلاد سوف يسرحون هذا الجيش ويشكلون جيشاً جديداً».
وسوف لا يقبلون فيه سوى الضباط الذين يبرهنون من الآن
على خلاصهم وولائهم لهم في سبيلهم ودعمهم لهم ورائهمهم
من الآن وأن الكثير من الضباط قد تسجلوا عنهم ومنهم من
تعرفونهم فلان وفلان... وقد قمت بالتوسط لتسجيل فلان
وفلان... وآنا مستعد وآنا صديقاي أن أقوم لكم بهذه
الخدمة. فسألت كيف يجري ذلك قال، نذهب إلى دار المعتمد
الفرنسي الكولونيل كوسى وهناك يجري التسجيل. فقالت له:
قبلنا. وقررنا الذهاب في صباح اليوم الثاني. ونا اقتربنا عنه
سألني محمود: أنت جاد بقولك؟ قلت له نعم وغدا يجب أن
نذهب ونتحقق من الأمر بأنفسنا لأن المسألة على غاية من
الأهمية والخطرة. وفي اليوم التالي ذهبنا برفقة ذلك النقيب إلى
دار الكولونيل كوسى الكائن في منتصف الزواف المواجه للنادي
العسكري الحالي الذي بجانب المجلس النيابي. فاستقبلنا
سكتره وهو في حديث قد سباق في التعرف به حينما كان يأتي
إلى دار الأمارة بصحبة الكولونيل كتربمان. فعندما شاهدنا
وسمع الضابط قدمنا إليه كاصدقاء لفرنسا ورغب بالاجتماع
بالكولونيل اندلعت وارتقب من السرور وبدأ يبالي لنا على صداقة
فرنسا للسوريين ويحبذ ما عولنا عليه من الاجتماع بكولي
لتأمين مستقبلنا ومصلحتنا وعند نا أثناء ذاك بقصد التشجيع
أسماء بعض الضباط الذين سجلوا أسماؤهم عنده في عداد
اصدقاء فرنسا وأصبحوا من ضباط الجيش السوري المقب.
ثم قال لي: كم سيكون الكولونيل مسيراً بك وطالما مثلي أن
يربك في عداد اصدقاءنا. وأخبرنا أن الكولونيل قد سافر
إلي بيوت وسوف يعود مساءً. وزين لنا معداً للقاءه في اليوم
الثاني. وبعد خروجنا وافتراقا عن ذلك الضابط وقف مع
محمود الهندي تسجل أسماء الضباط الذين تذكرناهم منهم
ذكورهم لنا فكانوا سبع عشر اسمه. ذهبنا تواً إلى البلاط
وقابلت الأمير زيد وكان وقتها نائباً عن أخيه الأمير فيصل الذي كان في أوروبا. فشرح له الأمر وقدمت له قائمة الأسماء وقلت له أن الوضع يدل على أن هناك مئات الأسماء غيرهم. فكان الأمير مندهشاً بكاد لا يصدق ما أقول. وأعتقد أنه لم تتخذ أي إجراءات بهذا الخصوص. وسنتفهم في الفصول المقبلة النتائج التي حصلت من جراء ما ذكرتاه عن هذه الأمور.
الإخوان والجمعيات السياسية

خلال غياب الأمير فيصل في أوروبا بدا النشاط الحكومي بتأسيس وتنظيم دوائر الدولة، وكذلك باتجاه الحركة الوطنية التي تحقق بعضها بالشورة والبعض الآخر رحل إلى مصر. وبعد انتهاء الحرب تجمع القسم الأعظم من هؤلاء من مختلف أقطارهم في دمشق مركز النشاط العربي في ذلك الوقت، فدرب النشاط في الحركة الوطنية وتأسس العديد من الجمعيات والاحزاب التي كانت تختلف في بعض الأمور الفرعية إنما جميعها كانت تتلاقى في غايتها الأساسية وهي الاستقلال التام لجميع البلاد العربية. وفيما يلي أبرز تلك الجمعيات والاحزاب:

جمعية الفتاة

انها الجمعية نفسها التي تأسست في سنة 1911. وهي أنشط وأوسعت الجمعيات والاحزاب العربية وأكثرا إنتاجا قبل وبعد الحرب. وقد كان لهذه الجمعية التأثير الأول في قيام الحسين بثورته وكان الأمير فيصل وزيد من أعضائها كما كان لها الأثر البارز في تنظيم المقاومة خارج سوريا بعد وقوعها تحت الاحتلال الفرنسي كذلك في شرق الأردن وفي الثورة السورية عام 1925، وفي ثورة العراق سنة 1920 وفي جميع الثورات التي
قامت خلال الاحتلال الفرنسي في سوريا وفي فلسطين ضد الانكليز. وكانت هذه الجمعية خلال العهد الفرنسي في سوريا تسيطر على الحكم سيطرة كاملة، وما كان ليتم شيء إلا بأمر وبرأته من أمير فلسطين. وكان أمير فلسطين يتولى وصاية أوبيوان مع الأسرار فيصل ومثل العرب وجهة نظرهم وتكلم باسمهم. كان جميع أفراده من أعضاء هذه الجمعية. باستثناء نوري السعيد الذي كان ينتمي إلى حزب العهد العسكري توأم هذه الجمعية، فالأمير فيصل والدكتور أحمد قدري ورستم حيدر وعونو عبد الله وحسين قدري وجميل مردم، جميع هؤلاء من جمعية الفتاة ونجد أن المؤسسين الثلاثة الأول لهذه الجمعية وهم الدكتور أحمد قدري ورستم حيدر وعونو عبد الله كانوا أعضاء في هذا الوفد، وانتهاء الحرب أعيد تنظيم هذه الجمعية فشكلت لجنتها الإدارية من رضا الركابي، باسم الهاشمي، الدكتور أحمد قدري، نصيب البكيري، رفيق التميمي، توفيق القوتلي...

وبعث عودة الأمير من أوروبا تبدلت هذه اللجنة وأصبحت تتشكل من باسم الهاشمي والدكتور أحمد قدري، رفيق التميمي، سعيد حيدر، أحمد مرير، عزت دروز، وشكرى القوتلي...

وفي آذار 1920 استقالت هذه اللجنة، وفي اجتماع عقد في منزل على رضا الركابي، برئاسة الأمير، زيد أنشئت لجنة جديدة من على رضا الركابي، نجيب البكيري، سعيد حيدر، خالد الحكيم، الدكتور أسعد الحكيم، محمد الشريفي (سكرتير) وجميل مردم (أمين صندوق). وقد انتسب تها خلال هذه الفترة الكثير من من الدكتور عبد الرحمن شهاب، حسن الحكيم، الأمير عادل ارسلان، عمر الأتاسي، خالد الحكيم، أسعد الحكيم، يوسف حيدر ورشيد طليع.
بعد انتهاء الحرب وتشكيل الحكومة في سوريا خففت الجمعية قيود القبول لعضويتها وأقرت أن تقبل كل من فيه اللياقة لاستلام عمل هام في الدولة وأصبح بذلك أكثر التزامين في وظائف الدولة الرئيسية من أعضائها. وبالنسبة لتكاثر الأعضاء تقرر أن يكونوا على قسمين، فمن دخل الجمعية قبل دخول الجيش العربي دمشق اعتبر عضوياً أساسياً له الحق في الاشتراك بانتخاب الهيئة الإدارية كما يحق له معرفة جميع أعضاء الجمعية. أما من انتهى إليها بعد دخول دمشق فيعتبر عضوياً عادياً. ثم رأت الجمعية أن يكون لها مظهر خارجي يعمل كحزب سياسي وأن يبقى للجمعية وضعها السري. فأُسست حزب الاستقلال وانتبث أمر الاستقالة إلى عدد من أعضاء الجمعية تحت توجيهات الهيئة الإدارية.

الحزب الاستقلال

أنشئ في دمشق سنة 1919 ليكون الاطار الخارجي لجمعية الفتاة كما ذكرنا وتشكلت هياطه الإدارية الأولى من: سعيد حيدر، سعد داح، عزت دروزه، ركي الشميمي، فوزي البكري، عبد القادر العظم، سليم عبد الرحمن، وحافظ الشهابي. وكثر الذين انتموا إلى هذا الحزب. وكانت جريدة المفيد ناطقة باسم هذا الحزب.

الحزب العهد

هو الحزب نفسه الذي تشكل قبل الحرب وهو حزب تشكل في الأصل من الضباط العرب. وقد أسس عزيز الصري في الاستانة وعقب تشكيل الحكومة في دمشق اجتمع أعضاؤه القدماء من عراقيين وسوريين سواء من اشترك منهم بالثورات العربية أو لم يشتركون وذاكروا بآمر استئناف نشاطهم بعد أن
شجروا بنوايا الحلفاء السيئة نحو العرب وقروا أن يتقسم الحزب إلى حزبين: حزب عربي وحزب اتحادي، فيعمل كل منهما لخدمة قضية بلده مستقلًا عن الآخر، حتى أن يستمروا فيما بينهما بالتعاون، وهكذا بدأ النشاط الاشتراكي. واستمر عدد من غير العسكريين في أعمال الحزب. وهذه أسماء الهيئة الإدارية المنخوبة للقسم السوري: حسن البازري، محمد اسماعيل، لطفي الرفاعي، عارف التهامي، رشيد بقدوس، الآمر فؤاد الشهابي وحسن الحكيم. وكانت جريدة الكتابة لسان حال هذا الحزب.

■ حزب الاتحاد السوري

خلال الثورة العربية كان بعض السوريين ممن كانوا في مصر قد عاضدوا الشريف حسين في شورته ولكن انفض بعضهم من حوله لاسباب منها تشدده وصلابته في أرائه وعده ميله للاخذ برأي غيره من ذوي الرأي وبعد اقتراح أمر معاهدة سايناك - بيكي وهادع ان تبين لهم أن الحلفاء مصممون على ترك الحجاز للحسن وعدم الافساح في المجال له للتدخل في شؤون غيرها، كونوا لأنفسهم تياراً لأجل التقاء سوريا دون أن يكون لهم ارتباط بحكومة مكة. وبدأ هؤلاء عمليهم خلال الحرب في سنة 1918 واختاروا منهم لجنة هي: رفيق العظم، الدكتور عبد الرحمن شهابد، فوزي البكري، الشيخ كامل القصاب، خالد الحكيم، مختار الصلح، وحسن حماد.

وفي أوائل سنة 1918 قدم أعضاء اللجنة إلى اللورد ملك وزير الدفاع البريطاني مذكرة بينهما فيها خلافتهم على مستقبل البلاد العربية واستقلالها وسائرها اللورد عن نوايا بريطانيا نحو تأمين استقلال البلاد ومساعدتها كما بينها له أنهم يطلبون الاستقلال بموجب حكم لامركزي وأنهم يعتمدون على مؤازرة
وسيدعة بريطانيا ويتقون بتقاليدها التي تقضي بسلامة البلاد العربية. ويذكرون اللورد بتصريحات حكومته بضمان سلامة واستقلال الأراضي التركية حليفة عدوت مهمانهم وإقالتهم في هذا الضمان لأراضي العرب حلفائهم. ويذكرون بأن سوريا هي أسس الثورة القائمة في الحجاز ولها اليد الطويل في قيامها.

وفي 22 حزيران 1918 بلغتهم الحكومة البريطانية الجواب الرسمي على مذكرتهم الصادرة من وزارة الخارجية البريطانية واتناظر نصها الحرفي لأهميتها بحيث تعتبر من الوثائق المهمة التي خالفتها بريطانيا.

1- أن حكومة جلالة الملك ترغب في أن تكون عامة الشعوب التي تتكلم اللغة العربية منقذة من السلطة التركية وأن تعيش فيما بعد وعليها الحكومة التي ترغب فيها.

2- أن بعض البلاد العربية إذا كانت تتطلع بالاستقلال摘要 كان منذ مدة أو حصلت عليه الآن وهو استقلال اعترفت به انكلترا اعترافاً تاماً وهذا يكون شأنها أيضاً مع البلاد التي تحصل على استقلالها من الآن وحتى نهاية الحرب.

3- أن سائر البلاد العربية هي الآن إما خاضعة للترك أو تحتلها جيوش الحلفاء فحكومة جلالة الملك تأمل فيها اللقمة أن شعوب هذه البلاد تحصل أيضاً على حريتها واستقلالها وأن يتخذ بشأنها عند انتهاء الحرب قرار يتفق مع رغباتها.

4- أن حكومة جلالة الملك تعتقد أن العوائق والصعوبات المقدرة التي تقف في سبيل إحياء هذه الشعب سينغلل عليها تقلباً ناجحاً. وهي تعتمد بكل مساعدة لم يسعى في إزالتها ومستعدة لأن تنذر في أي خطة لعمل مشترك.
يتلاحم مع الحركات العسكرية الحاضرة ويتفق مع المبادئ الأساسية لمصر الإنجليزية وحلفائها.

بعد الحصول على هذه الوثيقة الرسمية التي سميت (العهد البريطاني للسوريين السبعة) اجتمع عدد كبير من السوريين في مصر فتزاكرعوا في شؤون البلاد ومستقبلها السياسي وانتهوا إلى تشكيك حزب الاتحاد السوري على أساس المبادئ الأربعة الآتية:

1 - تكون وحدة سوريا القومية من جبال طوروس شمالًا والخابور فالفرات شرقًا والصحراء العربية ودمائن صالح جنوبًا والبحر الأحمر خط العقبة ورفع فالبحر المتوسط غربًا.

2 - تكون سوريا مستقلة استقلالًا تامًا تضمنه جمعية الأمم وتضمن قانونه الأساسي ضمانًا لا يخل بهذا الاستقلال.

3 - يكون الحكم فيها على مبدأ الديمقراطية اللامركزية ويكون أساس قوانينها وأحكامها مدنيًا بحيثًا ما عدا أحكام الأخوار الشخصية فإنها تبقى على ما هي عليه.

4 - يكون قانون حكومتها الأساسي ضمانًا حقوق الأقليات.

واختير السادة الآتية لجنة الإدارة وهم: للرئاسة ميشيل لطف الله للسكرتيرية رشيد رضا والدكتور عبد الرحمن شهباندر وسلام سركيس أعضاء كما انضم إليهم رفيق العظم والشيخ كامل القصاب، وخالد الحكيم وعيسى عيسي. وهذا الحزب كان أول من احتضن على تقسيم سوريا إلى مناطق بعد الحرب وأول حزب طلب الاستفتاء في تقرير المصير، وبها حضرت لجنة الاستفتاء الأمريكية إلى سوريا حضر رئيسه وبعض أعضاء لجنته إلى سوريا حيث انضموا إلى العاملين وانشي
لهذا الحزب فرع في دمشق برئاسة الدكتور عبد الرحمن شهباندر وكانت جريدة الدفاع لسان حال هذا الحزب.

الحزب الوطني السوري

نشأ هذا الحزب في 25 كانون الثاني 1920 أي قبل مواعيد مرسومة بستة شهور على المبادئ الآتية:

۱ - السعي إلى استقلال سوريا السياسي التام، بحدوداً طبيعية وlectricaً بذلك والدفاع عنه بكل الوسائل الفعالة.

۲ - تقوية الصلات القومية والأدبية والاقتصادية بينشعوب العربية عامة والبلاد السورية خصوصاً والسعي لتقوية الفكر الصمودية في الأمة العربية انطلاقاً إلى مستوى الأمم الراقية.

۳ - التسامي في الحقوق المدنية والسياسية بين جميع أبناء الوطن السوري على اختلاف الذاهب والعنصر.

۴ - تأييد المبدأ الملكي الديموقراطي بتأليف حكومة ملكية نيابة تكون من الشعب ومسؤولة أمام الشعب برأسها سمو الأمير فيصل باسم ملك سوريا وتمثلها تمثيلاً سياسياً كما هو الحال في الحكومات الملكية المقدية.

۵ - صيانة الحق القانوني في جميع أوضحية الحكومة والأمة والسعي لتحسن حالة النظام الاجتماعي في سوريا بتأسيس صناديق للتعاون الاقتصادي والخيري وتشييد النصبات الزراعية والتجارية وجمعيات العمل.

۶ - مؤازرة سمو الأمير في ما يطلب من صلاصة البلاد واستقلالها وتشويق الأهلين الاقبال على التجنيد وما يلزم من
التكليف حتى يتسنى الدفاع عن الوطن وتوطيد الأمن في ربوهة والظهور بمؤثر الحكومات المنظمة الرافية الغاية.
وكان للحزب لجنتان إدارية تتتألف من 16 عضواً استشارية وتتألف من 25 عضواً معظمهم من وجهاء وأعيان دمشق وغيرهم من الأحرار ومن بعض الأشراف الحجازيين ونبلاء سكرتيرته محمد الشريقي وكانت جريدة الأردن لسان حاله.

الجمعية العربية الفلسطينية

كانت دمشق كما ذكرنا مركزاً للحركة العربية وقد أمّها الكثير من الفلسطينيين ممن ساهم في الجهود العربية وكان لهم صورت مسوغة في الأوساط الحكومية وجهود في التنظيمات الحزبية، وكان الكثير من رجالها يشغلون مناصب رفيعة في دوائر الحكمة والأخوان، وقد أسسوا في حزيران سنة 1920 جمعية باسم الجمعية العربية الفلسطينية من مبادئها جميع كلمة الفلسطينيين وتوجيه غاياتهم، تعمل لمقاومة الهجرة الصهيونية وإدخال فلسطين ضمن الوحدة السورية، وانتخب لها هيئة إدارية من: إبراهيم القاسم عبد الهادي، الحاج أمين الحسيني، سليم عبد الرحمن، معين الماضي، عزت دروزه وعمر العارف.

الحزب السوري المعتدل

نشأ في مصر في هذه الأونة حزب سياسي باسم الحزب السوري المعتدل للعمل في توحيد سوريا في ظل الاتحاد الأمريكي، وقد ضم شخصيات كبيرة من السوريين منهم الدكتور فارس نمر صاحب جريدة المقم، الدكتور عبد صروف، منشيل أبو باشا، سعيد شقيبة، باشا، نطنز مناشقه باشا، خليل خياط باشا، سليمان نصف، نسيم مبيرة، أمين مشاقة، نقولا ذيبان.
سليم حداد والياس عيساوي وغيرهم. وعندما وصلت لجنة الاستفتاء الأمريكية إلى دمشق أرسل هذا الحزب وفداً منه قابل رئيس اللجنة مستشر كراين وقدم له مطالب الحزب التي تتفق مع مطالب سائر الهيئات والاحزاب مبيناً فيها أيضاً أن يكون استقلال سوريا الموحدة النتام بقرار من مؤتمر الحلفاء، ويوكل لأمريكا الانتداب على هذا الاستقلال.

النادي العربي

وتشكل في دمشق نادي باسم النادي العربي له فروع في كل من حلب وحمص ومدن أخرى بالاسم نفسه تستمد منه الأراضي والتعليمات وكان هذا النادي مركزاً للحركة الوطنية السياسية ومملاً لعقد الاجتماعات والحفلات الوطنية العمومية وتجتمع فيه جهود ونشاطات جميع الجمعيات والاحزاب على اختلافها وكانت تتمثل فيه جميع مظاهر ونشاط الروح الوطنية وانكفاء ونشر الفكرة الاستقلالية لجميع نواحي البلاد في الجنوب أو الساحل.
من حرب إلى حرب

ما كاد يمر شهر على وقوع الهدنة وتشكيل الحكم العربي في سوريا الداخلية برئاسة الأمم فيصل الذي اعتبر أحد قادة الحلفاء المنتميين حتى تقول فيصل إلى مندوب سياسي عربي أوكل إليه رأله وأمر تمثيل العرب والدفاع عن حقوقهم في المؤتمر الدولي المجتمعي في باريس، وذهب فيصل إلى الغرب ليقوم بهذه المهمة الصعبة التي عهد إليه بها، ويقوم مقامه في إدارة شؤون هذه الدولة الحديثة لخوه الأصغر الأمير زيد الذي كان شاباً لا يتجاوز العشرين من عمره لم يسبق له الاضطلاع بالأمور السياسية.

وكانت مهمة فيصل في الغرب وهو يقارع دسائس ومناورات أعظم وأقوى وأدهي دولتين استعماريتين عريقتين بالاستعمار صعبة جداً، وكانت مهمة الأمير زيد في إدارة شؤون هذا الحكم الذي بني على اتفاق الحكم التركي المهترئ، أصعب منه، لقد بدأت الصعوبات تعترض طريق هذا الحكم منذ أيامه الأولى، فالشعب الذي خرج من الحرب وهو منهوك القوى كان لا يزال غير راع ولم يهضم الفكر القومية، عرضة للتأثير بمختلف الأفكار، يتحمس بسرعة ويستنجذ بسرعة، فإذا تحمس لا يجد اسمه القيادة الحكيمة التي توجهه إلى طريق العقل، وإذا تحمل، يجد نفسه دون قيادة فيميش ويجد،
والفرنسيون الذين كانوا يتهيأون منذ مئات السنين لاستعمار هذا القطر كانوا يعرفون عنه كل شيء، وقد استمروا لأنفسهم في داخله جيداً ينفذون منها إلى زرع التفرقة والصراع والاضرار. يخلقون المشاكل ويضعون إصابهم في كل خطأ ليوسعوه ويصلوا منه إلى مشكلة جديدة.

دخل الجيش العربي السوري ورفع العلم العربي عليها وتشكل حكم وطني في داخلها وسواحلها ومارا الفرح والرضا الشعب، ولكن هذه الفرحة لم تدوم أكثر من أيام، حيث أُنزل العلم من جميع مدن السواحل واستلمت فرنسا إدارتها المحلية، ومنذ ذلك الوقت بدات المشاكل تتلا euch وتتنوع وتنمو انتفاضات وطنية وعصيان وثورات ضد الاحتلال الفرنسي لا تكاد تهدأ في ناحية حتى تندلع في ناحية أخرى ويقت مستمرة متلاحقة مدة 28 عاماً لم تنطفئ إلا بمغادرة آخر جندي فرنسي للبلاد.

خطاب المسيو بيشون

وبينما كانت الأمور متوترة في هذه الصورة، والشعب متشكل وغير مطمئن إلى مستقبل بلاده، ألقى وزير خارجية فرنسا للسيو بيشون بتاريخ 19 كانون الأول 1918 في مجلس النواب الفرنسي خطاباً جاء فيه:

أن فرنسا في سوريا وفلسطين وليستن حقاً ومصالح لا تقبل الاعتراف يجب علينا صيانتها نظراً إلى أنها مؤسسة على أسس التقاليد التاريخية والاتفاقيات المتقالبة وعل النغائب الأولين منذ أمد طويل. فنحن مضطرون إلى تأييد تلك الرغبة. غير أننا نلاحظ أن الاتفاقيات المعقدة بيننا وبين الإنكليز سوف تربط كلا الطرفين بروابط قوية تؤيد حقوقنا ومنافعنا القديمة.
ولا يعرف فحري هذا الخطاب في سوريا قامت الهيئات الوطنية فما نظرة وابنـا من برقيات الاحتجاج إلى سائر الحكومات والهيئات الدولية، وفي 20 شباط 1919 قامت في دمشق مظاهرات كبيرة تأيـد تلك الاحتجاجات وكانت الجماهير تهاجم بناءات معادية للاستعمار الفرنسي وكانت هـي أولى المظاهرات الوطنية التي عرفتها البلاد.

مقاومـة الاحتلال

كانت حاديـة خطاب السيد بيشور البداية لجميع الانتماـرات والثورات التي اندلعت في جميع أنحاء سوريا داخلًا وخارجيًا لمقاومة الاحتلال الفرنسي لأن هذا الخطاب كان الجهـر الواضح بنوايا الفرنسيين.

وفيما يلي بيان أسماء هذه الثورات التي قامت قبل وبعد موقعـة ميسلون:

1 - ثورة انطاكية في كانون الأول (1918).
2 - ثورة دير الزور كانون الأول (1918).
3 - ثورة جبل عامل كانون الأول (1918).
4 - ثورة جبل صهيون كانون الثاني (1919).
5 - ثورة جبل العلويين شباط (1919).
6 - ثورة الشوف آب (1919).
7 - عصابات البقاع بدأت في ايلول (1919).
8 - ثورة الفاعور تشرين الأول (1919).
9 - اضطرابات الحولة تشرين الأول (1919).
10 - ثورة تل كلخ كانون الأول (1919).
بعد موقيعة ميسلون واحتلال الفرنسيين سوريا الداخلية لم تبدأ الاضطرابات ولا انقطعت الثورات حتى تم جلاوهم عن البلاد، وفيما يلي الثورات التي قامت بعد موقيعة ميسلون:

1- ثورة الفرات والجزيرة أيلول (1920).
2- ثورة حوران عقب موقيعة ميسلون أيلول (1920).
3- استمرار ثورة جبل العلويين سنة 1919 - 1921.
4- استمرار ثورتي الشمال (هنانو) 1920 - 1921.
5- ثورة عشيرة الموالي ماس (1921).
6- ثورة الفرات والجزيرة أيلول (1921).
7- ثورة بادية تدمر حزيران (1922).
8- ثورة سلطان الأطرش الأول تموز (1922).
9- ثورة جبل العرب تموز (1922).
10- ثورة حماه تشرين الأول (1925).
11- ثورة الغوطة تشرين الأول (1925).
12- ثورة حمص بدأت حوادثها في 1921 إلى أن اختلطت بثورة الغوطة سنة 1925.
خلال غياب فيصل

حادثة الأرمن في حلب

عقب وقوع الهدنة وانسحاب الاتراك من سوريا وكليكيكا واستلام الجيش الفرنسي أمر إدارة كليكيكا ولبنان كان ضمن الجيش الفرنسي متطوعة من اللبنانيين والأرمن وقد وضع الفرنسيون هؤلاء المتطوعة ضمن قطعتهم المحتلة، اللبنانيون في لبنان والأرمن في كليكيكا. كان يسكن في كليكيكا قبل الحرب عدد كبير من الأرمن وكان لهم فيها قرى كاملة وكثيرة فائقة في بعض مدنها وأكثر المذاهب التي قام بها الأتراك أثناء الحرب كانت في كليكيكا وقد اتت على القسم الأعظم منهم ولم يصل منهم إلى سوريا إلا كل ذي عمر طويل، وهكذا خلت جميع كليكيكا من الأرمن. وبانتهاء الحرب جاء هؤلاء المتطوعة وأكثرهم ممن ساعدوا الحزب، وتمكن من الوصول إلى الأسطول الفرنسي الذي كان يعمل في النقاط القريبة من الساحل. نقول إن هؤلاء المتطوعة عندما عادوا إلى هذه المنطقة وقد أصبحوا من أمريات الجيوش المحتلة، وكانت التنمية والكراهية تكراها في قلوبهم، وجب الانسحاب يفلو في اقصادتهم، ولم يكونوا قد فهموا شيئاً بعما كان يدور بين الترك والعرب ولا عما فعله الاتراك بشعبنا ولننا كنا وأيامنا سواسية في تعرضنا
لظام الأتراك، ولذلك، وينتأثر استمرار تفكيرهم القديم البني على التعصب الدينى الذي كان الأجانب يغدوونه فيهم لإثارتهم ضد الأتراك ومثابة الأتراك لهم بمثله من التعصب، بتأثير كله هذا ابتدأ هؤلاء المطوعة ويبقى ثكيل من الفرنسيين الذين كان من سياستهم التقليدية في هذة البلاد تنمية التعصب الدينى والكرامية بين المسلمين والمسلمين. وهكذا بدأوا منذ وصولهم إلى كيليا بالعرض لكل مسلم بالقتل والسلب والذى وشكلوا منهم عصابات مسلحة للاعتراض السهل وتعتدي على العاشدين من تركيا من العرب، مدنيين وعسكريين. وبسبب سركيزي كسرافقة لامير حلب كنت على علم بجميع الأخبار التي كانت تصل عن هذه الأمور. وكانت هذه الأخبار تنتشر بسرعة الحال إلى الشعب عن طريق العاشدين من تركيا، الأمر الذي سبب الثقلة على الأرمن، خصوصاً وأن العرب خلال الحرب بالرغم مما كان فيها من ضيق وسوء حال قاموا بتقدم كل ما في وسعهم من المساعدات إلى الأرمن المكربين، وكان للعرب فضل اتخاذ من نجوا من المذابح التركية. فكان لهذا التصرف السيء من قبل الأرمن وقع اليم في قلوب العرب. وباستمرار تعدياتهم ويتزداد استياء العرب وقع في حلب في 28 شباط 1919 حادث ابتدأ في سوق الجمعة ثم انتشر في باقي الأحياء، إذ قام بعض الأهلية ضد الأرمن واشترك فيها بعض الجنود من لواء الفتح فقتل من جراء ذلك 43 أرمنياً وجرح 75. فتقدمت السلطات العربية والإنكليزية فوجدوا الأمر، وقد كنت أثناء ذلك مع الشريف ناصر في دمشق وأرسل رئيس مراقى الأمير نوري السعيد على وجه السرعة إلى حلب وائتلاف مجلس عسكري مخلوط من رئيس إنكليزي (الكولونيل جيد) وعضو فرنسى وعضوين من الأرمن وثلاثة أعضاء من العرب. وأوقف عدد من الأهلية وعدد من جنود لواء الفتح وحكم نتيجة المحاكمة على
بعض الجنود بالموت ونفذ فيهم الحكم وعلى البعض الآخر بالسجن وانتهت هذه الحادثة المؤلمة.

واستفاد الفرنسيون من هذه الحادثة وجعلوها وسيلة للخطف من كرامة العرب ورش الدعايات ضدهم في أوروبا لإثبات دعواهم بعدم صلاح العرب للحكم.

أما الأرمن فقد انتبه عقلاؤهم لسوء ما فعله بعضهم بحق العرب وسعوا جهدهم لإقناع عامتهم بأن العرب غير الشرك مؤمنين لهم ما قام به العرب تجاجهم أثناء محتلهم. وقد زار طريقكم الأرمن الأمير فيصل معتزراً له بالجميل، ولكن كل ذلك لم يؤثر في الراي العام الأرمني وباقي قسم كبير من شبابهم متطوعاً في الجيش الفرنسي يطلب عليهم شعور الكرامة والحق على كل مسلم ولم يبدوا من اتفاقهم تماماً إلا بعد أن جللا الفرنسيون عن كليكا وسلموها للأتراك وسلموا معها الأرمن الذين عادوا إلى بلادهم وقرامهم فاضطروا إلى الهجرة من جديد بعداف الخوف من أن يكونوا عرضة لمداحع أخرى فتردوا كل ما لهم ولم يجدوا ارضاً يلجان فيها سوى سوريا، فاتقنوا حينذاك بالحقيقة التي كانت تقول لهم وعلموا فوق ذلك أن الفرنسيين كانوا يتظاهرون بحمايتهم والذود عنهم في زرع العداء بينهم وبين العرب فقط لا حباً بهم. فقرر الأرمن منذ ذلك الحين أن يكونوا مخلصين لوطنيهم الجديد مقدرين لأنشأله ولم يعودوا بعد ذلك آداة في يد المستعمرين واتخذوا يبنلون جهدهم ليكونوا مواطنين صالحين مفيدين وانتنا نجد الأرمن الآن يلقون أولادهم تلك الدروس ويسنوا أنهم في خلال الثورة السورية لم يكونوا آداة تنكيل في يد الفرنسيين كما كانت بعض الأقليات المذهبية أو العنصرية.
حوادث صمغ والزاوية

في أواخر كانون الأول 1919 تبقلت أمراً بالحركة إلى منطقة الزاوية التابعة لقضاء القنيطرة وقيادة يدي 120 خليلاً من متسببي فوجنا (فوج الدرب الاحتياطي) بسبب نزوح أهالي قرى تلك المنطقة عن قراهم واعتقالهم في الجبال والأحراش القريبة منهم ورفضهم الرضوع للتدجين الإلزامي. وقد عمد بعضهم إلى مهاجمة الجيش البريطاني المرابط في موقع صمغ بالتسلل عبر الحدود الفلسطينية.

كانت التعليمات المكثمة لي تقضي بعد التفاهم مع قائمقام القنيطرة تأسيس مخافر على الحدود لمنع هذه التسلاطات والعمل لعودة أهالي الزاوية إلى قراهم وتأمينهم وبلاغهم بعدم خذهم إلى الجندية بصورة اجبارية دون أعلان ذلك كي لا يفسح في المجال أمام المناطق الأخرى بطل اعفاؤهم من الجندية.

اجتمعت بالقائمقام وفهمت منه تفاصيل الموضوع وكان عند مورود الذي تبرفت إليه لأول مرة وفهمت أثناء هذا الاجتماع أن هناك مشكلة ثالثة كانا يظنان أنها السبب الأساسي الذي أرسلت من أجله وهي: أن عبد الرحمن باشا اليوسف(1) قرأ كثيرة في تلك المنطقة. بعض تلك القرى اغتصبها جده من الفلاحين، لقد اختلف عبد الرحمن اليوسف مع فللا هذه القرى وأراد طرده من الفلاحين واستحلل على إحكام قاضية بذلك ولم يبق سوى التنفيذ الذي أحمله القائمقام بالاتفاق مع أحمد مريود ولكن اليوسف عندما علم بحركة القوة التي معي استحصل على أمر يتنفيذ الأحكام من

---

(1) هو أكبر اقتصادي في سوريا كان منسوباً في جمعية الاتحاد والترقي يعمل ضد الأناضول العربية، ولا تأسس الحكم الوطني في سوريا مما إلى الفرسين وعندما استولوا على دمشق عينه وزيراً.  

80
قبلنا وكان ذلك بعد تحرك من دمشق وذلك أرسل هذا الأمر لتبليغي إياه بواسطة القائم مقام. فاتفقت معهما على أن أعترض على تنفيذ هذا الأمر. يمثل هذه الظروف لأنه سيكون سبباً في تردي الوضع.

تقدمت إلى الزاوية. فلما علم أهله قراها يتقدمنا خافوا وظ nawa. أنتا أتتنا ألقائنا ونجد سلهم فنزع من كان بقاياً منهم في القرى، ولكنني تجاهلت كل ذلك ووصلت إلى قرية الشجرة مركز الناحية وكان برفاقتي مدير الناحية وهو من مشايخ الزاوية، وعلمت منه أثناء صحبتي له أنه وعشيرته بتنسبون للعائلة العمرية وديهم حسب وشجرة قديمة لنسبتهم هذه، وهذا اعتبرنا أقرباء وأخلص لي وصار يطلعني على حقيقة الأمر التي تتعلق بمهنتي، وهذا تبادلنا الثقة نافهمته أن لا شأن لي بأمر الجندية سوف لا أجبر الأم عليها ولكن المصلحة تضفي برجوعهم إلى قراهم وعدم الإقتحام في المجال للمشاكل وأنه ليس من المصلحة التعرض لفلسطين الآن. وبعد يومين جمع لي مشايخ جميع القرى النازحة واتفقنا معهم على أن يعودوا إلى قراهم وعلى عدم الاعتداء على الأراضي الفلسطينية. وهذا عادوا إلى قراهم واستتب الأمن. وأثناء وجودي في الشجرة سقطت طائرة انتكليزية قرب القرية، وكان بداخلها اثنان من الطيارين أحدهما برتية مقدم برجل مبتورة فلم يصابا باثنا. وبعد أن استفарамا ليلة أركبناهما خيلاً وسلمناهما إلى القوة الانتكليزية في صمخ. بعد رجوعهم أهل القرى واستتب الأمن أمرت بالعودة إلى القلعة. وخلال وجودي في القلعة حصل هجوم الفرنسيين على عمارة الأمير فاعور فاشتككت مع من معي من الخيالة. بمقابلة ذلك الهجوم والقلب على المهاجرين.
التجنيد الإلزامي

إن الحوادث المتتابعة التي كانت تمر بالبلاد والنشاطات
بأنواعها التي كان يقوم بها الفرنسيون أوضحت بصورة لا
تقبل الشك نوايا فرنسا السيئة، الأمر الذي نب جنال البلاد
إلى ما يراد بهم وأنه لا بد أن يأتي اليوم الذي سنضطر فيه
لمجابهة فرنسا، وأن الجيش الحالي بنظام التطور الذي يسير
عليه لا يفي بالحاجة بل يجب أن تفرض مسؤولية الدفاع عن
البلاد على عاتق عموم الشعب. وعلى ذلك درست الحكومة نظاماً
للحجنيد الإلزامي فاقره الأمير في 21 كانون الأول سنة
1919 وكان يقضي بتجنيد الرجال من سن العشرين إلى سن الأربعين
ومدة الخدمة ستة شهور والبدل النقدي 10 جنيهًا.

وفشل تطبيق قانون التجنيد الإلزامي كما فشل من قبل قانون
التطور، فالشعب لم يقبلهما ولا أقبل عليهما بالرغبة والحماس
كما كان متظارفاً وفشل القانون، وسنذكر فيما يلي الأسباب التي
آدت لهذا الفشل لأن في بيانه تتعارض على أسورية أخرى تتعلق
بالموضوع العام وبعض الأمور التي كانت من جملة أسباب
انهيار الحكم العربي الأول في سوريا.

1- استثني من التجنيد جبل الدروز لأن للدروز سوابق في
رفض التجنيد في العهد العثماني فتجنبد الحكومة فرضه
على الدروز.

2- إن حوران رفضت التجنيد مطالبة باستثنائها كما استثني
جيرانها الدروز. وفكذا فعلت بعض بقية المناطق المتاخمة
لحوران كالزاوية التابعة للفلسطين وأت بعض مدن شرقي
الأردن.

3- لم يكن قد مر وقت كبير على خروج الشعب من الحرب
العالية التي كان التجنيد خلالها من أكبر عوامل الشقاء
التي سببتها الحرب. ولذلك كانت أكثراً الشعب تنفر من الجندية والتجنيد.

4 - كانت الفكرة المطبوعة في ذهن الناس عن الجندية التي عرفوها في الجيش العثماني منذ القدم هي الجويع والحفاء والعري والضرب والاتهام واللعن وفرقة الأهل والعيال، لذا كانوا يتهربون منه خصوصاً وقد كان الكثير من الرجال قد سبق لهم ممارسة الفرار في العهد العثماني بالرغم من قسوة الأتراك وأعدامهم للألوف منهم.

5 - معاملة الضباط المسبأة وضرب الجنود وإهانتهم (وهم ممن نشأوا وتعلموا على ذلك الأسلوب في الجيش التركي).

6 - إن جميع الأقليات الدينية والعنصرية (عدا استثناءات شخصية) كانت ضد عهد الاستقلال وتحت تأثير الدعاية والتوجهات الفرنسية والتعصب الديني والعنصري ولم يسبق لها الخدمة في الجيش.

7 - كانت الدعاية الفرنسية نشطة وفعالة ومنظمة وكانت تجد لها مساعدين ومروجين بين الأقليات كما كانت تجد لها رواجاً بين الجهلة من الشعب دون أن يعرفوا بخفاياها.

8 - كان الشعب بصورة عامة طبيعاً ومتحمساً يتجاوب مع الروح الاستقلالية ولكنه كان باكثريته جاهلاً وترددته الوطنية ناقصة لم تصل به لدرجة الشعوب بالتضحية في سبيل الصالح العام. أما الاستثناء القليل فجرفته الكثرة الساحقة.
المؤتمر السوري

ذكرنا أن مؤتمراً فيرساي قرر في 30 شباط 1919 فصل البلاد العربية عن تركيا والاعتراف باستقلالها ووضعها تحت إرشاد إحدى الأمم الراقية وأنه قرر في 21 آذار 1919 إرسال لجنة لاستفتاء سكان سوريا والتحقق من رغبتهم في نوع الحكومة التي يريدونها للقيام بهذا الارشاد وأن الأمير فيصل عاد إلى سوريا لتهيئة الأمور أمام تلك اللجنة. وفي 3 آيار 1919 وصل فيصل إلى دمشق فزحف الشعب بنجممها لاستقباله ولم يبق في البيت سوى المرضى، وكنى شاهد الخلق حتى الهامة الكتف بالكتف وكانت الأعلام العربية على مختلف أحضانها ترفرف في كل مكان وكانت الأشجار من جسر فيلكونيرا على جابين الطريق حتى قرية الهامة مزينة أفصانها بالأعلام. كل ذلك قام به الشعب من دون أن يكون للحكومة أو البلدية تدخل فيه.

وفي 5 آيار 1919 اجتمع الأمير فيصل في بهو سراي الحكومة بوفود أهل الراي والقوى فيهم خطاباً أبان لهم في الواضع العام وبلغهم عن حضور لجنة الاستفتاء وطلب إليهم أن يقدموا لها مطالبهم الوطنية بصورة موحدة وأن يكونوا صفناً واحداً وأخيراً سالمهم عما إذا كانوا يسعون له بإدارة دفة شؤون
المؤتمر الأول اجتماع له في صالة النادي العربي وانتخب لرئاسته محمد شوقي العظم ولأمانة السر عزة دروزه. وفي 7 حزيران 1919 افتتح المؤتمر رسمياً في صالة النادي العربي بخطاب ضاف إلهام أمير فيصل بسط فيه للغاية دعوته وتكلم عن اللجنة الأمريكية التي ستعمل معهم ومثابرة. وقبل أن تتميierz، انتخاب المجلة للنادي الجديد. وعقد المؤتمر واجب تلك المدة ثلاث دورات، الأولى بعد انتخابه وتمك من إجراء الانتخابات لأعضاء المؤتمر ممثل سوريا أمام لجنة الاستفتاء، ولذلك تقرر إجراء الانتخابات بموجب القانون العثماني الذي كان لا يزال من جملة القوانين العثمانية المعروفة بها في البلاد. فتم انتخاب النائبين الثلاثة الذين انتخبوا النواب للبرلمان العثماني إلى أعيان نواب جديد، وجرت عملية الانتخاب في سوريا الداخلية بكل سهولة وتنظيم. وأما في الساحل السوري وفلسطين فكان إجراء الانتخابات متعدداً على هذه الصورة بسبب وجود السلطات الأجنبية كل في المنطقة التي يطبع فيها، وعلى ذلك اجتمع فيها كبار القوم واهل النفوذ والوجاهة وانتخبوا مدنين منهم بموجب مضايطة. فجاء نواب بيروت وطرابلس وصيدا وجبيل عام والساحلية وفلسطين إلى دمشق ودخلوا المؤتمر ممثلين رسميين عن بلادهم.

وعقد المؤتمر الثاني اجتماع له في صالة النادي العربي وانتخب لرئاسته محمد شوقي العظم ولأمانة السر عزة دروزه. وفي 7 حزيران 1919 افتتح المؤتمر رسمياً في صالة النادي العربي بخطاب ضاف إلهام أمير فيصل بسط فيه للغاية دعوته وتكلم عن اللجنة الأمريكية التي ستعمل معهم ومثابرة. وقبل أن تتميierz، انتخاب المجلة للنادي الجديد. وعقد المؤتمر واجب تلك المدة ثلاث دورات، الأولى بعد انتخابه وتمك من إجراء الانتخابات لأعضاء المؤتمر ممثل سوريا أمام لجنة الاستفتاء، ولذلك تقرر إجراء الانتخابات بموجب القانون العثماني الذي كان لا يزال من جملة القوانين العثمانية المعروفة بها في البلاد. فتم انتخاب النائبين الثلاثة الذين انتخبوا النواب للبرلمان العثماني إلى أعيان نواب جديد، وجرت عملية الانتخاب في سوريا الداخلية بكل سهولة وتنظيم. وأما في الساحل السوري وفلسطين فكان إجراء الانتخابات متعدداً على هذه الصورة بسبب وجود السلطات الأجنبية كل في المنطقة التي يطبع فيها، وعلى ذلك اجتمع فيها كبار القوم واهل النفوذ والوجاهة وانتخبوا مدنين منهم بموجب مضايطة. فجاء نواب بيروت وطرابلس وصيدا وجبيل عام والساحلية وفلسطين إلى دمشق ودخلوا المؤتمر ممثلين رسميين عن بلادهم.

وعقد المؤتمر الثالث اجتماع له في صالة النادي العربي وانتخب لرئاسته محمد شوقي العظم ولأمانة السر عزة دروزه. وفي 7 حزيران 1919 افتتح المؤتمر رسمياً في صالة النادي العربي بخطاب ضاف إلهام أمير فيصل بسط فيه للغاية دعوته وتكلم عن اللجنة الأمريكية التي ستعمل معهم ومثابرة. وقبل أن تتميierz، انتخاب المجلة للنادي الجديد. وعقد المؤتمر واجب تلك المدة ثلاث دورات، الأولى بعد انتخابه وتمك من إجراء الانتخابات لأعضاء المؤتمر ممثل سوريا أمام لجنة الاستفتاء، ولذلك تقرر إجراء الانتخابات بموجب القانون العثماني الذي كان لا يزال من جملة القوانين العثمانية المعروفة بها في البلاد. فتم انتخاب النائبين الثلاثة الذين انتخبوا النواب للبرلمان العثماني إلى أعيان نواب جديد، وجرت عملية الانتخاب في سوريا الداخلية بكل سهولة وتنظيم. وأما في الساحل السوري وفلسطين فكان إجراء الانتخابات متعدداً على هذه الصورة بسبب وجود السلطات الأجنبية كل في المنطقة التي يطبع فيها، وعلى ذلك اجتمع فيها كبار القوم واهل النفوذ والوجاهة وانتخبوا مدنين منهم بموجب مضايطة. فجاء نواب بيروت وطرابلس وصيدا وجبيل عام والساحلية وفلسطين إلى دمشق ودخلوا المؤتمر ممثلين رسميين عن بلادهم.
الجيش الإنجليزي، والثالثة قبل اعلان الاستقلال حيث بقي طيلة المدة التي أعقبت هذا الإعلان. وقد وضع المؤتمر في مادته الأخيرة مشروع القانون الأساسي المؤلف من 148 مادة.

وفيما يلي أسماء أعضاء المؤتمر مع المناطق التي يمثلونها:

- عن دمشق:
  - محمد فوزي العظم، عبد القادر الخطيب، فوزي البكري، فخري البروبي، أحمد القضماري، محمد الجهد، مسلم الحسني، خليل عوشق، عبد الرحمن اليوسف، عزت السواوي، يوسف نيدي، الشيخ ناج الدين الحسني.

- عن حلب:
  - تيمورر انطاكي، سعد الله الجابري، حكيم النابل، يوسف كيالي، نوري الجسر، فتح المرعشلي، (اعجاز)، جلال القدس، (اعجاز)، ابراهيم هنانو (حارة)، محمود نديم (منبع)، فؤاد عبد الكريم (ادلب)، أحمد العياشي (ادلب)، زكي يحيى (ادلب).

- عن حماة وحماص:
  - خالد البراقي (حماة)، عبد الحميد البروبي (حماة)، عبد القادر الكيلاني (حماة)، هاشم الأتاسي (حماص)، وصفي الأتاسي (حماص)، مظهر رسالان (حماص)، حكيم الحزراكي (المعرة).

- مناطق أخرى:
  - شريف الدرويش (الباب)، خليل أبو الريش (النبع)، محمود
أعمال (القنيطرة)، سعيد حيدر (بيلبك)، محمد حيدر (بيلبك)، تامر حمادة (الهرمل)، محمد روميه (حوران)، سليمان الصديق (عجلون)، سعيد الصليبي (السلط)، عبد الرحمن شيدات (عجلون)، حسن رمضان (الصيدان)، فايز الشهابي (محاصبي)، ناصر الزعيبي (حوران)، عيسى المدافن (الكرك)، سعيد أبو ناجي (السلط)

عن الساحل السوري

رشيد رضا (طرابلس الشام)، توفيق البيضاء (طرابلس الشام)، عثمان سلطان (طرابلس الشام)، الشيخ عبد العظيم (طرابلس الشام)، إبراهيم الخطيبي (لبان)، رياض الصلاح (صيدا)، عزيز الصلاح (صور)، عبد الفتاح الشريف (عكار)، سليم علي سلامة (بيروت)، جميل بهم (بيروت)، أمين بهم (بيروت)، جرج حرفوش (بيروت)، ناجي علي أديب (جبه)، محمد خير (اللاحقي)، محمد الصريقي (اللاحقي)، منح هارون (اللاحقي)، صبحي الطويل (اللاحقي)، توفيق مفجري (الكورة)، دعاس الجرجي (حصن الأكراد)، رشيد نفاع (المن)، مراد علمية (مرجعون)، رشيد طليع (لبان)

عن فلسطين

سعيد الحسيني (القدس)، راغب التشامشيبي (القدس)، إبراهيم القاسم عبد الهادي (نابلس)، عزة دروزه (نابلس)، عادل زعبيت (نابلس)، أمين التميمي (نابلس)، الشيخ طاهر الطبري (طبريا)، يوسف العاقل (طبريا)، عبد الرحمن النحوي (صفد)، صلاح الدين قدوره (صفد)، الدكتور أحمد قدري (خليل الرحمن)، رفيق التميمي (خليل الرحمن)، سليم عبد الرحمن (طولكرم)، حسين الزعبي (الناصرة)، عبد الفتاح
لجنة الاستفتاء

ذكرنا أن مجلس الأربعة وهو مجلس مؤتمر الصلح الممثل بارع دول هي: أميركا وانكلترا وفرنسا وأيطاليا قرر في 20 آذار 1919 إرسال لجنة استفتاء دولية مختلطة أمريكية انكلزية فرنسية لاستفتاء سكان فلسطين والمغرب وسوريا حول رغابهم في اختيار الدولة التي تكون متساوية عليها وفقاً للمادة 22 من دستور عصبة الأمم. فكان هذا القرار ضرورياً لمعاهدة سايكس – بيكو التي قررت سلفاً تقسيم هذه البلاد إلى مناطق نفوذين بين حكومتي انكلترا وفرنسا وقد كانت تعلمان مقدماً أن نتيجة الاستفتاء لن تكون في صالحهم، فعدلا عن إرسال ممثلهما في تلك اللجنة فاضطر الرئيس وسن إلى إرسال لجنة أمريكية فقط طالما كان القصد منها الوقوف على رغائب السكان.

وفي يوم 10 حزيران 1919 وصلت اللجنة إلى يافا وبدأت عملها الرسمية بإذاعة البيان الآتي:

"وان الشعب الأمريكي ليس له مطامع سياسية في أوروبا أو الشرق الأدنى بل يفضل على قدر الإمكانيات تجنب كل علاقة بالمشاجرات الأوروبية والسورية والأفريقية ويرغب بإخلاص أن يسود السلام الدائم وأنه بهذه الروح ينتمي من مشاكل الشرق الأدنى. لقد عين مجلس الأربعة لجنة دولية لدرس الحالة في المملكة التركية لعلاقاتها بالوصايات فغاية القسم الأمريكي الموجود الآن هي الوقوف جهد المستطاع على أحوال السكان"
والطبقات وعلاقاتهم لكي يكون الرئيس ريسن والشعب الأمريكي
على بيئة من الحقائق في كل سياسة يدعى إلى السير عليها فيما
يلتقل مشاكل الشرق الأدنى، سواء كان ذلك في مؤتمر الصلح
أو في جمعية الأمم. وقيما يلي أسماء أعضاء اللجنة:

الملحق
مدير أعمال
مستشار فني
مستشار فني
الكابتن وليم يابي
المستерь لورنس مور
المستерь البريت يساد
الستر جورج منغبني
مستشار كراين ومستشار هنري كنغ
مندوبان

وانضم إلى اللجنة في باك الغولونيل ويلسن السكرتير العسكري
للورد اللنبي كما قدمت الحكومة الإنكليزية للجنة كل
المساعدات وجاملها كل المجاملة وسهلوا مهتمتها. وكان من
المقرر أن لا يدلي الفلسطينيون بآرائهم إلى اللجنة في فلسطين،
بل بحيلوا إلى ممثلين في المؤتمر السوري في دمشق. وقد أبلغ
الموظفون الإنكليزية اللجان بأن نسبة السكان المسلمين في
فلسطين 80% من مجموع السكان والجميع يطلبون الاستقلال
ووحدة سورية رافضين الوصاية الفرنسية. أما المسيحيون
فيشكلون 10% من مجموع السكان جميعهم يطلبون الاستقلال
التم والوحدة السورية ما عدا أقلية ضئيلة جداً من الموارنة
يطلبون الحماية الفرنسية. أما اليهود فقد 10% من سكان
فلسطين ويطلبون وطناً قومياً ليهود في فلسطين والسماح
بالهجرة وأن تكون اللغة العربية رسمية والحماية البريطانية.
وبعد أن مكثت اللجنة في فلسطين عشراً أيام غادرتها إلى لبنان،
قزارت صور ومسرحون والبترن خلال يومين ثم توجهت
بيروت.

ولقد سبب وصول اللجنة نشاطاً واهتماماً شملاً البلاد السورية
بمجموعها شمالها وجنوبها، داخلها وساحتها، وشنت الدعوات ووزعت الناشئات وقد أخذ الفرنسيين الجزع فحاولوا أن يفروزا وله بالقليل من عطف الشعب السوري في المنطقة الشرقية فاتخقوه رغم ما يذلوا من نشاط وما أنفقوا من مال واذا في المنطقة الغربية التي كانت تحت احتلالهم فكان توظيفهم جزئياً بالرغم من كثرة إمكاناتهم ووسائلهم فيها وبشعاتهم التبشيرية التي ما زالت تدعو لهم منذ عشرات السنين. فكانت نتيجة الاستفتاء في المنطقة الغربية كانت: طالب قسم بلبنان كبير مستقل استقلالياً ادارياً ضمن الوحدة السورية دون حماية أو وصاية، وقسم طلب لبنان كبرياً دون حماية فرنسية. أما الموارنة فطلبوا لبنان كبرياً تحت حماية فرنسا. أما الدروز فطلبوا الاستقلال مع المساعدة البريطانية وقالوا إذا كان لبنان سيكون تحت المساعدة الفرنسية فإنهم يطلبون الانفصال عنه وقد صوت الروم والأرثوذكس والبروتستانت ضد وصاية فرنسا.

قرار المؤتمر المقدم إلى اللجنة

وصلت اللجنة إلى دمشق واستقبلت استقبالاً حافلاً، وفي 3 تموز 1919 قابل رئيس المؤتمر السوري ومعه أحد عشر عضواً من مناطق سوريا المختلفة انتخابهم المؤتمر ليشتركون معه في تلك المقابلة وسماوا اللجنة قرار المؤتمر وهذا نصه:

نحن الواقعين أيها إخواننا أعضاء المؤتمر السوري العام المعقد في دمشق وللفلいません من مندوبين جميع المناطق الثلاث الجنوبية والشرقية والغربية، حيناً على اعتصامهم في جلستنا المتحدة في نهر الأردن والمصاف تاريخ 2 تموز 1919 ووضع هذه اللائحة
البيئة لرغبات سكان البلاد، الذين استُدِمُّوا ورفعها إلى الوفد
الأمريكي المُحتَرَم من اللجنة الدولية:

١ - أَنَا نَتَلِب الاستقلال السياسي التام للبلاد السورية 
التي تحددها شمالاً جبال طوروس، جنوباً رفع فالخط المار 
من جنوب الجوف إلى جنوب العقبة الشامية والعقبة 
الحجازية، وشرقاً نهر الفرات والخابور والخط المتد 
شرقي أبي كمال إلى شرق الجوف وغرباً البحر المتوسط 
دون حماية ولا وصاية.

٢ - أَنَا نَتَلِب أن تكون حكومة البلاد السورية ملكة مدنية 
نيابية تدار مقاطعاتها على طريقة اللامركزية الواسعة 
وتحفظ حقوق الأقليات، على أن يكون ملك هذه البلاد 
الأمير فيصل الذي جاهد في سبيل تحرير هذه الأمة 
جهدًا استحققه أن تضع تمام الثقة بشخصه وأن 
نجاهر بالاعتماد التام على سموه.

٣ - حيَّث أن الشعب العربي الساكن في البلاد السورية شعب 
لا يقل رقياً من حيث الفقرة عن سائر الشعوب الراقية. 
وليس هو في حالة أُخِم من حالات شعوب البلغار والصرب 
واليونان ورومانيا في بداية استقلالها فإننا نحقق على المادة 
٢٣ الوردة في عهد جمعية الأمم والقضية بإدخال بلادنا 
في عداد الأمم المترسبة التي تحتاج إلى دولة مترسبة.

٤ - إذا لم يقبل مؤتمر الصلح هذا الاحتجاج العادل 
لاعبيارات لا نعلم كنهها فإننا بعد ما أعلن الرئيس ولسن 
أن القصد من دخوله في الحرب هو القضاء على فكرة 
الفتح والاستعمار، تعتبر مسألة الانتداب الوردة في عهد 
جمعية الأمم عبارة عن مساعدة فنية واقتصادية لا تمس 
استقلالنا السياسي التام. وحيث أننا لا نريد أن تقع
بلادنا في خطر الاستعمار. وحيث أننا نعتقد أن الشعب
الأمريكي هو أبعد الشعوب عن فكرة الاستعمار. ولأنه
ليس له مطامع سياسية في بلادنا فإننا نطلب هذه
المساعدة الفنية والاقتصادية من الولايات المتحدة
الأمريكية على أن لا تمس هذه المساعدة استقلال البلد
السياسي التام ووحدةها، وعلى أن لا يزيد أبدًا هذه
المساعدة عن عشرين سنة.

5 - إننا لم تتمكن الولايات المتحدة من قبول طلبنا هذه
المساعدة منها فإننا نطلب أن تكون هذه المساعدة من
دولة بريطانية عظمى على أن لا تمس استقلال بلادنا
السياسي التام ووحدةها وعلى أن لا يزيد أبدًا عن المدة
المذكورة في المادة الرابعة.

6 - إننا لا نعترف بأي حق تداعيه الدولة الفرنسية في أي بقعة
كانت من بلادنا السورية، ونرفض أن يكون لها مساعدة
ويد في بلادنا بأي حال من الأحوال.

7 - إننا نرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبي من
بلادنا، السورية، أي فلسطين وطناً قومياً لঈسرايليين
ونرفض هجرتهم إلى أي قسم من بلادنا، لأننا ليس لهم
فيها أدنى حق. ولأنهم خطر شديد جداً على شعبنا من
حول الاقتصاديات والقومية والكيان السياسي. أما سكان
البلد الأصليون من أخوانا الموسوبيين فلهم ما لنا
وعليهم ما علينا.

8 - إننا نطلب عدم فصل القسم الجنوبي من سوريا المعروف
بفلسطين والمنطقة الغربية الساحلية التي من جملتها
لبنان عن القطر السوري ونطلب أن تكون وحدة البلاد
مصنوعة لا تقبل التجزئة بأي حال كان.
- إننا نطلب الاستقلال التام للقطر العراقي الحر ونطلب عدم إيجاد حواجز اقتصادية بين القطرين.

- إن القاعدة الأساسية من قواعد الرئيس وسن التي تقضي بإلغاء المعاهدات السرية، تجعلنا نحتاج على كل معاهدة تقضي بتجزئة بلادنا السورية أو كل وعد خصوصي يرمى إلى تمكين الصهيونيين في القسم الجنوبي من بلادنا. ونطلب أن تلغى تلك المعاهدات والعود بأي حال كان.

هذا وإن المبادئ الشريفة التي خرج بها الرئيس وسن لتجعلنا واثقين كل الثقة في أن رغبائنا هذه الصادرة من أعماق القلوب ستكون في الحكم القطعي في تقرير مصيرنا، وأن الرئيس وسن والشعب الأمريكي الحر سيكونان لنا عونًا على تحقيقها فيثبتون للملا صدق مبادئهم السامية وغايتهم الشريفة نحو البشرية بنوع عام ونحو شعبنا العربي بنوع خاص، وأن لذا الثقة الكبرى في أن مؤتمر السلام يلاحظ أننا لم نتر على الدولة التركية التي كنا ويها شركاء في جميع الحقوق التمثيلية والدنية والسياسية، إلا لأنها تحامت على حقوقنا القومية التي تحقق لنا رغبائنا بنتمها فلا تكون حقوقنا قبل الحرب أقل منها بعد الحرب بعد ما أرقتنا في سبيل الحرية والاستقلال، ونطلب السماح لنا بإرسال وفد يمثلنا في مؤتمر السلام للدفاع عن حقوقنا الثابتة تحقيقاً لرغبائنا هذه والسلام.

وبعد أن أتمت اللجنة عملها في جميع أقسام سوريا توجهت من حلب إلى أضنة فاستنادب فويصات باريس في أواسط أيلول 1919 لتقديم تقريرها، فوجدت أن الأحوال متبللة فواصلت سفرها إلى واشنطن حيث قدمت تقريرها إلى وزارة الخارجية، وقد كان الشعب الأمريكي قد خذل الرئيس وسن كما مر ذكره.
تقرير اللجنة بعد عودتها

قضت اللجنة في أقسام سوريا الثلاثة 62 يومًا ووارت 36 بلدًا وثالث 1836 عريضة، وتقدر اللجنة أن نحو سوريا 3,247,500 نسمة منهم 2,360,000 مسلمون و80,000 مسيحيون و140 ألف درز و110 آلاف يهود و40 ألف طوائف أخرى. وتلتزم اللجنة في تقريرها بعد شرحها المطول للعراش التي تلقته وماهيتها وتحوال البلاد وإحلال سكانها الخ، تقترح أن تكون غاية الدولة الوعيمة خدمة الشعب وأن تكون مددتها محدودة وتكتيكيها لتدريبها على ممارسة الحكم وإنكاو روح الوطنية وتجنبا تراكم الدين وانتشار في مشاكل الدولة الوعيمة وعدم استخدام سلطتها لتأبي مشاريع املاكاوية وتشريع المحافظة على وحدة سوريا حسب رغائب السواد الأعظم من أبنائها، وتقرر اللجنة أن سوريا في مجموعها بلاد عربية في لغتها ومدنيتها وتقاليدها وعاداتها. ولا ترى اللجنة مسؤولاً لانضمام كليكيتيا لسوريا لأنها باكترها تركية وتقرر إعطاء لبنان الأصلي حكماً ذاتياً ضمن الوحدة السورية وأن تكون الوعيمة لسوريا بجميعها لدولة واحدة وتقرر أن الأكثرية تطلب وصاية أمريكية، وإذا لم تكن فانكتروا وترفض وصاية فرنسا وإنها تقترح أن تعطي الوعيمة على جميع سوريا الإنكليز إذا رفضت أمريك تا ذلك وتقول اللجنة إنها يستحيل عليها الإشارة أن تكون سوريا كلها تحت الوعيمة الفرنسية وترى أن إكراه سوريا على ذلك سيؤدي إلى حرب. إلى أن تقول: إنه إذا بقيت فرنسا مصرة على التهديع بما تدعمه من حقوق في سوريا فإنه من الممكن أن تعطي لها وصاية على لبنان في الكثيرة بالانفراد عن سوريا. وتقرر اللجنة كذلك طلب الأكترية الساحقة من البلاد. أن يكون فيصل ملكاً عليها وتعدد أسباب ومنافع ملكيته كما تشير بلزوم تنفيذ البرامج.
الصهيونية لاسيما ما يتعلق بالهجرة.

بعد أن أعد هذا التقرير وزارة الخارجية الأميركية سكت عنه وأهل أمره وبقي مكتومًا حتى سنة 1924 حيث نشرته صحيفة نيويورك تايمز، وقدمته بمقدمة قالت فيها: "السر في اقتناء وزارة الخارجية لعدم نشره هو ما اشتهل عليه، وهو نشر في حينه لغير مجري الحوادث في تركيا ولربما انقذ مليوناً من الأشخاص الذين هدروهم ظلالاً بعد الحرب. وإزاح هذا التقرير الغطاء عن مطامع الحلفاء وبين مسؤولية المعاهدات السرية. وأوضح التناقض بين العهود التي قطعتها أوروبا لشعوب الشرق والخطة الاستعمارية التي ساررت عليها وتتبناها مقدماً بخططات الحركة الصهيونية وصور الاتحاد الملكي بين المسلمين واللادينيين للحصول على الاستقلال وذوب بطلان دعاوى أوروبا.

لقد رؤى الفرنسيون من نتيجة الاستغتالة وايقنوا بوجود المصاعب دون تطبيق خططهم، فذرووا حملة صحيفية على انطلاق ملحين بتنفيذ العهود التي بينهم بشأن سوريا، فعمل الانكليز على إرضائهم بأن أبلغوا مؤتمر الصلح أنهم لا يقبلون الانتداب على سوريا، وذلك لم يبق أمام المؤتمر من ينتدبه على سوريا سوى الفرنسيين بعد أن قرر الأميركان العودة إلى عزلتهم. وفي الوقت نفسه كان الفرنسيون في لبنان يشون الدعاعيات ويمهدون الأمسور لتكبير لبنان على حساب باقي الأراضي السورية لتكوين البقعة اللبنانية التي يأملون أن تدخل في حيااتهم على أكثر ما يمكن أن تكون من الوسامة وحلوا مجلس إدارة لبنان على اتخاذ قرار بالمطالبة بتوسيع حدود لبنان وقد أبلغ رسمياً إلى مؤتمر الصلح كما حمل الفرنسيون بطريق المواجهة الياس الحيوك على السفر إلى باريس للمطالبة بإنشاء لبنان الكبير تحت الحماية الفرنسية.
وفي 9 أيلول 1919 وارضاء للفرنسيين أيضاً أرسلت القيادة العليا البريطانية في الشرق الأوسط الكولونيل (ماين هيرزاكن) ومعه (الكابتن الفرنسي كولوندر) لإبلاغ الأمير فيصل بأن بريطانيا تعلن رفضها الانتداب على سوريا وأن الجنرال اللنبي عازم على إعادة الأمن إلى نصابه إذا حدثت قلاقل واضطرابات في المنطقة. فأجاب الأمير بأنه لا يوافق على تقسيم البلاد واستعمارها وإن هذه الاضطرابات ما هي إلا بسبب خوف الشعب على مستقبله وحريته فكان جواب الكولونيل بأن المارشال اللنبي سيستقبل كل محاولة مشرومة كانت أو غير مشرومة تخل بالأمن. وبعدما وصلت حالة التوتر إلى هذه الدرجة أبلغ رئيس الحكومة البريطانية إلى الأمير يدعوه للحضور إلى انكلترا لتبليغ الأمور حسب الاتجاه الجديد على أن لا يتأخر وصوله عن 11 أيلول 1919.
فيصل في أوروبا ثانية

برقية الستر لويد جورج وصلت إلى الأمير فيصل في ساعة متأخرة من ليلة 11 أيلول 1919، ومع ذلك فإن الأمير أصر على تطور وتهبأ للسفر وتحرك في صباح يوم 12 منه بقطار خاص إلى حيفا ومنها ركب نسافة بريطانية قادمة من مرسيليا وكان في رفقته هذه المرة وفد كبير تعمد أن يكون فيه عدد كبير من رجالات لبنان المعروفين، وهذه أسماء أعضاء الوفد: المقدم محمد اسماوي (خبير عسكري صوري)، الشاعر الشيخ فؤاد الخطيب سكرتيره للشؤون الخارجية (لبناني)، حداد باشا مدير الأمن العام (لبناني)، الدكتور أحمد قدرى طبيبه الخاص (صوري)، الخوري يوسيف أصدقاء، وهو الخطبجي الماروني الذي التحق بوطنبي دمشق وكان خطيبهم المرؤو وله شعب خطباء الشرق (لبناني)، توفيق الناطور (لبناني)، جميل الألشي مساعدته العسكري (صوري)، تحسين قدرى (مرافقه الخاص) (صوري)، الأمير أمين ارسلان (لبناني)، الأمير فايز الشهابي (لبناني)، والدكتور سامح الفاخوري (لبناني).

وبينما كان الأمير في طريقه كان رئيسا حكومتي انكلترا وفرنسا يتفاوضان للوصول إلى اتفاق يفاوضون به الأمير ولذلك أرسلوا
إلى النسافة التي كانت تقلل بأن تتكا في الوصول، ونها جدا تأخرت في مسأله بعض الوقت بحجة إصلاحات طارئة حيث وصلت إلى مرسيليا في 18 منه ومنها سافر إلى باريس على الفور. وعند وصوله علم أن الانكليز والفرنسين اتفقوا على جلاء الجيش الانكليزي عن المناطق الشرقية والغربية وعن كليكية وأن تحمل مكاتب الجيوش الفرنسية أي أن تحتل فرنسا البلاد التي اخترعت بها في معاهدة سايس-بيكو. ومن جملتها الأقلية الأربعة التي كانت تابعة للمنطقة الشرقية وهي بعلبك والبغاء وراشيا وحاصبيا، أي أن يستنف من الاحتلال الفرنسي المدن الأربع وهي: حلب، حمص، حمص ودمشق وأن تبقى ولاية الموصل تابعة للعراق. واعتن ذلك بلغ رسمي نشر قبل وصول الأمير بيوم واحد وابيع مؤتمر الصلح بذلك عن أنه تدير مؤقت.

لقد تأتى انكلترا من فرنسا مقابل جلاء جنودها عن هذه التسوية: أعطاء الموصل للعراق وسلخها عن سوريا وعدم منازعتها في تقرير مصير قسطنطين وتركها انكلترا بعد أن كان مقررا أن تكون دولة وعدم الاعتراف أن يكون العراق تحت الانتداب البريطاني وسلخ مقاطعة شرقي الأردن عن المنطقة الشرقية وباقيها تحت الاحتلال البريطاني.

وبذل الأمير باريس متوجهًا إلى فرنس وصولها في 19 أيلول فاستقبل استقبالًا رسمياً ضخماً وانزل ضيفًا على الحكومة البريطانية. وفي اليوم نفسه قابل الليود الكنسي وذهبا سوية لقاء رئيس الوزراء. فاجتمع الأمير على ما وقع ولكن لويد جورج أظهره بصراحة أنه يتوقف مع كلينمنجر. وبيغي الأمير في لندن حتى 22 تشرين أول اتصل خلالها بأولى الشؤون من الانكليز وطلب بإلحاح تطبيق وعود الانكليز للحسن دون جدوى فظهر جلياً أنهم تخلوا عن العرب وعن جميع ما أعطوه
لهم من وعود مقابل الموصل وبرلوا وفلسطين وشرق الأردن،
ولا تأكد فيصل من موقفهم هذا أوجز إلى مندوبى العرب في
مؤتمر الصلح بمرافعة الوفد الأميريكى بطلب تدخلهم لدع
قبول الاتفاق ولكن الأميركان لم يفعلوا شيئاً. وطلب الأمير
تشكيل الحكومة السورية الداخلية بما فيها الموصل وهذا لا
يعترض مع معاهدة سايلكس - بيكيو ولكن هذا أيضاً لم يقد
لأن القوم تجاوزوا هذه المعاهدة فجعلوا البلاد العربية سلعة
بين ايديهم يتبادلونها وفق مصلحتهم دون أن يعرفوا الأمة
العربية أي اعتبار.

اتفاقية كليمنصو

ولم يبق أمام فيصل سوى محاولة الاتفاق على شيء مع
الفرنسيين انفسهم فغادر لندن في 27 تشرين الأول 1919 إلى
باريس. وفي اليوم الثاني من وصوله قابل رئيس وزرائها
كليمنصو مقابلة ودية لم ينتج عنها أي شيء واستمرت
محادثات الأمم مدة طويلة والفرنسيون لا يحذرون عن موقفهم;
وإثناء ذلك عينوا الجنرال غورو (رغم من كبار قادةهم) مندوبًا
ساميًا وقائدًا عامًا للجيش الفرنسي في الشرق. وقد صرح قبل
سفره إلى بروتين مهمته إبدال الجنود البريطانيين بفرنساين،
وكان هم فيصل في مفاوضاته مع كليمنصو الحيلولة دون
احتلال القوة الفرنسية لداخلية سوريا. وأخيرًا توصلوا لعقد
اتفاق عسكري موقت من ثلاثة بنود:

1- تأليف لجنة ثلاثية من فرلنسي وعربي وإنكليزي لحل ما
يمكن أن يقع من خلافات.

2- إنسحب الجنود العرب من البقاع وإن كانت في الأصل
تابعة للمنطقة الشرقية.
2- يشرف على أعمال الشرطة والدرك الموجودين في البقاع حالياً هيئة مختلطة من الضباط الفرنسيين والعرب.

وإثناء ذلك كانت الجيوش الفرنسية تتدفق على السواحل السورية. وكان الجنرال غورو بالرغم من الاتفاق العسكري الذي يحاول احتلال البقاع. فأرسل ضابطاً مع عدة جنود لبعلك فطرهم الأهالي فعادوا في اليوم الثاني مع جيش اشتبك مع الأهالي في معركة دامت يوماً كاملاً دخل بنهايتها الجيش الفرنسي إلى بعلبك. فاحتاج فيصل على ذلك إلى كليمنسو لمغالطته للفترة الأخيرة. وفي أثناء ذلك كانت تصل الأمير أخبار مقلقة من سوريا عن اضطرابات حزب الأمن في كثير من النواحي كالحولة وثل كلخ وجبيل العلويين وحاصربيا وراشيا إلخ.

ومن أهم الأخبار التي أبلغت الأمير هي اعتقال الإنكليز لياسين الهاشمي الذي كان رئيساً لديوان الشوغي الحربي (وزير دفاع) بأن دعاء القائد الإنكليزي في مسّكر المجرة إلى شرب الشاي وهكذا اعتقل وارسل بسيارة عسكرية إلى الرملة. وما كاد هذا الإجراء يعرف حتى قامت البلاد بأجمعها بومظاهرات محتجة تطلب إرجاع الهاشمي. وهذه المظاهرة هي أول مظاهرة أشدها. لقد خرجت دمشق بأجمعها تحت اسم الهاشمي. وكانت المظاهرات تخرج على طريق ما يسمى بالاعراضات فكانوا يشكلون من جماعات كل حي أو حارة جماعة يركب أحدهم على كتف واحد آخر ويبعد عصي فينذد شيئاً يناسب الموافق غيره الباقون. وهكذا يسيرون ويتجلون في الشوارع وكانت أكثر الناس في ذلك الوقت ترتد الي القنابيز والشراويل. كنت واقفاً في المرة أتخرج على هذه الجموع فسمعت أحدهم يصيح على الجماهير: ماذا تريدون فيدين عليه: الهاشمي فالتفت أحد هؤلاء بسالمي: أي من هو الذي الهاشمي؟ أجيبه وزير الدفاع اعتقله الإنكليز.
أن 95% من هذه الجموع ما كانت تعرف من هو الهاشمي وتعتبر تلك الفترة من اليوم يصبحون حتى يجتمعون. هذا هو الشعب. يسير للخير كما يمكن أن يسير في بعض الأحيان للشر والعبرة بمن يسيّره.

كان الفرنسيون يصرون في مفاوضاتهم أن يكون في فرنسا في الحكومة السورية مستشارون ذو سلطة لمؤسسات الداخلية والعربية والمالية والمحارسة والعلمية والاشغال العامة. يعني أن تكون إدارتهم في البلاد. وصار الأمر أن يكون المستشارون الموظفين لدى الحكومة، وطلب الفرنسيون سلخ الأسباب الأربعة وهي: علبة البناء، حاصبياً وراشياً من سوريا وإلحاقها بلبنان، وكذلك ضم بيروت وصيداً وصور ومرجعيون وطرابلس إلى لبنان، كما رفض استفتاء البلاد. لقد كان جميع من كانوا مع الأمير من أعضاء الوفد يشعرون به المرض بالاتفاق مع كليمنصو عبد الدكتور أحمد قدرى الذي كان يقول بعدم جواز أي تسااهل معهم، وكتب بذلك إلى زملائه أعضاء الهيئة الإدارية لحزب الفتاة بغية مقاومة فكرة الاتفاق بيدات المجتمعات في داخلية سوريا وتوعيش المواثق برفض كل اتفاق يعد من سيادة الأمة. وشنت المصلحة والروح المقاومة واشترك بهذا الحماس أعضاء المؤتمر السوري قطع إلى الحكومة تقرر الخدمة الإلزامية قرر الحاكم العسكري العام رضا الركابي استقالته لاعتباره بعدم جدوى هذا الحماس (الذي يصب الوقوف أمامه) بالنسبة للبنين الشاسع بين قوى الطرفين، ورضا الركابي كما هو معلوم الرجل العسكري الإداري القوي، ورضا في حماس الناس انحساب الجيش البريطاني من دمشق في 25 تشرين ثاني 1919 فطلبوا تشكيل حكومة وطنية برلمانية. فعين الأمير زيد عامرًا عن الركابي (حاكم عسكري عام) مصطفى نعمت وعين عوضًا عن الهاشمي
العظيم يوسف العظمة. وفي 21 كانون أول 1919 أقر قانون
الخدمة الإلزامية لمدة ستة أشهر من سن العشرين إلى سن
الأربعين كما ذكرنا ذلك.

وفي تلك الأثناء كانت مفاوضات فيصل في باريس مستمرة
وأخيرا توصلوا إلى مشروع الاتفاقية التي عرفت ب : مشروع
اتفاق فيصل - كليمنصو وكان مما قاله كليمنصو لفيصل أثناء
المفاوضات : أرجو أن تسرع بعهد المعاهدة لأن سواي لن
يتساهل معك بقدر ما أفعل. ويقصد بتساهله هو قبوله أن
يندخل نص في المعاهدة يقول بالاتفاق في المستقبل على الصورة
التي يمكن معها المستشارون السهة من القيام بإجباراتهم
عوضا عن التصريح بها، وأننا ندرج هذه الاتفاقية هنا لما لها
من الأهمية التاريخية.

مشروع اتفاقية كليمنصو - فيصل

عطفا على التصريح الفرنسي الإلزي في 9 تشرين الثاني
1918 من جهة، واستنادا على المبادئ العامة لتحرير الشعوب
ومعاونية الوحدة المعلنة من قبل مؤتمر الصلح من جهة أخرى،
تؤكد حكومة الجمهورية الفرنسية اعتراها بحق الأهلية
الناطقين باللغة العربية والقاطنين في الأراضي السورية من سائر
المذاهب أن يتحدوا ليحكموا أنفسهم بأنفسهم بصفتهم أمة
مستقلة.

يعترف صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بأن مصلحة الأهلين
في سوريا الكبرى نظرا لاختلاف الكيان الإداري الناشئ عن
الاضطهاد التركي والخسائر الهائلة بالبلاد أثناء الحرب،
تتطلب تحقيق وحدتهم وتنظيم كيان الأمة الإداري بالانتقال إلى
النصائح والمعونة التي تسجل في جمعية الأمم عندما تتألف هذه الجمعية.

تعهد الحكومة الفرنسية أن تمنح معونتها لسوريا وأن تضمن استقلالها ضد كل تجاوز ضمن الحدود التي سيعترف لها بها مؤتمر الصلح. وفي تعنيف هذه الحدود ستبقى الحكومة الفرنسية جهدها لتطبيق جميع التعديلات الحق من الوجهة الجنسية واللغوية والجغرافية.

يتعهد صاحب السمو الملكي الأمير فيصل أن يطلب من حكومة الجمهورية الفرنسية ومن هذه الحكومة وحدها المستشارين والمدرحين والموظفين الفنيين اللازمين لتنظيم الإدارتين المدنية والعسكرية. وسيضع هؤلاء المستشارين والفنانين تحت امرة الحكومة السورية التي منها يتقبلون تعينهم وقواهم التنفيذية التي ستحدد باتفاق مشترك بين الحكومتين بموجب عقد ينص على مدة مهمتهم والضمانات المتعلقة بها.

ان الحكومة الجمهورية وصاحب السمو الملكي الأمير فيصل متفقان على تطبيق نظام دستوري في سوريا ضمان لحقوق الأهلية السياسية ومثبت للحرية الكسبية سابقاً ومتنوع لأماناتهم المتضمنة إنشاء حكومة مسؤولة أمام البرلمان وتوصل للتنظيم المالي الذي هو القاعدة الأساسية لإدارة الدولة الجديدة. يشترك المستشار المالي في إعداد ميزانية النفقات والواردات ويبلغ إجبارياً جميع التعددات والتفاوضات المختلفة الدوائر ويرافق حصة سوريا من الدول العاملة العثمانية ويكلف بالساقية المتعلقة بتطبيق الشروط المالية في معاهدة الصلح مع تركيا وسوريا.

أما مستشار الأشغال العامة فتكون الخطوط الحديدية تحت إشرافه ويحترم النظام الخاص المتعلقة بسكة حديد الحجاز وله
تعتبر السابقة الحر الاقتصادي للخطوط الموصلة إلى دمشق مصلحة شخص ثالث يعد لاغياً وكأنه لم يكن.

وعلق اتفاق الاقتراع الحاضر تمنح الحكومة الفرنسية معونتها لجهة تنظيم الدرك والشرطة والجيش. يتولى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل للحكومة الفرنسية بحث الأولوية التامة بالتعدات والتقربات اللازمة لغير البلاد ما لم يتقدم وطنين يطلبون هذه المنشورات لحسابهم على أن لا تكون أسماؤهم معارة إلى رأسماليين أجانب.

تتمثل الدولة السورية في باريس لدى الحكومة الفرنسية بمندوب سيامي مكلف بملاحظة المسألة الخارجية التي تهم الأمة السورية. وتعهد الدولة المذكورة أيضأ إلى ممثل فرنسا السياسيين وقناصلها في الخارج بتمثيل مصالح سوريا الخارجية.

يعتبر صاحب السمو الملكي الأمير فيصل باستقلال وسلامة لبنان تحت الإقامة الفرنسية. وستتم الحدود في مؤتمر الصلح ويخذل هذا الأمر بعين الاعتبار لإتمام حقوق ومصالح وأماني الأهلين.

اللغة العربية معترف بها كلغة رسمية لإدارة المدارس. أما اللغة الفرنسية فدراس بصورة أجبارية وممتزة.

تكون دمشق العاصمة ومحل إقامة رئيس الدولة. ويختار المفوض السامي له مقراً عادياً في حلب ليكون عن مقربة من كليكية وهم منطقة الحدود وتعد النقطة الطبيعية لجيوش الدفاع المتجمعة. وإذا احتاج الأمر إلى دعوة هذه الجيوش للداخل فلا يكون ذلك إلا بطلب رئيس الدولة السورية وبالاتفاق مع المفوض السامي.
يبقى هذا الاتفاق الذي يعين المبادئ العامة مكتوصاً بين الفريقين حتى توقيع الاتفاق النهائي ويوضع عند رجوع صاحب السمو الملكي إلى فرنسا ويعبر في الوقت الموافق على مؤتمر الصلح.

نظم هذا الاتفاق على نسختين يوم ٥ كانون الثاني ١٩٢٠.

ولهذا الاتفاق ثلاثة ملحقات: الأول خاص بالآليات في لبنان وقد تضمن (أن الآليات تستقىي عند تحديد الصدود) والثاني عن حويران (جبيل السدرونز) ويتضمن أنه يطبق فيه نظام استقلال نووي في داخل الدولة السورية. والثالث عن بيرات واسكندرية.

وقد تقرر أن تكونا مدينتين حريتين.

وكان من المتفق عليه توقيع الاتفاقية أثناء حفلة الغذاء التي ستقيمها وزارة الخارجية الفرنسية للأمير في ١٩٢٠/١/٥ ولكن أثناء ذلك وصل الدكتور ثابت نعمان طبيب الملك حسين ومعه أمر إلى الأمير فيصل لئامره فيه والده بعدم توقيع أي اتفاق يتناقل مع العهد المعتادة له من الحكومة البريطانية. وكان من تأثير هذا الكتاب ومن إلحاح الدكتور أحمد قدرى أن الأمير لم يوقع الاتفاق بل اكتفى بوضع الأحرف الأولى من اسمهما مع تأجيل توقيع لحين استشارة الشعب السوري به.

مجلس إدارة لبنان

لقد كان للبلدان منذ العهد العثماني مجلس إدارة بمثابة (مجلس نيابي) لإدارة شؤونه ومنذ احتلال الفرنسيين استهانوا بهذا المجلس وعاملوا أعضائه معاملة غير لائقة، فشرع بعضهم بالاشتراك مع سعيد البستاني قائد الدرك اللبناني السابق، الذي استقال من منصبه بعد إمكانه تحمل
غرسة الفرنسيين، بالفاوضات مع المعتمد العربي جميل الأشري (وقد تبين فيما بعد أنه كان عملاً للفرنسيين خلال وجوده معتمداً عربياً في لبنان) وتتم الاتفاق بينهم على المواد الآتية:

١ - استقلال لبنان التام.
٢ - حياده.
٣ - إعادة المسارع عنه من المناطق بموجب اتفاق يتم بينه وبين سوريا.
٤ - تنظم العلاقات الاقتصادية بموجب اتفاقية تجارية بين سوريا وليبنان.
٥ - تعاون الفريقين في السعي لدى الدول لتصديق هذه البنود.

وللإحلال تأمين حرية العمل بعيداً عن الضغوط قررت إثر فعالية المجلس الممثل الشرعي للبنان توقيع مذكرة بتاريخ ١٠ تموز سنة ١٩٣٠ والتوجه بالذات إلى ديار الغرب للاحقة تطبيق بنودها وإبلاغ هذا القرار إلى المراجع الرسمية، وكان المجلس مشكلة من ١٣ عضواً (١٠ يهود عشائر في و٣ سرياني)، فوقع المذكرة سبع أعضاهم منهم وهم: فؤاد عبد الملك، محمود سليمان، خليل عقل، سعد الله الحويك، محمد الحاج حسن، والياس الشويري. وقرر هؤلاء السفر إلى باريس حلسة لتوقيع مطالبهم كما قرروا السفر عن طريق دمشق فحيفاً ثم بويريا إلى مرسيليا ولكن السلطة كانت تعلم بأسرهم من أحد جواسيسها (والتي تعرف أن يكون المعتمد العربي نفسه) وقد كانا نوره فيما بعد بأن جعله رئيساً للحكومة السورية فألقت القبض عليهم أثناء سفرهم وسجنهم وحكمت عليهم بالتعني والغرامات.
عودة الأمير وإعلان الاستقلال

غادر الأمير وحاشيةه باريس في 6 كانون الثاني 1940 في سفينة فرنسية ووصل إلى بيروت في 13 منه واستقبل وفد المهنيين في دار المعتمد العربي. فحادتهم بما يتم عن رغبته في تنفيذ ما اتفق عليه مع كليننصور وزاد أن بين رغبته باستشارة الأمانة في ذلك واستودب الجميع رأيه عدا أعضاء حزب الفتاة والعاملين معها.

واصل الأمير بعد ذلك إلى دمشق فاستقبلته المدينة استقبالًا منقطع النظير وبايعتمن مما استقبل به في المرأة الأولى. وكان الأمير في مقابلته للوفود والهيئات المختلفة يدقع عن وجهة نظره بما يختص بالاتفاقية. وكان الدكتور أحمد ندري (العضو الإداري في حزب الفتاة من جهة وعضو الوفد من جهة ثانية) يعارض فكرة قبول الاتفاقية ويفقد اسباب معارضته للصحافيين وغيرهم. وقد تبنت جمعية الفتاة وواجهتها حزب الاستقلال معارضة الاتفاقية.

وأقام النادي العربي حفلة كبيرة دعا إليها الأمير وكانت الخطابات جمعها تعارض فكرة الأمير واقتفتية بلباقة وطلب الاستقلال الكامل الناجز دون حماية أو وصاية أو انتداب، وبالدفاع عن استقلال البلاد.
واجتمع رضا الركابي بالأمير ويبين له الكتاب خطى سبب استقالته التي قدمها لأخيه خلال غيابه وأنها من جراء مدخلة حزب الفتاة في شؤون الدولة ووصورته كحكومة غير مسؤولة تستمر الحكومة المسؤولية وأن ذلك سيسبب الفوضى وضياع البلاد كما جرى مع الاتحاديين. وتشكل في هذه الآونة حزب من الطبقة الاستقلالية في دمشق سمي (الحزب الوطني السوري) مستفيداً من البريد الذي وقع بين حزب الفتاة والأمير ليتغربوا منه دعماً لمكانتهم وكانوا فعلياً يشكلون طبقة الوجهاء والشخصيات المعروفة بمباشِرة كل سلطة في سبيل تأمين نفوذهم ومصالحهم.

وفي 28 كانون الثاني سافر الأمير إلى حلب للاتصال بالأهلين وكان يعرفته هذه المرة الكولونيل الفرنسي تولا وقد أصبح مستشاراً له. وفي هذه الأثناء سقطت حكومة كليمنسسوس الذي كان يرغب بالوصول إلى اتفاق مع فيصل وجاء بعده مثران، ورغب الأمير إلى الجنرال غور. ان يساعدته في تهدئة الخواطر بإظهاره عفواً عن الثوار كمقدمة لإنشاء حكومة وطنية في بيروت وتتفاهم الجنرال مع الأهلين ولكنه رفض أن يعودة بذلك.

وحاول الأمير لتهديد الحالة العامة التي نتج فيها نظرًا ما أن يتفاهم مع جماعة الفتاة التي هو بالأصل منهم ولكنهم بقوا على موقفهم من اتفاقية كليمنسسوس يعتقدون إنها صيك استعماري مغلف يجب أن لا تتربط الأمة به والخبر أن يدفعوا عن استقالاتهم ولن ينقل الدفاع من أن يسلموا بحرويتهم وكراهم طوعية بأيديهم. علماً أن الأمير لم يتذكر لرأي الوطنيين واتفق مع الحكومة على تعزيز موقف الدفاع والتشديد في أمر التجنيد. وبعد أن مر شهر شباط بهدوء نسيب عادت الاضطرابات ضد الفرنسيين في الكثير من المناطق المتاخمة لسوريا.
ولا ينس الوطن السورون من تحقيق استقلالهم بوساطة الحلفاء وأميركا التي نفذت يدها من المشاكل قرروا وضع مؤتمر الصلح أمام الأمير الواقع بإعلان استقلال البلاد والمناداة بزيصال ملكاً عليها وكلف الأمير بالمدال عن السفر إلى أوروبا والاكتفاء بمساعي مندوبيه فيها، ودعوة المؤتمر السوري للاجتماع ليقول كلمته في هذا الاقتراح. وهما يذكرون أن الجنرال غيرو حذب هذه الفكرة مما سهل على فصل قبولها. وكانت غالبية الفرنسيين من هذا القبول في أن هذا الإعلان يضع جداً للتمسك بالاتفاقيات السابقة مع الحسن. أما الانكليز فلم يكونوا راضين عن هذا الإجراء. وفي نهاية شباط تقرر صرف النظر عن سفر الأمير لأوروبا وإن تتخذ الإجراءات بدعوة المؤتمر السوري والمناداة باستقلال البلاد ووحدتها وملكية الأمير فيصل.

المؤتمر السوري وإعلان الاستقلال

واجتمع المؤتمر السوري بعد ظهر 6 آذار سنة 1920 وافتتح الأمير المؤتمر بخطاب القائد سكرتيره الخاص عوني عبد الهادي وجه فيه أنه دعا المؤتمر الذي تمثل فيه البلاد ليقرر مهمة حسب وعده مؤتمر السلام الذي عني بتقريب راحة الشعوب بمستقبلها وذكر ما قاله الرئيس وسن بهذا المعنى كما ذكر تأكيد فرنسا وإنكلترا في منشورهما في 8 تشرين الثاني عن استقلال البلاد العربية، ثم ذكر بقتال العرب إلى جانب الحلفاء من أجل استقلالهم مما جعلهم أصحاب حق به. ثم قال أننا لا نطلب من أوروبا أن تمنحنا ما ليس لنا، بل نطلب منها أن تصدق على حقنا لتعيش مع سائر الأمم بولاء مبني على المكافح المتقبل. إلى أن قال إن مهمتنا خليفة كبيرة وأوروبا تنظر لنا لتحكم علينا. إن دولتنا الجديدة التي قام أساسها على وطنية أبنائها هي في حاجة اليوم إلى تقرير شكلها ووضع دستورها.
ثم قال: واريد أن أذكركم بإخوائكم العراقيين الذين جاهدوا معكم في سبيل الوطن والواجب.

وفي اليوم التالي في 7 آذار 1930 عقد المؤتمر جلسته الثانية ووضع قرار إعلان استقلال سوريا بحدودها الطبيعية وأن يكون الأمير فيصل بن الحسين ملكاً عليها كما قرر أن يكون علمها العلم العربي المربع الألوان مضافاً إلى نجمة بيداء في ملحقاته الأحمر. وباقي العلم العربي الذي دون نجمة علماً للمملكة الحجازية، وفيما يلي نص القرار بعد حذف مقدمته وأسبابه الموجبة:

«نحن أعضاء هذا المؤتمر بصفتنا ممثلين للأمة السورية في جميع أنحاء القطر السوري تماثلًا صحيحة نتكلم بلساننا ونجهر بإرادتها رأيتنا وجوب الخروج من هذا الموقف الحرج. واستنادًا على حقنا الطبيعي الشرعي في الحياة الحرة وعلى دماء شهدائنا المروة، وجهادنا المرير في هذا سبيل المقدس، وعلى العهد والوعود والمبادئ السامية السالفة الذكر، وعلى ما شاءناه كل يوم من عزم الأمة الثابت الأكيد على المطالبة بحقها ووجدتها والوصول إلى ذلك بكل الوسائل فقد أعلنا بإجماع الرأي استقلال بلادنا السورية بحدودها الطبيعية، وبدون فلسطين، استقلالًا كاملاً لا شبه فيه عن الأساس الديني، عن أن تراعى أماني اللبنانيين الوطنيين في كيفية إدارته مقاطعاتهم لبنان ضمن حدوده العربية قبل الحرب، بشرط أن يكون مدعومًا من كل تأييد أجنبي ورفض مزاهمة الصهيونية في جعل فلسطين وطن هجرة لهم، وقد اختبرنا سمو الأمير فيصل بن جلالة الملك حسين الذي أرسل جهاده في سبيل تحرير البلاد، وجعل الأمة ترى فيه رجلاً العظيم ملكًا دستوريًا على سوريا بلقب صاحب الجلالة الملك فيصل الأول. وعليه انتهاء الحكومة الاحتلالية العسكرية الحاضرة في المناطق الثلاث، على أن يقوم مقامها حكومة ملكية نسائية مسؤولة تجاه هذا المجلس في كل ما يتعلق باستقلال البلاد التام إلى أن تتمكن الحكومة من جمع مجلسيها النسائي. على أن تدار هذه البلاد على طريقة الالمراكزية. ثم يذكر القرار طلب استقلال القطر العراقي على أن...»
يكون بينهم اتحاد سياسي وفي نهاية يتعين من الحلفاء. الاعتراف
بإنه القرار وسحب جنودهم من بالغ المناطق السورية إلى أن
يطلب من الحكومة التي ستتألف بموجب هذا القرار تنفيذه».

وفي اليوم التالي، زار الأمير وقد انتخبه المؤتمر وأبلغه القرار
فشكرهم وشكر المؤتمر. وفي الساعة الثانية من بعد ظهر ذلك
اليوم اجتمع المؤتمر وأعضاء بلدية دمشق في دار البلدية لتبثة
الأمير. في الساعة الثالثة حضر الأمير وجرت مراسم المبايعة.
ثم شكر الأمير الحضور بخطاب واحد فيه أن يقوم بكل ما
يكلف استقلال البلاد. وبدأ البيعة الأمير زيد فيطريرك الروم
ورجال الدين وأعضاء المؤتمر فوجهاء البلاد.

يراجع أن ممثل بريطانيا لم يحضر هذه المراسم لأن حكومته
كانت مخالفته لهذا الإجراء وجهة نظرها أن إعلان الاستقلال
يخرج الأمير عن كونه قادراً من قادة الحلفاء يحتل قسماً من
بلاد العدو التي لم يكن قد عقد الصلح معها وهذا الإعلان
 يجعله ملكاً دون موافقة الحلفاء وغير معترف به، وهذا مما
يسهل على فرنسا اتخاذ الحجج ليصبح لها حريته العمل
العسكري، ولهذه الأسباب غضت فرنسا الطرف عن هذا
الأجراء، وقد أثبتت الوقائع صحة ما كان يرمى إليه
الفرنسيون، أن يتخذه حجة للعدوان.

الحكم الجديد

بعد أن تم إعلان الاستقلال ومراسم البيعة عهد الملك إلى رضا
الركابي بتشكيل الحكومة، وفي 9 أذاار رفع إلى جلالته قائمة
بأسماء وزارته، وهذه أسماء أعضائها:

- رضا الرئيسة
- رضا الداخلية
- رضا الرئيسة لجامعة الديني

113
وفق الملك على تشكيلها وانصرف كل منهم لتبدو شؤون وزارته. وتقدمت الوزارة في بيانها إلى المجلس وكان أهم ما فيه لهجة الاعتدال مماثلة للإنكليز والفرنسيين قصد الوصول إلى غايات البلاد بهدوء. ولهذا الشكل الجديد أصبح الملك غير مسؤول، فحدد اتصالاته وأصبحت الوزارة هي السرولة أمام المؤتمر. وهكذا بدأت الوزارة بإحلال الهدوء وتسكين الأمور. وأثرقت للندن وباريس بالوضع الجديد راحة الاعتراف بما كان، كما أرسلت مذكرات إيضاحية إلى دول الحلفاء تبلغها قرار المؤتمر وإعلان الاستقلال ورغبتها بإنشاء صلات ودية مع الحلفاء، كما أرسل الملك فيصل رسالة إلى الرئيس وسن هذا المعنى.

وفي 18 آذار 1920 أعلن رئيس الوزراء البريطاني في مجلس العموم البريطاني أن انكلترا وفرنسا لا تعترفان بما جاء في قرار المؤتمر السوري خصوصاً فيما يتعلق بفلسطين والعراق، فأتراً فيصل بالرد عليه. واما الرد الفرنسي فكان بلاغ اذاعه قلم المطبوعات الفرنسي في بيروت، يني في أن يكون هذا القرار كان بموجبة فرنسا. وارسل الملك نوري السعيد إلى لندن وباريس لكونه ممن اشتكوا في الحرب وأصبح معروفاً بابقته وحسن تصرفه ويجيد القيام ب مثل هذه المهام السياسية وزوده بكتابين إلى كل من رئيسي انكلترا وفرنسا مبرراً فيهما الخطة التي سلكت في سوريا.
القرارات المتناقضة

في 26 نيسان قرر مؤتمر سان ريمو أمر الانتداب على سوريا والعراق. وفي 10 أيام أرسل قائد جيش الحلفاء الجنرال اللبناني برقية إلى الملك فيصل يبلغه فيها قرار المؤتمر بانتشار فرنسا على سوريا وإنكلترا على العراق وفلسطين وأنه بذلك قد تم الاعتراف بسوريا والعراق دولتين مستقلتين بشرط أن تنال المساعدة وأن الوقت قد أشرف للوصول إلى نقطة تائف مع مطالب وأمانات الشعب السوري وأن بريطانيا مستعدة للاعتراف بسموكم رئيسيًا للحكومة السورية على أن أمر الملكية والبحث فيها يعود لمؤتمر الصلح ثم يليه دعوته للحضور إلى باريس لحضور دورة المؤتمر وبسط القضية أمامه إنخ...

وفي 13 أيام أرسل رئيس وزراء فرنسا السيد بلالان إلى فيصل بلاغًا جاء فيه:

ما كان من قرار المؤتمر بحق الأشخاص الناطقين باللغة العربية في سوريا أن يحكموا أنفسهم بصفتهم شعوبًا مستقلة وبأنه عهد إلى فرنسا بالانتداب على سوريا، وترى من واجباتها قبوله لإعطاء هؤلاء الشعوب مشروعًا. فرد عليه فيصل باستنكر السوريين لما ورد في بلاغه عن تقسيمهم إلى شعوب وأنهم لشعب واحد وينزع نزعًا واحدة.

إن توتر الموضع أبطخ الأفكار في الحكومة الناشئة وجعل الوطنيين العاملين في الحقل السياسي يتحسسون من سوء نية الحلفاء وأخذوا يطالبون الحكومة السير بسياسة الحزام وإعداد البلاد لدفع العدو. وما زاد في توتر الحالة أن الفرنسيين اعتبروا عليه رفع العلم السوري الجديد على مبنى المعتد العربي في بيروت لكونه علم حكومة لا يعتبرون بها، كما أنهم اعتبروا أئمة الجوامع في الدعاء لفیصل على المنابر. فائر ذلك
في أفكار الشعب والنهب فيهم الحساسية خرجت المظاهرات احتجاجاً مطالبة بتجنيد الامكانات الدفاعية كافة، وكانت الحكومة تعمل لتهدئة الأعصاب وتعاليم الأمور ب💖ة، بينما كان الشباب وأكثرية العاملين مندفعين في حماسهم وملأ رأسيهم الشيخ كامل القصاب الذي أصبح يتحكم بالشاعر والشباب المحبس وقد راجع الوطنية الملك راجين منه تأيد فكرتهم وتشكيل حكومة يكون عملها الأول تأمين وسائل الدفاع.

حكومة الدفاع الوطني

وحدث أثناء ذلك قرار مؤتمر سان ريمو بتوزيع الانتدابات فزاد في هياج الأفكار وتوجبت الأعصاب فانحاز الملك إلى المتحمسين فطلب إلى الركاب الاستقالة فقدمها وكلف هاشم الأتاسي بتشكيل الحكومة التي سميتي بحكومة الدفاع الوطني. فتألفت في 2 مايو 1940 على الوجه التالي:

- الرئيس
  هاشم الأتاسي
- المعارف
  ساطع الحسبري
- رئيسة مجلس الشورى
  رضا الصلح
- الخارجية
  الدكتور عبد الرحمن شهبندر
- الحربية
  يوسف العظمة
- المالية
  فارس الخوري
- العدلية
  جلال الدين
- التجارة والزراعة
  يوسف الحكم
- الداخلية
  علاء الدين الدروبي
- النافعة
  جورج رفق الله

وذكرت الحكومة في بيانها الذي تقدمت به للمؤتمر بتأيدها الاستقلال التام الناجز بما فيه التمثيل الخارجي والمطالبة
بوحدة سوريا بحدودها الطبيعية ورد طلب الصهاينة ورفض كل مداخلة أجنبية تمس السلطات القومية. وتأثر الثقة.

لقد كان الوضع الدولي بالنسبة للعرب سبيلاً جداً. فأميركا التي كانت الوحيدة في الوقوف إلى جانب قضية العرب دون أن يكون لها مسارب قد انسحبت من الميدان وأصيب رئيسها ونسن بالشلل وضعف أمام حلفائه بالأسس وسقطت وزارة كلينتونو الذي كان إلى حد ما يريد التساهل مع فیصل. وكان اعلان استقلال سوريا على الشكل الذي ذكرناه قد جعل جميع الدول المعنية تقف ضده، فالانكليز اعتبروها خطاً على مصالحهم في العراق وفلسطين ومقدمة للقضاء على مصالحهم وتفويضها في جميع الجزيرة العربية. والفرنسيون اعتبروها ضربة ستودي إلى زوال نحوهم من الشرق الأوسط وعدم إمكان استقرارهم في لبنان وعرض ما كانوا يسعون إليه منذ مئات السنين، وسيكون له أثره السيء على مستعمراتهم العربية في شمال أفريقيا، واليهودية العالمية كانت الأكثر انتزاعاً، واعترفت ما حصل خطراً على حلمها بتأسيس دولة في "أرض الميعاد" التي وعدوا بها. والآتراك وقد كانوا بالكاد قد استفقوا من تأثير الضرباء التي أصابتهم في الحرب فوجئوا بهذا القرار الذي يدخل في حدود سوريا جميع الأراضي التي في شمال حلب حتى جبال طوروس. وكان على رأس الحركة الإتفاقية فيها مصلتى كمال باشا آخر قائد عسكري بارح سوريا على رأس فلول الجيش التركي المنهزم وهو يجري الخيبة والذل، وقد بقيت كرامية العرب تستقبل في قلبها حتى مماتها. وفاء هذا القرار ليوجّه ضرام هذا الحقد بقرنريه عروبة أراض يعتقد الآتراك أنها من صميم بلادهم، أما باقي الدول العالمية الأخرى فإنها كانت لا تزال تحت تأثير ويلات الحرب لا يهمها غير نفسها وإرضاء المتصرين الذين كان بيدهم تقرر مقدرات العالم.
وهما وجدت سوريا نفسها بهذا القرار أمام عداء دولي عالي
يحيط بها من كل جانب. لقد كانت سوريا في هذا الموقف
الخاطئ الذي تعجز عنه أعمال الدول كافيفة في ممسك
الحاجة إلى الوسائل المادية والمعنوية للوقوف في وجه هذا
العداء أو الاهالي الدوليين. هذا هو الموقف عندما تقرر أعمال
الاستقلال السوري الذي كان يعتبر في حقيقته تحدياً لبريطانيا
وفرنسا وتركيا واليهودية العالمية تحدياً.

ولكن هل كان بإمكان الحكومة بوضعها وموقفها المذكور أن
تفعل غير ما فعلته؟ هل كان بإمكان فيصل ومن معه من
الرجال اتباع طريق آخر؟ فالقضيّة العربية التي نشأت
وتعرّفت في سوريا كانت من بدايتها وفي غايتها وأهدافها
عربية غير أقليمية وأن من عملوا لها واشتركوا في ثورتها كانوا
من مختلف الإقطاع العربي. وثورتها التي أعطتها الحسن قامت
باسم العرب وليس باسم الحجاز وكان جيشها الذي قاتل في
الأراضي الحجازية والسورية يضم العراقي والجازي
واليمني والسوري بمن فيهم الفلسطيني واللبناني، المسلمين
ومسيحيين، وقد كان الجميع يعملون لاستقلال البلاد العربية
والحكم الذي تشكل بعد انسحاب الاحتلال كان حكماً عربياً.
وليس سوريا، فرقة الدولة فيصل حجازي وزعيم الداخلية
لبناني ومدير الشرطة والأمن العام اللبناني. وكان عدد كبير من
رجالات الإقطاع العربي الأخرى في الوظائف الكبيرة مدنية
وعسكرية، فكان الحاكم العسكري في حلب جعفر العسكري
عراقي وكذلك حاكم دير الزور مولود مخلص ومرافق الأمير
ومستشاره العسكري نوري السعيد وعبدو عوانى عبد الهادي أولهما لبناني
والثاني فلسطيني إلخ. فمن البديهي في مثل هذه الحالة أن لا
تتحول سوريا عن خطتها وتبقى سائرها في طريقها العربي غير
الإقليمي، ولم يكن في إمكانها إهمال مصالح الأقطار العربية الأخرى بعضاً أصبحت السؤولة والمركز الذي يتجمع فيه كل العاملين لتحرير أقطارهم من رجالات الأقطار العربية الأخرى.

الحركات في كليكيما

عقب إعلان الاستقلال من قبل المؤتمر السوري بمدة قصيرة بدأ الثورات حركاتهم في كليكيما وسوريا الشمالية بقصد تحريرها من الاحتلال الفرنسي، فنشطة الهجمات الألمانية التركية المنظمة بقيادة الضباط ومن ورائها الجيش النظامي الذي نظمه مصطفى كمال فاستولوا على الكثير من المواقع والقرى وتمكنوا من وضع الحصار على مدينة تكس وعنتاب اللتين جميع الفرنسيون منهما الكثير من الأرمن الذين كانوا مشتتين. فاتهم الفرنسيون بهذا الأمر وطلبو إلى قيصر تسهيل أمر نقل جنودهم من باريس إلى كليكيما على سكة حديد حلب. فاعتبرت الوزارة القائمة أنها فرصة يجب استغلالها للمساومة فطلبت لقاء ذلك من الفرنسيين الاعتراف باستقلالها على الوجه المعلن عنه بقرار المؤتمر السوري وأن تدفع لها ما كانت تمتعها عن دفعه من حصة سوريا من جمارك بيروت وهي 150 ألف جنيه شهرياً وملتها من جمارك فلسطين والتي كان قد عينها الجنرال اللنبي. فرفضو غيرو ذلك، وكان الحلفاء وهم غير معترفين بشكل الحكم القائم في سوريا يقومون بمشاربهم مع فيصل بصفته السابقة قبل إعلان الاستقلال وعندما جاء من الجنرال غورو طلب السماح بإمرار جيوشه استقرار بذلك الركابي الذي كان حينذاك رئيساً للوزراء فأشار عليه بالقبول وأن ينتهي الفرصة للانضمام للفرنسيين في الدفاع عن شمال البلاد "التي تحق أولى بالدفاع عنها وربما يؤدي ذلك لقانونية حالة الصداقة والمودة بيننا وبين الفرنسيين فستفيد من ذلك"
لحل ما بينا من مشاكل، ولكن الملك عاد فتائر بالآراء التي أعطيت له من قبل بعض رجالات السياسة فاشترط على غيرو ما اشترط واضطر غيرو لنقل جنوده عن طريق البحر إلى شمال الاسكندرى ومنها برأ فطال الطريق وضاع الوقت وكانت حركات الأتراك عنفة وشديدة، فاضطر الفرنسيون لحل الخلاف معهم سلمياً فأرسلت الحكومة الفرنسية معتديها إلى انتهرها واتققت مع حكومتها وتخلت فرنسا لها عن كليكيا وبعض مدن شمال سوريا. وقبل ذلك كان وزير الدفاع السوري يوسف العظمة قد سافر إلى الشمال واتصل بقيادة الأتراك بغية التعاون معهم في مقاومة الاحتلال الفرنسي وكان هذا أحد الأسباب التي عجلت باتفاقيات الفرنسيين معهم. وعندما خلطت فرنسا عن كليكيا وانسحبت منها بعد أن تركت فيها كمية كبيرة من الأسلحة والذخائر، وهكذا أمنت لنفسها حرية العمل الكامل في سوريا.

وبعد أن سحبت فرنسا جيوشها من كليكيا بموجب اتفاقها مع تركيا بدأت بحشد جيوشها على الحدود السورية الداخلية وكان عدد جيشها قد بلغ نحو المائة ألف جندي.

وفي هذه الظروف عاد توري السعيد من أوروبا وهو مقتنع أن سفر الملك إلى أوروبا أصبح ضرورياً لملاحقة وأثناها أكبر خدمة يؤديها للبلاد وذلك لإمكان تثبيت الوضع الراهن وصد الانتقادات في المجال ليصبح الانتداب استعراضاً.

وتحت تأثير الحساس الشعبي بالدفاع والتهدئة للحرب رأت الوزارة أن ترسل إلى أوروبا وفاداً وزارياً عوضاً عن ذهاب الملك مغنية للدعوة المتكررة التي كانت توجه إليه.
الانذار الفرنسي

كانت الأحداث تتألّق والموقف يتحرّج والعلاقات بين فرنسا وسوريا تسوء يوماً بعد يوم وتجاه كل ذلك اضطر الملك لاظهار رغبته في السفر إلى أوروبا لتبليّة إلحاح الانكليز عساساً يتمكن من حل المشكلة وتسيير الأمور. وكانت رغبته هذه رغم مخالفة الحكومة ومستشاريه ونصوصه إعفاء المؤتمّر السوري. فأرسل معتدله نوري السعيد بصحبة الكولونيل تولا لبحث مع الجنرال غورو ما ينبغي اتخاذه من عدة السفر. قام يقبل غورو طلب الملك وأعلم نوري السعيد أنه اعتذرًا رسمياً سيرسله بعد بضعة أيام وأنه لا يسمح للملك بالسفر إلى أوروبا ما لم يقبل الشروط التي يتضمنها الانذار. وقد ذكر الجنرال لثوري السعيد أهم الشروط التي سيطلبها في هذا الانذار وهي:

1 - وضع سكة حديد رياض – حلب تحت تصرف الجيش الفرنسي.

2 - قبول الاستداب الفرنسي.

3 - إلغاء التجنيد الإجباري وتسريح الجنود.

4 - قبول الأوراق النقدية التي أصدرها البنك السوري.
5 - معاقبة الجرمين الذين استرسلوا بمعادة فرنسا.

لقد كان الموقف الذي يجب أن تقفه الحكومة العربية تجاه هذا الإندلاع معرضًا ومقرراً سلفًا بالنسبة للحماس العام الذي كان يمثل كل قلب الناس وما يقوم به الشباب من التشويق وزرع مشاعر الاعتزاز بالحرية والاستقلال. لقد كانت الأفكار العامة ملتهبة وجافرة ولم يكن من السهل الوقوف أمامها بعد شجها واذكائها طيلة السنتين الماضيتين دون أن تكون مركزة على أسس متينة ومهما لها الإمكانيات العملية.

لقد أثرت خبر هذا الإندلاع وهذه الطلبات هياجًا ووقلأ عظيمين في جميع المحافل الحكومية والشعبية. والمفروض أن الحكومة التي تشكلت على أسس الدفاع بقيادة له كانت مستعدة لمواجهة هذا الموافق بالصلابة والحزم. وعدل الملك عن السفر وعاد نوري السعيد إلى غورو ليطلب إليه المسؤول عن إرسال الإندلاع والموافقة على تشكيل لجنة دولة تقوم بحسم الخلافات، فأرى الجنرال ذلك وقبل إرسال الإندلاع يوم احتل الفرنسيون محطة سكة حديد رياق كما تقدمت مفرزة من طرابلس وعسكرت على نهر الساحور فاحتضن فيصل لغورو على هذه الأعمال كما أرسل سكرتيره للعميد البيضي بمذكرة يشرح فيها الموافق. كما أرسل برقية إلى مسمى حيدر مندوب العرب في مؤتمر الصلح عن الحالة ليبلغ الأمر للمؤتمر.

نص الإندلاع

وفي ظهر يوم 14 تموز 1920 حضر الكولونيل نيجر والكولونيل كوس إلى القصر الملكي وسلم الملك الإندلاع الفرنسي المتظٌر. وهذا نصه:

اتشرف باسم الحكومة الفرنسية أن أستلم سموكم للمرة
الأخيرة المؤقف الذي وضعتنا به حكومة دمشق. فمنذ ابتداء السنة الحالية سادت السكينة في سوريا أبان الاحتلال الإنجليزي ولم يعكر صفو الأمن، ولم تبدأ فيها الاضطرابات إلا حين حل جنودنا محل الجنود البريطانيين. وأخذت هذه الاضطرابات تزداد منذ ذلك الحين، على أن هذه الاضطرابات أثرت في رقى سوريا ونظامها السياسي والإداري والاقتصادي أكثر من تأثيرها على سلامة جنودنا والاحتلال الفرنسي للمنطقة الغربية.

فحكومته دمشق تتحمل كل التبعات إزاء سكان سوريا الذين عهد مؤتمر الصلح إلى فرنسا أن تمتعهم بحسنات إدارية مؤسسة على الاستقلال والتنظيم والتساهل والثروة.

إن أماني الولاء والتعاون التي أظهرتها فرنسا لسماوك بتأييدها حقوق السكان الذين يتكونون اللغة العربية ويقطنون في القطر السوري بحكم أنفسهم كأمة مستقلة قد أجاب عليها سماوك معتبراً بأن لسكان سوريا مصلحة كبيرة في طلب المشورة والساعدة من دولة كبيرة لتحقيق وحدتهم وتنظيم شؤون الأمة نظراً للتضعضع الذي أصاب البلاد من الأفراغ التركية والأضرار التي نتجت عن الحرب واتلك المشورة والساعدة استنسلها جامعة الأمم عندما حققت الفعل، وقد دعي سماوك الملكي إلى فرنسا للقيام بهذه المهمة باسم الأمة السورية وعندما كنت تمضاوين الحكومة الفرنسية في شهر كانون الثاني كانت العصبات الخارجية من دمشق تجتاح المنطقة الغربية فأرسل إلى السيسن كمال صور البصلية الآتية:

«عندما بلغتني هجوم البدو في شمال سوريا وجذبني، قلت للأمير فيصل أنني اتفقت معه مؤقتاً على بعض المبادئ وأنني لاحظ على كلمتي لكن يجب أن يقابل خطتي هذه بمثل ما فيها من...»
اخلاص وأن يجعل سلطته محترمة من مريديه وإذا لم ينفذ هذان الشرطان تقييداً دقيقاً فالحكومة الفرنسية ستستأنف حريرتها في العمل وستعمل القوة لتأييد النظام واحترام الحقوق التي لها من المؤتمرين.

على أن البيان الآتي يوضح جلياً كيف أن حكومة دمشق لم تنقطع عن انتهاج خطة معادية مخالفة تمام المخالفة لسياسة التعاون التي رمى إليها رئيس الوزراء وتعهدت بتطبيقها.

1 - أن اقرار حكومة دمشق عن رفض السماح للسلطة الفرنسية باستعمال سكة حديد ميقات - حلب استعملناه حراً هو عمل عدائي بحت. فالحكومة لا تجهل أن تلك السكة لا بد منها لإعاشة إحدى فرقتنا الفرنسية في الشمال وتمكينها من القتال. وهذه الفرقة تقاتل قوات معادية تابعة لتركيا التي انتزع الحلفاء الظفرن سوريا الجديدة منها والتي يجب أن تربطنا بها روابط الصحة وعرفان الجميل.

أن حكومة دمشق هي التي وضعت مبدأ تنظيم العصابات واستخدامها ضد جنودنا. وهذا البداية أعلنها قائد الفرقة الثالثة في حلب صراحة يوم 13 نيسان بالقول الآتي:

لما كنا لا نستطيع أن نعلن الحرب رسمياً على الفرنسيين، فيجب علينا أن نحكم البلاد بالعصابات التي تجهز عليهم تدريجياً، وليؤدي هذه العصابات ضباط إذا استشهدت أحدهم تعيل الحكومة عائلته.

ويفكى تعداد الأدلة الآتية على دقة تنفيذ هذه الخطة.

في 12 كانون الأول 1919 ذبح محمود الفاعور الذي
قلتم لي يا صاحب السمو انه صديقكم الشخصي (بدر)
من مسيحيين مرفعون وهجم على جنودنا في 4 كانون
الثاني رافعا العلم الشرقي.

في 5 كانون ثاني تحقق وجود الجنود الشريفة بين الذين
هاجموا جنودنا تحت قيادة شرياء بك في فرق خان تم في
الحمام.

في حزيران ثبت وجود زعيم ورئيس وستة ملازمين و73
رجل من الجيش الشريف بين العصابات التي كانت
تغري في جبهة مرجعون. وثبت استعمال معدات مأخوذة
من الجيش نفسه وهي 3 رشاشات ثقيلة و5 حافلة و400
صندوق نحيلة وظهر أيضا اشتراب محترس المنطقة
الشرقية في الاضطرابات التي امتدت بمدايع عين ابل
وتفتت فرق الشيعة.

ثم ان منظمي العصابات محترمون كل الاحترام لاسيما
صحي بركات الذي لا يجهل أحد مساهمته إلينا. وعندما
لم تكن العصابات ترسل من المنطقة الشرقية كانت الفتنة
تثار في المنطقة الفرنسية نفسها.

وبهذه الأعمال وقعت اعتداءات عديدة على المسيحيين ولا
سيما في جسر القرعون في 29 كانون أول حيث تقع التبعة
على الضابطين الشريفين أحمد بك وتحسين بك.

وقد أساء الشيخ صالح العلي، بطل الفوضي والبغضاء
لنا، إساءة مؤثرة ومستمرة في جبال النصيرية ومن
الممكن تعداد كثير من هذه الأمثلة وقد عرضناها على
سموكم الملكي في حينها.

2 - رأى سموكم الملكي إدخال أشخاص مشهورين بعادتهم
لفرنسا في حكومته وكان تأثير المحيط شديداً عليكم حتى
أنكم لم تتمكنوا من السفر في الوقت المناسب تلية دعوة
مؤتمر الصلح. وقد انتخبت الوزارة من أناس من تلك
الفئة التي لا تقتصر خطتها على إهانة فرنسا ورفض
مساعداتها بل تناول المجلس الأعلى الذي منح فرنسا
الانتداب على سوريا. أن رفض انتداب فرنسا رفضاً باتاً
في 18 أيار الماضي هو خطة عمياء قد تجر نتائجها
المضار على سوريا.

2 - أن التمنع الاقتصادي في رفض ورق النقد السوري الجديد
الذي أصدره البنك السوري لحساب فرنسا ومنع جميع
المعاملات التجارية والمالية مع فرع بنك سوريا في المنطقة
 الشرقية هو دليل جديد على عداء مضمر بمصلحة البلاد
إيضاً وكذلك منع نقل الحبوب إلى المنطقة الفرنسية
مبدئاً من حماة فدمشق فحلب.
ثم إن السلطة الإدارية الشريفية اجتازت حدود المنطقة
الشرقية وتقدمت تدريجاً داخل حدود المنطقة الغربية
للتظاهر أنها قد توسعت توسعًا تقصد منه إحراجاً. ففي
شهر آذار وضع مخفر شرفي في الخالصة ثم رفع العلم
الرفي على القيدوس بعد ذلك بقليل. وفي نيسان جعلت
حكومة جبل القصير قضاء شرفيّاً ثم نصبته قائممقاماً
شرفيّاً في جسر الشغور.

4 - أن من كان صديقاً لفرنسا أو مواليها لها في المنطقة الشرقية
يكون مشتبهاً فيه من السلطة ويعامل معاملة سبئية للغاية
في أغلب الأحيان. ومن الأدلة الظاهرة على ذلك فارس
غنشووس ونسيب غريب اللدان ضمنت حكومة دمشق
رسمياً رجوعهما إلى راشيا اعتبرت معاملتهم ووضعها في
السجن بعد رجوعهما.
وفي 22 كانون ثاني هوجم وفد من دروز من جبل لبنان على أثناء عودتي في وادي القرى وقتل عدد من رجالنا ومدناً امتهة كبيرة على ذلك ولا سيما في حلب. أما عن كيان عرايا لنا فإنها يخدم في المنطقة الشرقية ويحمى من كل شيء ويحل على الريح والساعة. فقد احتفل بالدعاية احتفالاً كبيراً في دمشق ولم يمس أمين مجو الذي نسف مستودع المعاد الحربي في بيروت، ثم أن سمير المركي سمع مؤخراً لجوع كامل الأسد، النائر المشهور إلى المنطقة الغربية. وهو الذي نفي بسبب فتن بلاد الشيعة وقسم كبير من تبعيته. أما سكان المنطقة الغربية الذين أكسوهم عدوهم لنا عطف الحكومة عليهم فعدهم عظيمًا.

إن بث الدعاية ضد فرنسا في المنطقة الغربية قد ألسته حكومة دمشق أشكالًا خبيثة أرادت السلطة الفرنسية أن تغمض عينها عنها لأنها قررت اتباع خطة التسامل إلى النهاية. وآخر هذه الأعمال وأظهرها شراء القسم الأعظم من أعضاء مجلس الإدارة لبنانيين وأروعين ألف جنيه مصري. وقد ألقى مخافرنا القبض على هؤلاء الأعضاء في 10 تموز بينما كانوا زاهبين إلى دمشق لبيع بلادهم متكررين الأمان التي أضرب عنها مواطنوهم بالإجماع تقريباً منذ عهد بعيد.

إن صحافة دمشق التي تفرط الحكومة في شد أزرها تواصل دائماً حملاتها على كل ما هو فرنسي وتقيق السلطة المختلفة في المنطقة الغربية وترد كل مساعدة تعرضها فرنسا وتسيء إلى مقاصدها الحسنة نحو سوريا.

بمختصر هذه الحقوق يجب على قادة جيش الحجاز المحتج قطراً سورياً لا بد أن يظل عثمانياً إلى أن يقضي تنفيذ المعاهدة بتغيره، ولا يعمل بغير هذه الصفقة وأن يحافظ على الحالة
الراحلة التي هو حارس عليها. ولكنه تصرف عكس ذلك متخذاً صفه السيادة العليا. وقد قرر التجنيد الإجباري ونفذه منذ شهر كانون الأول 1919 مع أن البلاد لا تزال بلاداً جنبية وهذا العبء الثقيل الذي لا يجد نفعاً قد أضجه الشعب عليه حتى في المناطق التي لها شكل خاص بسياق، ونفد في أنس مستناثين منه كالبنانيين والمغاربة المتقدمين في المنطقة الشرقية وأن مقاومة هذا التجنيد مفاوضة عنيفة أدت في بعض الأحيان إلى إزالة الدماء.

ثم إن المجلس الملقب بالمؤتمر السوري الذي تألف واجتمع بصورة غير قانونية لسن القوانين وتشكيل دولة لم يعترف بوجودها وفضلًا عن ذلك فقد قدم المنصب الملكي لسماك الملكي دون حق ولا وكالة مما وضعكم كما عبرتم من ذلك في موقف التمرد على مؤتمر الصلح. ولم تحتزم الامتيازات الأجنبية فإن أحد رعاياتنا الأمير محمود الذي يمثل أسرة كبيرة اشتهرت منذ القدم باتصالها بفرنسا قد أوقف اقفاً معياناً في حلب.

وليس الاتفاقيات السياسية محترمة أيضاً فإن لواء من الجيش الشريفى أرسل إلى مجدل عنجر رغم الاتفاق الذي تم في كانونين أول الماضي مع السورى لكل منصور والذي يقول بالذال البال تحل في البقاع قوة شريفية أو فرنسية.

وأ -. لم تستطع السلطة الفرنسية حتى الآن أن تنظم البلاد التنظيم الذي تنتظره منها إذ اضطرت إلى صرف قواناً وجهودها إلى قمع الهر المتمول والمواصلة للتفاوضات السياسية العقيلة مع حكومة دمشق، فهي والحالة هذه غير مسؤولة عن هذا التأخر بل تحمل العبء العسكري والمالي الذي تقضي به الحالة التي أوجدتها حكومة
دمشق، ولا يمكن إلا أن يؤثر التكاليف في الميزانية السورية سواء بفقد الدخل الذي ينشأ عن استمرار الفوضى أو بالاشتراك في نفقات السيادة التي تلحق بها في المستقبل. على أن حالة الفوضى التي أوجدتها مثير الفتن في البلاد وقد بلغت حداً كبيراً دعت إلى استحضار قوات كبيرة اعتماً عدداً مما يدعو إلى استبدال الجنود الإنجليز بإناث السكينة، فهذه الأسباب تدل دلالة كافية على أنه لا يمكن بعد الآن أن تعتمد على حكومة جاهزة فرنسا العداء كل المجاهرة وأخطات نحو بلادها خطأً عظيماً بظهورها عاجزة عن تنظيمها وإدارتها لذلك ترى فرنسا أنها مضطربة لأخذ الضمانات التي تكلل سلامة جنودها وسلامة السكان في البلاد التي تلت من مؤتمر السلام مهمة الوكالة عليها. لذلك أتشرف بأن أبلغ سموكم الملكي أن هذه الضمانات هي:

1 - التصرف بسكة حديد رياض - حلب الجديدة لإجراء جميع النقلات التي تأثر بها السلطة الفرنسية ويؤمن هذا التصرف أن يراقب مفوضين عسكريين فرنسيين جميع ما ينقل في محطات رياض بعلبك وحمص وحماه وحلب، قوة مسلحة مخصصة للمحافظة على الملاحقة واحتلال مدينة حلب التي هي نقطة مواصلات هامة لا يسعنا أن نتركها تسقط في يد الترك.

2 - إلغاء التجنيد الإجباري، إذ يجب أن يقت التجنيد تماماً وأن تسرح القوى حتى يبلغ الجيش الشريفي العدد الذي كان عليه بتاريخ 1 كانون أول المنصرم.

3 - قبول الاندماج الفرنسي لأن هذا الاندماج يحتم استقلال أهل سوريا ولا ينافض مبدأ الحكم بسلطة سوريا تستمد
قوتها من إرادة الشعب ولا ينطوي إلا على محاولة بشكل مساعدة وتعاون من الدولة المنتمية دون أن يتخذ شكل استعمار أو إلحاق أو إدارة تنفذ رأساً.

4- قبل الورق السوري لتصبح هذه العملية وطنية في المنطقة الشرقية فلتغفي جميع الأحكام المتعلقة بالبنك السوري في المنطقة الشرقية.

5- تأديب المجرمين الذين كانوا أشد أعداء فرنسا.

إن هذه الصراعت تقدم جملة ويجب قبولها جملة أيضاً بلا إدنى فرق خلال أربعة أيام تبدأ من منتصف ليل 15 تموز ونتهي في 18 منه في الساعة 12.

فإذا جاءني علم من سموكم قبل انتهاء هذا الموعد يقبل هذه الصراعت فيجب أن تكون قد صدرت أوامركم في الوقت نفسه إلى المراجع اللازمة لكي لا تعثر عضوي الزاحفة لاحتلال المواقع المعينة.

ثم أن قبل الصراع الثانى والثالث والرابع والخامس يجب أن يؤيد رسمياً قبل 18 تموز. أما تنفيذها بالتمام في يكون قبل 31 تموز الساعة 12 (نصف الليل) وإذا كان سموكم الملكي لم يشعرن في الوقت اللازم بقبول هذه الصراعات فتشترط أن أبلغه أن الحكومة الفرنسية تكون مطلقة اليد في العمل. وفي هذه الحالة لا استطيع أن أؤكد أن الحكومة الفرنسية تكتفي بهذه الضمانات المعتدلة ولا تقع عن فرنسا تبعية المصاحب التي تحل بالبلاد، فهي قد برهنت على تساميها زمناً طويلاً. فحكومة دمشق هي التي تتحمل جميع أعباء مسؤولية فصل الخطاب الذي لا أنظر إليه إلا أسفناً ولكني مستعد له بمثابة لا تتزعزع. والحق بالانذار طلب اقلاع حكومة الأتاسي.

وكان لهذا الانذار أعظم الأثر في جميع الأوساط السورية إذ
انهم وإن كانوا لا يجهلون نواة فرنسا إنما لم يكونوا يتوقفون تقديمها مثل هذه المطالب المخالفة لجميع الاتفاقات التي كانت قائمة. ولبيان تأكيد من الموقع والفكر العامة التي كانت سائدة لدى الفتى الراعية تنقل فيما يلي النص الجرافي لما كتبه المرحوم الدكتور أحمد قدري وقد كان طبيب الملك الخاص واحد الأعضاء الهمين في هيئة جمعية الفتاة ومن أكثر الناس تحمساً واندفاعاً قال:

«... وهذا مع العلم أنه لم يكن بين الوطنيين المتقاتنين وقت في مقدمة هؤلاء، إذا استثنينا الشيخ كامل القصاب ومن يتابعه من البسطاء، من يعتقد بإمكان التغلب على جيش فرنسا الكبير. سيمار والتدخل بالسياسة كان يعمل عمله الضار بين ضباط الجيش السوري المناهض، ولم يعد كالجيش الفائج المتحد الكثرة والمناضلة في سبيل مثله العليا فقط، ذلك الذي حضر سوريا بقيادة فصيل، ولكن المقصود كان المقاومة المستمرة مدة طويلة على ذلك يؤثر في ضمير العالم المتقدم الخارج من مجزرة الحرب العظمى وحكوماته القائمة بأن الحق طالما ولا يعدل عليه، أو الاستماع في سبيل الدفاع. فمنسجد سوريا والعرب صفحة مشرفة في سبيل الدفاع عن كيانها وكرامتها، ولتُفعل القوّة ما ضمان لأن النتيجة واحدة مهما كانت الظروف التي تسمع لفرنسا بأن تعسكر جنودها باية بقعة من بقاع وطننا الغالي ويتم ذلك رغم رغبته الشعب وبعد تقويض أركان حكومته الوطنية».
الألقاح الحائرة

في 12 تموز 1920، القى وزير الحربية يوسف العظمية في المؤتمر السوسيي بحضور وزير الخارجية ورئيس الوزراء، بيان الحكومة على موقفه في حقيقة انكار غورو، كما تبين أن الحكومة تريد السلام والمحافظة على استقلال البلاد التام، وأنها تريد المحافظة على الصلاة الحسنة مع الحلفاء، وأنها مستعدة للدخول في المفاوضات، كما أنها مستعدة ومصممة على الدفاع عن شرف وحقوق البلاد.

وأعلنت الأحكام العرفية واتصل الملك بالمراكز بالخبرات الفنية والسيناريوهات في دمشق (وكان يظهر على الطابع الراو"
على سوريا) وسمه برقية الاحتياج على انكار غورو ومنعه من السفر لأوروبا للاختلاف بمؤتمر السلام كما كلفه بتوجيه برقيته الاحتياجية لحكومته لتغذر إرسالها بسرعة بغير واسطته.

وطببت الوزارة إلى الملك أن يعين الأمير وحنيد قائدًا لجبهة مجدل عنجر وأن يعين ياسين الهاشمي رئيسًا لأركان حربه للاستفادة من نفوذ الأمير وخبرة الهاشمي والجهة مجدل عنجر ستكون الجبهة الرئيسية لزحف الجيش الفرنسي على العاصمة دمشق. فتم ذلك وعين يحيى حيتي لقيادة منطقة حمص وحماة.
وكان محمد اسماعيل قائداً لفرقة حلب وكانت فرقة درعا بقيادة اسماعيل الصفار.

اعتز الهاشمي عن قبول ما كلف به بحجة أن الجيش ضعف من أن يصمد للمقاومة والدفاع، خصوصاً وأن مستودعات السلاح تتكدس تكبد خالية من العتاد، فأخبر الأمير زيد الملك فيصل بالأمر فاستناد عليه الهلع والألم حيث لم يكن يتوقع أن يكون وضع الجيش سبيلاً لهذا الحد، والهاشمي عندما كان مسؤولاً عن الجيش كان يقول بخلاف ذلك وأن الجيش بإمكانه الصمود في وجه الفرنسيين. ولقد ذكر الاستاذ ساطع الحصري بكتابه (يوم مسلون) أنه قبل ذلك وعندما كان ياسين الهاشمي في مجلس الوزراء خلال أزمة تبديل الجيش سأله الحصري: هل تعتقد أن القوى العسكرية التي تملكها الآن تكفي للمقاومة والدفاع؟ فهناك على هذا السؤال دون ترد: أنا لا أشك في ذلك إبداً.

وعدا الملك مجلس الوزراء وبحث معهم هذا الأمر الخطير فتفى يوسف العظمة صحة ما قاله الهاشمي للأمير زيد بشدة وأصر عل المقامة وتحمل تبعته ذلك بصفته الوزير المسؤول عن الدفاع.

وقال فيصل وزير الدفاع عن انقراض وطلب إليه أن يجمع مؤتمراً عسكرياً من قادة الجيش لدراسة الموقف وارد الوزير الجيلولة دون جمع المؤتمر ولكن المؤتمر اجتمع برئاسة الملك دون أن يحضر الوزير الذي انتظر خارج مكان الاجتماع لأنه اعتقد أن جمع مثل هذا المجلس يعتبر تجاوزاً لصلاحيته. ومن حضر هذا المؤتمر من القادة العسكريين ياسين الهاشمي، أحمد اللحام، مصطفى وصفي، شريف الحجار، مصطفى نعمت، حسن يحيى الصبان وعمر النوام. وقرر
المؤتمر بإجماع الآراء أنه باستطاعة الجيش أن يقوم عدة أسابيع إذا اشتركت معه بقية القوة التي في البلاد، والتي تتألف من متطوعة الحوارنة والبدو والاهالي الذين على أن يجري التصرف بالأسلحة التي في يد الأهالي من بدو وحضر. وإذا لم يتح ذلك للحكومة فجيشها لوحده يعجز عن أن يقوم ساعة واحدة، ولنا سائل وزير المعارف ساطع الحصري فيما بعد صديقه وزير الدفاع بعد أن علم بأجوبة الهاشمي والمؤتمر العسكري فلم يكتم عته الحقيقة وأضاف قائلًا: أنه كان ويلف الفرنسين.

قنع جميع الوزراء وقمع الملك أن الجيش لا يمكن من الدفاع وأن رفض الانذار سيؤدي إلى الحروب والحروب ستؤدي إلى الانكسار السريع، وبذلك ستختسر سوريا كل شيء دون أن تكسب شرف الاستمالة في سبيل الدفاع وستدخل تحت إدارة فرنسا مباشرة، ولذلك كان من الأفضل قبول الانذار ثم السعي إلى تخفيف وطأته بالملفوضات. وكان الانذار يقضي بتبديل الوزارة فكلف الملك الهاشمي بتاليها فاعتذر.

واتصل الملك بالجنرال غورو وطلب إليه تمديد مدة الانذار تمددته إلى نهاية يوم العشرين من الشهر وقررت الوزارة قبول شروط الانذار بصورة نهائية، وفي عصر يوم العشرين صدرت الأوامر بتسريح الجيش.

لقد أثار هذا القرار هجماً عظيماً فخرجت المظاهرات الصاخبة تنادي بسقوط الوزارة وتحت الناس على الدفاع وكان البعض ينادي بين المتظاهرين بخيانة فيصل وسقوطه مع الوزارة.

كيف سرح الجيش

ذكرنا سابقاً أن قوات الخيالة التي كانت على شكل عصائب تهاجم المراعك الفرنسية في منطقة البقاء كانت تعمل بتوجيهات
والملك باعونة لفرنسا ولذلك سرحونا ليسلموا البلاد إليها، فأهتم الجنود وثاروا وخرجوا من الكتلة بأسلحتهم ساخرين يصبحون بسقوط الحكومة والملك وكانوا أثناء ذلك يعودون على الضباط وغير الضباط وقد شاهدت قسماً منهم أمام دار التوليد الحالي وقد قذفوا بأحد الضباط في النهر من فوق الحاجز الذي عل الطريق فوقفت أنا وسعيد عمون واصبعين آديبا على مسدداستنا فلم يجرؤا على مسدسنا بأذى واحترمني صديقي الشهيد شوكي العائدي الذي كان معارماً لقيادة المركز التي كانت في شارع النصر وكان يداخلاها عدد كبير من الجنود برسوم السوق إلى القطعات قال: حينما وصل أمر التسريع إلى قائد المركز (ويظهر أنه كان من جملة من اشتراهم الفرنسيون) لم يتلفت بتلبيفهم أمر التسريع حسبما يقتضيه الموقف بل جاء إلى الباب الذي كان مغلقاً ففتحته وخاطب الجنود قائلاً: أيا الله كل منكم يروح بحل سبيله (فخترا الطبل وطلعوا الغناء وباعونا للفرنسيين وقبضوا حقيق وحقوق البلاد). خرج الجنود ثائرين يصبحون بسقوط الملك والحكومة واختلطوا بالجنود الذين كانوا آتين من ثكنة الحميدة واختلطت معهم جميع من الرعايا واندنس بينهم العملاء والجراسيس يحرضونهم على مهاجمة القلعة لأخذ السلاح وهكذا توجهت هذه الجموع نحو القلعة.

وكنا سعيد عمون وآنا نشاهد هذه المناظر ونحن أمام مدخل سوق الحميدة بعد أن عدلنا عن الذهاب للكتبة. واقتحمت هذه الجموع الثائرة باب القلعة ودخلوها دون مقاومة فاخترقوا المساجين وبدأوا النهب واصبع الموقف يوحي أن الحالة ستتقلب إلى حرب أهلية يذهب ضحيتها الألوف لأن البلد كانت مليئة بالسلاح.

وفي هذه الآونة حضر الأمير زيد بسيارته من جهة السنجقدار
الأمير زيد. وكان سموه قبل الانذار قد أرسل قائده هذه القوة فواد سليم برقبة معاون مدير الأمن العام صبحي الخضر على جبهات يعثيك بالاتصال برئيس عصابات تلك النواحي (ملحم قاسم) وعمل الترتيبات اللازمة معه للمساهمة في الحرب المتطرفة.
وقوعها مع الفرنسيين. وهذا بقيت القوة المبارزة.
وكانت الأحداث تتلاصق بسرعة، فقد فشلت المفاوضات واستمر الجيش الفرنسي برحف نحو دمشق وقرر游击队 الحكومة الحرب وتعيين الأمير زيد قائداً للجبهة فأمرني بالتوجه إلى ميسلون مع الخيالة التي بادرت انتظرت هناك مجيئه. وبينما كنت على وشك الحركة عاد ورسل بطلبي وأمرني أن أرسل القوة مع أحد الضباط إلى ميسلون وأن تبقى في دمشق قريباً منه لاتلقى أمامه، فأرسلتها بقيادة الملازم الأول عبد الهادي الحب و أمرتهم بانتظار في قرينة (الديماس) القريبة من ميسلون وأبقت معي الملازم الأول سعيد عمو.
ولا قبلت الحكومة بتنفيذ شروط الانذار وبتسرير الجيش كنت في دمشق أشاهد تلك الآسي التي وقعت في ذلك اليوم الذي نشبت خلاله أولئك الذين كانت فرنسا قد اشترتهم وهيازتهم للقيام بالدور المطلوب منهم. وقد كانوا وراء تلك الأحداث التي نتج عنها إيقاف أرواح المئات من الشباب، والتي كانت أن تتحول إلى حرب أهلية.

الصريح الجيش قبل التأكد من امكانية إيقاف زحف الجيش الفرنسي، كانت الخطيئة الرئيسية التي نتج عنها كل ما فيينا به من فشل في موقعية ميسلون، أما الطريق التي جرى فيها التسريح فقد كانت نكبة أعظم، وقد انتشرت الفرصة للخونة والعملاء بالظهور والعمل بكل حرية.

عندما صدر أمر تسريح الجنود الذين في تكنية الخميسية (الجامعة اليوم) قال لهم بعض هؤلاء العملاء إن الحكومة
ومثلما يدخل سوق الخروج من جهة السروجية ومعه الملازم الأول بهاء الدين نوري يحمل رشاشته وبدأ يرمي هؤلاء المهاجرين فبدأوا يقرون بما حصلوا عليه من أسلحة وغيرها لا يلومون على شيء. وقد كان رصيد هذه المجازرة ما لا يقل عن مائتي شاب.

ولولا هذه المحرك الجريئة التي قام بها الأمير زيد ومغامرة بنفسه لكافأت الفوضى قد تسوعت حتى شملت دمشق بأسرها، ولتغذر إمكان ايقافها إلا بدخول الجيش الفرنسي إلى دمشق ليطفئة كما أعلنهها بواسطة عامله، عندما وصل للأمير زيد علم ثورة الجنود هذه في تكية الحميدية سال علي ليصطيحاني معه وما لم يجدن ركب سيارته وتوجه إلى التكية المذكورة وكان الجنود قد بارجوها وهناك عاد صاعقة الملازم بهاء الدين نوري فأمره أن يأخذ رشاشته ويركب معه، وتوجه إلى المسروكة وهكذا علم بما وقع بالق름ة من نهب وتسريع المساجين وتوجه إليها كما مر ذكر ذلك. أما طريقة التسريع في الجبهة فإن اللواء الأول من الفرقة الأولى بقيادة المقدم حسن الهندي كان يشغل منطقة المصنع (مركز الجمرك اللبناني الحالي) لمواجهة التقدم الفرنسي من سهل الباقع. وفي يوم 20 تموز 1920 تبلغ أمير اللواء من قيادة الفرقة أمرًا تلغيه آلياً هذا نصه: (المشاة حلت صلحاً مع الفرنسيين: غداً صباحاً تتحركوا إلى دمشق. وبينما كان اللواء متهياً للحركة على جانبي الطريق جاء قائد الفرقة (تحسين الفقع) ووقف أمام الجنود المتطوعين وأبلغهم بوقوع الصلح وعند الجنود حين يصلون إلى دمشق ويسلمون أسلحتهم فسوف يسرحون وتابع سيره إلى دمشق، وترتكب اللواء نحو دمشق ولكن النظام والضبط بدأ يضيعان وصار الجنود يسيرون دون نظام وبعضهم يطلق الرصاص والبعض يتمرد على ضباطه (1).

(1) من مذكرات قائد اللواء الأول المقدم حسن الهندي.
هناك خرجوا من وادي القرن وجد قائد اللواء قائد نقطة مسلمون ينتظره في مخرج الوادي ليبلغه أن الفرنسيين حثوا باتفاقهم وأنهم يخططون خلفه ويفعل أمر وزارة التربية بالوقوف والدفاع في مسلمون، وكان من جراء تبليغ أمر التشريع على تلك الصورة التي ذكرناها واحتلال النظام ان فقد هذا الإلغاء تأثيره فيبدأ الجنود وبعض الضباط يتركون قطعاتهم متروجتهم إلى دمشق. وعلى هذه الصورة جرت عمليات التشريع في سائر قطاعات الجيش.

قوة الجيش العربي وتوزيعه

و يبدو أن تشريع الجيش لم يقطع غورو بالمدخل عن قراره باحتلال دمشق والقضاء على الحكم العربي الفيصل في داخل سوريا، فكان يبحث عن المنبرات ليجدها تارة في التأخر بالإجابة على قبول الانذار في المدة المحددة ونبرة أخرى في عدم إمكان إيقاف زحف الجيش بعد أن باشر به أو بعد صلاح المواقف التي وصل إليها الجيش لتثمين إعاشه. وهكذا استمر الجيش الفرنسي بالزحف على دمشق.

كنا ذكرنا بأن الأحوال بين فرنسا والحكومة العربية قد بدأت بالتوتر منذ أوائل شهر مارس 1920 عندما أبلغ رئيس وزراء فرنسا السينر ملك فرنسا أن مجلس الحلفاء قد قرر وضع سوريا تحت الانتداب الفرنسي. مما سبب قيام مشاعر عنفية تنادي بسقوط الانتداب والحرب، وتستقبل وزارة الركابсолتشية بوزارة دفاع برئاسة هاشم الاتفاقية وتشكل لجان شعبية باسم (لجان الدفاع) في جميع المدن لجمع الأسلحة والتطوعيين والمال من أجل الدفاع، ويقرر التجنيد الإلزامي. واقتنع هذه الأحوال المتزامنة والتعابن النادية بالحرب وعدم الاستسلام لطالب الفرنسيين
كانت وزارة الدفاع تتخذ الترتيبات وتهيئ الخطط التي تراها ملائمة للدفاع. وكان الجيش العربي يتشكل من ثلاث فرق كل فرقة من لواء خيالة يضم ثلاث سرايا فرسان وسرية رشاش ومن ثلاثة ألوية مشاة ولواء مدفوعية وسرية هندسة وسرية مخابرات (إشارة) وسرية نقل وسرية مقر. ولواء المشاة يضم ثلاثة أفواج ويضم الفوج ثلاث سرايا مشاة وسرية رشاش وفصيل مخابرات ونقل، وتشكل كل سريه من ثلاثة فصائل مشاة ومقر، ويتشكل الفصيل من ثلاث جياعات كل جماعة من ثمانية جنود وضابط صف يقودهم ضابط برتبة ملازم. أما لواء المدفعية فيضم كبتيين كل كتيبة تتألف من بطاريتين، بما بما كتبتى الفرقة الأولى فكانت تتألف الواحدة منها من ثلاث بطاريات، والبطارية تتألف من مدفعين من عيار 70 أو 100 مم.

وكانت القيادة العامة للجيش ممثلة قبل إعلان الاستقلال (رئيس ديوان الشؤون الحربية) وبعد ذلك وعندما تشكلت هيئة الحكومة باسم وزير القائد العام هو وزير الحربية، تعاونت هيئة أركان يرأسها العقيد أحمد اللحام تتألف من شعب: الحركات (العمليات)، الاستخبارات (المخابرات)، التشبيك، التموين والإدارة.

وكان الجيش موزعاً على ثلاث مناطق على الوجه الآتي:

- **الفرقة الأولى**
  مقراً دمشق تبعها من الشمال حمص وتنتشر جنوبًا حتى شيخ مسكن. ويرأس هذه الفرقة العقيد تحسين الفقيم.

- **الفرقة الثانية**
  وهي الفرقة التي تشكلت من بقايا جيش الثورة العربية الذي
جرى إلغاؤه. مقرها درعاً وتشمل حدودها من شيخ مسكين شمالاً حتى معان جنوباً وغرباً فلسطين قائمها العقيد اسماعيل الصقور (عراقي).

الفرقة الثالثة

مقرها حلب وقد تشكلت عقب دخول جيش الثورة العربي إلى حلب في أعقاب الجيش التركي المتحضر، تشكلت في حينها من بعض أفرع مشاة مضافاً إلى لواء الهجانة من جيش الثورة الذي تحول إلى لواء خيالة باسم لواء الفتح وتشمل حدودها شرق العراق وشمالاً طرابلس وغرباً الأراضي الساحلية التي تحت الاحتلال الفرنسي ومن الجنوب حماه، وكانت بقيادة العقيد محمد اسماعيل الطباخ.

إذا حسبنا موجودت هذه الفرق الثلاث حسب الملاك الذي مر ذكره فهو يجب أن لا يقل تعدادها عن 65 ألف جندي. بينما لم يكن موجوداً في الجيش برمته أكثر عن 800 ضابط و189 ضابط صف و474 جندياً. وتلاحظ أن هذا العدد الضئيل الذي كان معبداً بثوب واسع فضفاض كان موزعاً في منطقة واسعة جداً لا تتناسب أبداً مع عدهم، من دير الزور حتى معان.

ولا أصبحت الحرب بحكم الواقعة قامت وزارة الدفاع ببعض الترتيبات فجعلت من حمص وحماه قيادة خاصة أسندتها إلى المقدم بحبى حياتي، وجعلت من الفرقة الثانية بواقي لواء الخيالة (10 خيالاً) وبطارية من أربعة مدافع ووضعتهم بإمرة قائد الفرقة الأولى، كما شكلت مراكز في المواقع الآتية:

- حافوة: للدفاع عن وادي بردى إذا ما أراد الفرنسيون اجتيازه، والتعاون عند اللزيم مع قوة مجدل عنجر.
حاصيبياً: قوتها فوج من اللواء الثالث مع مدفوعين لستر الجناح
الأيسر للقوة المدافعة في مجدل عنجر وتامين قطاً.

القنيطرة: قوتها فوج من اللواء الثالث مع مدفوعين لتنسيق قوة
المتطوعين في هذه المنطقة وإعدادها للنجد.

وبهذه الترتيبات تمر قوات الفرقة الأولى التي كان منوطاً بها
أمر الدفاع عن العاصمة مخالفين بذلك أهم قاعدتين من قواعد
الحرب في كل خطة حربية وهما: التجمع والاستغلال بالقوة.

القوات العربية التي اشتركت في المعركة

ذكروا الملاك النظري لقوات الجيش العربي ثم ذكروا العدد
الحقيقي كما كان عليه في تموح أي قبل المعركة وهو (1222)
ضابطاً وجندياً ولكن هذا العدد المأخوذ من وثيقة رسمية
عرضها المقدم الركن شريف المجاز (رئيس شعب الإدارة) لم
يكن العدد الحقيقي الذي اشترك في الموقفة فهذا العدد كان
موزعاً كما ذكروا من دير الزور (ويكن فيها سريعة خيالة من فرقة
حلب) حتى معان.

وكانت قطعات الفرقة الأولى في دمشق موزعة على مواقع:
يرفوعة، الزيداني، القنيطرة، حاصيبياً. ولم يبق من هذه
الفرقة لمواجهة القوة الفرنسية المتقدمة سوى فوجين من اللواء
الأول. ولهما صدر أمر التسريع ذاب هذان الفوجان، ولم يبق
منهما سوى 43 جندياً. وهكذا لم يبق في ميسلون للوقوف بوجه
العدو الزاحف سوى القوات الآتية:

خليالة العصابات التي كانت بقمرتي، المسماة بفوج الدرواز
الاحتياطي 150 خيالاً.

بواصل قوة الخيالة التابعين للفرقة الأولى وبواقي لواء الهاشمي

142
الخيال التابع للفرقة الثانية بقيادة النقيب عزت الساطي.

نحو ۱۰۰ خيال ورشاشين.

لواء الهجامة الحجازي وهو الحرس الخاص للملك فيصل

قيادة الشيخ مرزوق الشيخي (مقدم فخري) ۵۰۰ هجان.

سرية الحرس الملكي النظامية بقيادة النقيب محمد علي

المجلوني ۶۰ جندياً.

بواقي الفوجين الأول والثاني من اللواء الأول بقيادة المقدم

حسن الهندي. كل فوج تتبعه سرية رشاش من ستة

رشاشات مجموعهم ۱۶ ضابطاً ۱۲۷ جندياً ۲۳۹ متطوعاً منهم ۱۵ دون سلاح (۱).

الباقي من الفوج الأول من اللواء الثاني الذي الحق باللواء

الأول وأرسل إلى الزياداني للعرض لجناح العدو الأيسر

۱۶ ضابطاً ۱۰۰ جندياً ۲۱۰ متطوعاً منهم ۱۰۰ دون

سلاح.

سرية الهندسة بقيادة النقيب تحسين العنبري.

مدفعية الفرقة بقيادة العقيد أحمد صدقي الكيلاني:

بطرية صهراء ۴ مدافع.

بطرية ونصف مدافع جبلية عيار ۷,۵ سم ۶ مدافع.

بطرية صهراء التمغت من فرقة د路由器 ۴ مدافع.

نصف بطارية أوبوس مدفعين.

وكان من الصعب معرفة حقيقة موجود القطعات بعد صدور

(۲) من مذكرات أمر اللواء حسن الهندي.
أوامر التصريح وبعد أن ترك عدد كبير من الضباط والجنود قطاعاتهم وتوجهوا إلى دمشق بالرغم من الأمر اللائق الذي صدر بالدفاع عن ميسلون. ولو لم توجهوا فيهم لم يكونوا موجودين. ونذكر أيضا مما يجري في مذكرات قائد اللواء الأول حسن الهندي الذي أطلق عليه التحق فيهما وجود نشاط اللفو الأول من اللواء الثاني الذي أطلق به بعده فيهم من المتزوقين. لولا ذلك لما أمكن الحصول على مصدر يسرخن إليه في معرفة عدد المحاربين في يوم 24 تموز. أما عن قوة الخيالة والهجانة التي كانت تقاتل في الجناح الأيسر فإنها كانت معروفة. فالهجانة والخيالة الذين كانوا بقيادتها الذين لم يشتملهم التشريعة فإني كنت منهقاً من عددهم. أما الخيالة النظامية من كل اللواءين الأول والهاشمي مع رشاسين فقد تأكدت من عددهم من القبض عزت الساطي الذي كان يقدرون ومن الملازم عبد الله عفقة (وزير دفاع فيما بعد)، أما الخيالة الأهلية المتوضعة من دمشق وحولها فإن أعدادها غير معروف على الضبط، وقد حصلوا به قبل المعركة بالقرب من خان ميسلون فقدرتهم بثمان خيال بعضهم يركب خيالاً وبعضهم يركب الكهش والبعض يركب البقال.

الجيش الفرنسي وتوزيعه

كانت الجيوش الفرنسية مشتركة بقتال شديد على ثلاث جبهات: مع الاتراك في كليوكيا ومع صالح العلي في جبل العلويين ومع ثورة هناني التي كانت في بدايتها؛ فكنت أولاً في سبيل الاحتفاظ بسوريا المنازل عن كليوكيا للأتراك وقامت ثانياً بالتظاهر باستمدادها لإعطاء صالح العلي جميع مطالبته والتواصل عن طريق ذلك إلى هدنة تتبع الاستنفاد من قواتهم.
هناك، وكان الجيش الفرنسي في سوريا قد أصبح مع القطعات التي سحبته من كليكيا والتي أرسلت من فرنسا ثلاث فرقة، فبدا الجنرال غورو بحشده قواته حسب الخطة التي وضعها في باريس قبل مجيئه سوريا. وهي أن يزحف على داخل سوريا بثلاثة أرال في أربعة واحدة على الوجه الآتي:

الرتل الأول

فرقة المشاة الثانية (ستة أفواج) ينطلق هذا الرتل من مركز تجمعه في موقع قطمه في الوقت المحدد للاستيلاء على مدينة حلب.

الرتل الثاني

فرقة المشاة الرابعة (سبعة أفواج) ينطلق هذا الرتل من مكان تجمعه في طرابلس الشام وثيل كلغ في الوقت المحدد للاستيلاء على مدينة حمص.

الرتل الثالث

فرقة المشاة الثالثة بإمارة الجنرال غرابه تضم (اثنين عشر فوجاً) وست كواكب خيالة وسبع بطاريات مدفعية (24 مدفعاً) وسيرية دبابات وأربعة أسراط طيران. يستولي ببعض قواته على موقع قلعة ومحطة رياق كخطوة أول ثم يزحف في الوقت المحدد نحو العاصمة دمشق للاستيلاء عليها.

ولأن هذه الفرقة (الثالثة) هي التي قامت بالنزحف على دمشق وقامت بمنطقة ميسلون فإنها تعتمد على تفصيل عدد قواتها كما يلي:

1 - اللواء السنغالي بإمارة الجنرال (بوردو) يتشكل من كتيبتين كل كتيبة من فوجين.
اللواء الثاني بإمارة الكولونييل (سوسيبيه) يتشكل من كتيبتين كل كتيبة من فوجين.

الكتيبة الصباحية الأولى بقيادة الليزنتان كلونيل (ماسية) تضمن 4 كوكبات (سرابا) خيالة وسرية رشاش.

كتيبة الخيالة المختلطة تضم الكوكبات الأولى والثانية.

- المدفعية بقيادة الكولونييل (ديكرين) وتضم:
  - بطارية ثقيلة عيار 150 مم 6 مدافع.
  - أربع بطاريات عيار 75 مم 24 مدفعاً.
  - بطاريتان ونصف عيار 65 مم 14 مدفعاً.

- سرية دبابات: 15 دبابة.

- رصيل رشاش محمل على سيارات 4 رشاشات.

- سرية هندسة.

- 4 أسراج طائرات. (2) أسراج قصف وسرب استطلاع مجموعها (18) طائرة.

- كتيبة سيارات نقل تتشكل من مائة سيارة.

- عدد هذه الفرقة لا يقل عن خمسة عشر ألفاً.

خطة الجيش الفرنسي وحركاته

كانت الخطة العامة للجيش الفرنسي كما ذكرنا مقررة منذ شهر حزيران 1940 واتفاقهم مع الإنجليز على انسحابهم من داخل سوريا وحلول الجيش الفرنسي مكانهم. وما المفاوضات التي أجرها الجنرال غورو سوى مفاوضات سياسية لكسب الوقت وإكمال الوسائل. بدليل أن التحضيرات وتمارين عل الحروب الجبلية التي ستجري على الأراضي المزمع إجراء
الحركات عليها كانت تجري منذ أوائل شهر تموز وأن حشد الأرطال الثلاثة التي ذكرنا أمر حشدها في قطمه وطرابلس وتل كله قد جرى قبل ذلك التاريخ.
وحديثنا الآن يقتصر على خطة السريل الثالث (الفرقة الثالثة) المولى إليه الاستيلاء على العاصمة دمشق والتي اشتكبت مع الجيش العربي في موقع ميسلون.
لقد كان أمام قائد الفرقة الجنرال غويدة طريقان للاستيلاء على هدفه مدينة دمشق، الأول الذي يواكب الخط الحديدي من محطة رياق إلى دمشق والثاني الطريق العام الذي يربط بيروت بدمشق. فالأول يساعد على سهولة تأميم الاحتياجات قطعاته ولكنه أطول ويمر في مناطق جبلية ووعرة غير صالحة لعمل الدبابات ولا لتتأثر الطائرات وإمكانات المناورة. بينما تنسج في المجال أمام الخصم للفيول بمناوراته في كلا الجنائي ويبقي له مجال العمل على طريق دمشق- شتورة.
أما الطريق الثاني فبالرغم من مروره بأربعة مضايق جبلية على جانب كبير من الخطورة وهي مضيق وادي الحرير، رادي القرن، وادي ميسلون ووادي بردى، فإنه يصلح لنواورات جبهوية وجانبية من قبل الخيالة كما أنه يصلح في بعض أقسامه لسير الدبابات وصلح لسير سيارات النقل ذهاباً وإياباً في جميع أقسامه كما أنه سيطر على الطريق الأول اعتباراً من نقطة اقترابه من محطة التكية حتى دمشق. وحينما يصل إلى مدخل سهل الدماس لا يوجد هناك كبير أهمية لوادي بردى ولا ضرورة لاجتيازه لدخول دمشق، حيث يصبح من السهل الاستيلاء على هضبة المزة المشرفة على دمشق التي تصبح حتى قبل الاستيلاء على تلك الهضاب تحت متناول الدفعية. مع ذلك فإن الجنرال غويدة ما كان بإمكانه الاستغلال على قوته في اجتياز هذه المواقع القوية لو لم يكن يعتمد على ما كنا قد
هيا ونعمل وأخرى في المؤخرة وعلى المناورات السياسية التي تسهل له اجتياز المضيقين، وادي الحرير ووايدي القرن سلمًا دون قتال (كما وقع فعلًا) ولذلك قرر السير على الطريق الثاني.

ويبدأ الجيش الفرنسي تمهيداته للزحف على دمشق، ففي 12 تموز احتل المليئة ومحطة رياض، وقد أصيب القسم الأكبر من قطعاته في المريجات ومقدمته في شتوية وانتابها في صوفر، وفي 14 تموز أرسل الجنرال غورو انذاره إلى الملك فيصل. وفي الساعة الأولى من يوم 21 تموز شرع الجيش باجتياز سهل الباقع واحتل موقع مجدل عنجر. كل ذلك وقع بسلام ودون أن يطلق رصاصا واحدا، لأن الحكومة العربية كانت قد قررت قبول شروط الانذار وسروعت الجيش وأمرت القطعات بالانصباب إلى دمشق. ولم يجد الجيش الفرنسي أثناء زحفه سوى قطعة صغيرة، من الجنود في مجدل عنجر تحصي اثقال ومهمات القطعات المنسوبة إلى أن ترسل وسائط نقلها، فجردتها من سلاحها وتركتها طليقة، وكانت الطائرات على اتصال مستمر بقائد الفرنقة تخبره عن انسحاب الجيش العربي وإخلائه للمواقع، وصلت مقدمته الجيش إلى عين الجديدة بعد أن اجتازت وادي الحرير، كما وصلت الخيالة إلى منطقة ينطه المشرفة على ميسلون من الغرب وفي الساعة الخامسة من بعد الظهر 21/7/1930 وصلت الفرنقة بكاملها إلى المرتفعات التي تحد سهل الجبلة من الشرق وتسيطر على وادي القرن ووايدي الززرور، وبذلك وصلت الفرنقة إلى مسافها الأولى، فعسكرك القسم الأكبر منها في عين الجديدة بعد أن اجتازت مقدمتها وادي القرن، وأبلغت المرتفعات المطلة على وادي الززرور وعقبة الطين واشغلت ميمنتها مرتفعات بنطله المطلة على عقبة الطين ووايدي ميسلون.
وِالساعة السادسة مساءً حاول رعيل الدبابات المراقبة للمقدمة الخروج من وادي القرن والدخيل في وادي النزيرور فقابلتها الدفعة العربية وأنجبرتها على العودة بعد أن أصيب بعضها. وفي تلك الليلة وصل إلى مقر الفرقة وفد عربي يمثل بوزير المعارف ساطع الحوري يرفق معه المعتد الفرنسي في دمشق الكولونيل نولا بطريقه إلى الجنرال غورو. وتمكن من إقناع الجنرال غرابي بتوقف الزحف لمدة 24 ساعة بشرط أن تمنع الحكومة العربية حق القوات الفرنسية باستعمال الخط الحديدي بين محطتي رياق والتكية من أجل التصوين فوافق المندوب العربي على ذلك واستمر بطريقة نحو بيروت.

---

موقف الجيش العربي وحركاته

كانت القوات العربية المشكلة من ثلاث فرق على الشكل الذي بيناه آنفاً ترابط كل فرقة منها في منطقتها. فالفرقة الأولى في دمشق والثانية في درعا والثالثة في حلب، ولم يشرك منهما في معركة ميسلون سوى الفرقة الأولى علماً على بطارية من أربعة مدافع ونحو ستين خيالاً نظامياً ألحقوا بها من الفرقة الثانية. ولذلك سيكون كلامنا عن حركات القطعات التي اشتركت في معركة ميسلون من هذه الفرقة.

لم يكن للجيش العربي خطة عسكرية مسبقة لقابلة الجيش الفرنسي سوى الترتيبات المتخطدة في بعض المواقع التي شرد. وليست موقف الجيش العربي من الفرنسيين كان في الأصل موقفاً دفاعياً ويمكن أن كان الدافع قومي عادة بتنظيم خططه بالنسبة لخط حوسم الهجوم فإنه لم يكن كما ذكرنا للجيش العربي خطة، ولذلك كان قائد اللواء يحاول تبديل أوضاعه بالنسبة لحركات الفرنسيين ضمن فكرة دفاعية ضيقة.

في شهر حزيران وعندما أصبح الموقف متوترّاً مع الفرنسيين
أمّرت وزارة الدفاع بإرسال الفوج الأول من اللواء الأول إلى منطقة بعلبك، وسهل البقاع. وفي أوائل تموز تلقى أمر اللواء الأول المقدم حسن الهندي (1) أمرًا من قيادة الفرقة بأن يشغّل بالفوج الثالث موقع مجدل عنجر (منطقة الجمرك اللبناني اليوم) ليوسّس خطّاً دفاعياً في مدخل وادي الحريّر المشرف على سهل البقاع، ويخيم الفوج المذكور في تلك المنطقة وبدأ بإنشاء خط دفاعي في مدخل وادي الحريّر.

بعد ظهر يوم 2 تموز 1970 تلقى أمر اللواء المذكور من قيادة الفرقة البرقية التلفونية الآتية:

«المقالة جلت صراحةً مع الفرنسيين غداً صباحاً تحركوا إلى دمشق».

وحين وصول اللواء إلى جديدة يابوس مرت من فوقهم طائرات فرنسية متجهة نحو الشرق تقوم باستطلاع الطريق نحو دمشق وناصل الرتل إلى نهاية وادي القرن وصل أمر نقطة ميسلون وبلغ أمر اللواء أمراً وصله من وزارة الحربية مضمونه:

(1) المقدم محمد حسن الهندي هو قائد اللواء الذي قاتل في ميسلون وهو القائد الفعلي الذي انتخب موضع الدفاع وبيّن القيادة، و]** حسن اللواء، وكانت بإمته جميع العمليات التي تركزت في موقع عقبة العيون غربي عين ميسلون من مدفعية ورشة متطورة. وقد بقي هذا القائد صادقاً في الواجب حتى لم يبق معه أحد من الضباط سوى جندي واحد شهد له بذلك بأنّه إجراء من شجاعة وإخلاص موقعة الذي بقي معه إلى النهاية وهي الملامة جميل البغدادي (العميد فيما بعد). صاحب الذكريات المحورية عن موقعة ميسلون، والقائد الهندي كتب مذكراته عن هذه الموقعة ولكنه لم يطبع عليها أحداً كي لا يسبب إلى سمعة الثوار، ولكن ابنه الاستاذ فاروق تكريم على جنوده، والرقيم الهندي الذي ترقى في سنة 1960 قد كان مقدماً مizzazioneً في الجيش الشعبي وهو من الضباط العرب الذين كانوا يشرون بقوميتهم بوجه هم بحقق العرب ووضعهم السبب مع الأتراك وكان من المتشهرين إلى حزب العيد العسكري الذي أسسه السيد رفيق علي العريفي وهو من جملة الضباط الذين أوقفهم جمال باشا وحثهم إلى نداء الحق العرب في عائلته وشنته منهم العقيد رضوان الجنسى وشيخ الشافع وقُدر له الخلاص من الإعدام.

100
الآيام الحالية

«ان الفرنسيين حثوا بوعدهم أن قواتهم تزحف خلفهم وأنه
يجب وقف القطعات لمنع تقدم الجيش الفرنسي».
ويكيل سرعة قائد اللواء باستطلاع الأراضي من أعلى قمة
تشرف على عقبة الطين وقرر الدفاع في الهضاب الشرقية المشرفة
على الوادي وعل مدخل وادي البقاع. وأصدر أمرًا أوليًا
مستعجلًا بلغه إلى القطعات هذا نصه:

إلى قواد القطعات العادية إلى دمشق

10 - على القطعات المتوجهة نحو دمشق أن تتفوق في عقبة الطين
(غربي خان ميسلون) وتدخل تحت قبليتي.

2 - لا يجوز لوحد قطعًا تجاوز خان ميسلون لجهة دمشق ومن
يختفي ذلك يطلق عليه الرصاص.

3 - تنظيم القطعات حلالًا وانتظر الأوامر.

قائد اللواء الأول
حسن الهندو

وبعد ذلك ذهب لا استطلاع الأرض تفصيلًا مستصحباً معه
 أمراء الوحدات. وعبأ اللواء بأن جمل الفوج الأول يشغف
 المرتفعات الشرقية على مدخل وادي القرن والأزرور وجعل
الفوج الثالث مع سرية الاستحكار في الاحتفاظ.

وفي الساعة 5 وصل من دمشق لواء المدفعية فوضع بطارية
منه في وضع تمكن منه من رمي وادي القرن وباقي البطاريات
في مواضع مستورة ومناسبة خلف الخط الأول.

(5) يوجد التباس في أنه يتطلب له أكثر الناس ومن عدم التفريق بين موقع خان ميسلون
و خان ميسلون. فمن ميسلون هو الموقع الذي نبي منها لمد في جانب الغافر
ومقابل النقطة الحالية التربيع من مقره شهداء ميسلون. أما خان ميسلون فهو
الخان الموجود في الوقت الحاضر في الأرض الكشوفة التي ترى على يسار الداهب.
إلى بيوت بعد أن يجتاز مسافة نحو مائتي متر من الخلف.
خطة انطلاق الجيش الفرنسي

وضع قائد الفرقة الثالثة الجنرال غوانبي المكلف بالاستيلاء على دمشق خطته على أسس المعلومات المتيسرته لدى عن وضع الجيش العربي المرابط في سهل البقاع. وحشد قطعاته في المواقع التي نوهنا عنها متنازعا من القائد العام الجنرال غوروأمر الانطلاق وكانت خطته كما يلي:

الغاية

الاستيلاء على دمشق والقضاء على الحكومة العربية وذلك بالقضاء على مقاومة الجيش العربي.

الخطة

أ - التقدم على طريق شترزة- مجدل عنجر- جزيرة يابوس - ميسلون - دمشق. وطرد القوات العربية من المواقع التي تدافع عنها.

ب - الالتفاف على جناح العدو الأيسر.

التقدم

يجري التقدم من الجبهة برتليين، رتل أيمن ورتل أيسر:

١٥ - الرتل الأيسر: بقيادة الجنرال بورو يتالف من:
- فوج مشاة مغارية.
- فوج مشاة سنغال.
- نصف كوكبة فرسان.
- قصيل دبابات.
- بطاريتين عيار ٧٥ مم وبطارية عيار ٦٥ مم المجموع ١٨ مدفعًا.
يتقدم هذا الرتل بقسمين على يمين ويسار طريق شتورة - دمشق.

القسم الأول

يسار الطريق: بإمرة الكولونيل أزراق يتقدم من شتورة - برالياس - دير سمعان - كفر يابوس - ويفرز قطعة أمامية إلى مرتفعات قرية البطرون.

القسم الثاني

يمين الطريق: يتقدم من المرج - مجدل عنجر - جديدة يابوس - ويفرز وحدة أمامية إلى مرتفعات قرية حلوة.

2 - الرتل الأيمن: بقيادة الكولونيل تيري ويتالف من:
- فوج مشاة مغارية.
- فوج مشاة قرنسي.
- نصف بطارية 7.5 مم.

يتقدم هذا الرتل من: الخبرة - روكسي - مرتفعات أدوات ويفرز وحدة أمامية إلى مرتفعات الكنيسة.

2 حركة الاتفاق: بقيادة الكولونيل ماسب ويتالف من اللواء الخيال السيافي المراكزي، يتحرك من منضدات بر الياس باتجاه جب جنين يحمي الجناح الأيمن للأرئال المتقدمة ويبقى على اتصال برتل الكولونيل تيري، يتسلق مرتفعات يحفا ويراقب منها جب جنين وراشيا وميسلون.

4 - رتل البقاع: بقيادة الكولونيل روبى وكو ويتالف من:
- فوج مشاة سنغال.
- نصف بطارية مدافع.
- فصيل مصفحات.
- رعيل خيالة.
مهمته: مراقبة حيوي في رياض حلب وربيق دمشق.

- الاحتياط: يحتفظ قائد الفرقة بقوة احتياطية تحت إمرته مباشرة تتطلب من:
  - فوج مشاة فرنسي.
  - 2 رعايل عتان.
  - نصف سرية هندسة.
  - قصيلة دبابات.
  - بطارية مدفعية ثقيلة عيار 105 مم.
  - الطيران.

- كما وضع سرية مشاة واحدة في كل من محطات: عين صور، المريجات، سعد نايف وربيق.

الحركات

في صباح يوم 21 تموز 1970 تلتقط القطعات أمر الانطلاق والباشرة بالحركة حسب الأوامر السابقة التي صدرت إليهم. وبدلاً رصد المقدمة إلى جسر الليطاني، أخبرت القائد أنها وجدته سليماً وعلي ضفته قطعة صغيرة من الجيش العربي لم تقاومهم قاطرها واستعازوه. وهذا استمر التقدم وكانت باقي الجسر سليمة أيضاً. وبعد اعتياس مقرر الفرقة لجسر الليطاني وصلت من القطعات الأمامية تقارير تفيد أن الجيش العربي المابيد في منطقة مجدل عنجر يسحب نحو دمشق دون أن يطلق طلقة واحدة وأنه لا توجد علامات تدل على المقاومة.

وبعدما وصلت القطعات إلى مواقع مجدل عنجر وجدت به أثقال الجيش العربي وعليها مفرزة صغيرة لحراستها فجردتها من السلاح وترك أفرادها طلقاء. وهذا أصبح أول وأهم منع أمام خط تقدم الجيش الفرنسي وهو وادي الحرير مفتوحاً ومتينًا دون صعوبة دون أي مقاومة. فاجتمعت قطعات الجيش
الذي كانت منتشرة أفقاً وعمقاً بنظام السيطرة واستمرت بتقدمها على الطريق العام ولم يبق منها منشأاً سوى الخيالة ورتل الكولونيل تيري حيث حافظت على تقدمها منتشرة حتى وصلت إلى الأهداف المعينة لها يوم 21 تموز وتكامل وصول القطعات إلى موقع جنود يابوس وأرسلت قطعات حماية لوادي القرن الذي اجتازته قطعات الجيش العربي وأصبح هذا المانع الثاني لهم جداً أيضاً مفتوقاً وماموناً أمام زحف الجيش الفرنسي.

وفي المساء وصل إلى مقر الفرقة المعتد الفرنسي في دمشق الكولونيل كوسبي وبلغ الجنرال غوبير قبول فوستيف لشرطة الانذار وأدرك التقليل إلى الجنرال غوبير وانه لم يبق بسبب لتقدم الجيش الفرنسي. فأجابه الجنرال أنه أمر بالسعي إلى دمشق وسياسته سيرته وله أن يتابع سيره إلى بيوت مقابلة الجنرال غوبير.

وبعد عصر هذا اليوم وصل إلى مقر الفرقة في جديدة يابوس ضابط عربي مرسى من قبل قائد اللواء الأول المرابط في ميسلين (اللازم جميل البارهاني) لابلاغ الجنرال عزم الجيش العربي على الدفاع فيما إذا تقدم الجيش الفرنسي من جديد نحو دمشق. فلم يقبل الجنرال مقابلته وبلغه أنه سوف يستمر في التقدم بصورة سلمية وإذا مونع فسيستمر في تقدمه بالقوة.

ويسترد الكولونيل كوسبي الذي كان قد وعد الملك بالذهاب لمقابلة قائد الجيش من أجل توقف زحفه، يعود ليخبره بعدم قبوله ويفترض عليه إرسال أحد رجال الحكومة للتفاهم مع غوبير في هذا الأمر فيجمع مجلس الوزراء الذي كان معقداً برئاسة الملك على إيفاد وزير المعارف ساطع الحضري للقيام بهذه المهمة ويرافق الملك على هذا الاقتراح ويتوجه ساطع الحضري
مستصحباً معه سرافق الملك المقدم جميل الأشلي يرافقهم المعتمد الفرنسي الكولونيل تولا. وأثناء ذلك يخبره وزير الدفاع يوسف العظمة أنه ذهب إلى الجبهة ويرجوه أن يسعى لاستعداد أكثر ما يمكن من الوقت من أجل إكمال تنظيم الجبهة. ويصل الحصري إلى جنودية يابوس ويواجه قائد الفرقة الجنرال غوانبات، وكان معه رئيس تقران غورو الكولونيل بتلا وطلب إليه إيقاف الجيش إلى أن يتسر له مقابلة الجنرال غورو فاجابه أنهم جنود لا يعلمون شيئاً من أمر السياسة، وقد تلقوا أمرًا بالرجل فزحفاً ولا يشعرون أن يتوقفوا عن مواصلة الزحف إلى أن قال: ومع هذا إذ كنا مستورين عن الحركات فإنه بوسقطنا ان نعكم حمدة لمدة أربع وعشرين ساعة على أساس قبول بعض الشروط:

أولاً - أن يعتبر الوادي الذي يمر من تحت سفوح ميسلون جداً فاصلًا بين الجيشين تنسحب الجيوش العربية إلى ما وراء هذا الوادي وتكتسب القطعات الفرنسية حرية الحركة في هذه الجبهة.

ثانياً - تنقل المؤن التي تحتاج إليها الجيوش الفرنسية بواسطة سكة حديد رياط التكية.

قبل الحصري ذلك وعاد إلى ميسلون ليجد فيها الأمير زيد ويوسف العظمة وأبلغهما ما اتفق عليه فسراً لذلك سروراً كثيراً. وعاد الحصري إلى الجدة ومنها وصل سيره نحو عاليه التي بلغها في 22 تموز وقابل الجنرال غورو في مكتبه، وبعد ذلك ورد وإصرار غورو على استمرار رجف الجيش قبل بهدنة الأربع والعشرين ساعة التي أعطاها الجنرال غوانبات ولكنه تقدم بشروط جديدة قاسية مدعياً أنها توضح لشروط الأتذار ولكن الحصري لم ير لنفسه صلاحية قبولها وطلب مهلة جديدة تسمح
له اتصالها إلى الملك وحصول على مهلة 24 ساعة أخرى. تنتهي في متناقص ليلة 30تموز 1920. وعاد الحمصي إلى دمشق بعد تأخير مثمر من قبل الفرنسيين وعرض على الملك جو المفاوضة التي أجراها مع غورو بحضور مجلس الوزراء، ويعتبر لهم أن الاعتداءات على غورو مقرر دخول دمشق وأنه يتحرى الحجج والوسائل التي تمكنه من ذلك. فإن قبول شروطه الجديدة سوف لا يمنعه من إيجاد حجة جديدة. وإثناء ذلك وصل من غورو إلى الكولونيل كومي برقبة يطلب منها إعلان الملك أن وضع الجيش الفرنسي يتطلب منهم تعديل شروط الهدنة الأولى والسماح للجيش الفرنسي بالانتقال من معتلره في الجديدة إلى خان ميسولون نفسه. لإمكان تأميم حاجاته من المياه التي فيها ومن الأرزاق عن طريق ميسولون - التكية - وكانت هذه البرقبة نهاية الترد الذي كان يسود المسؤولين ملكاً وزراء فقرروا بالإجماع عدم القبول بالشروط الجديدة. و بذلك قرروا الحرب وعمد ذلك على قطع جيش وغلب الشعب كما تقرر أن تكتب برقيات استغاثة جديدة إلى جميع الدول وأن يدعى جميع قنوات الدولة إلى اجتماع بحجة إطلاعهم على تفاصيل الوضع. وعند الامام جاء المعتمد الفرنسي إلى كومي يطلب الإجابة على الشروط. فسمل له الجواب الذي جاء فيه ما يلي:

("انتا أتاي الحرب، ولكن قبول الشروط الوريادة في مذكرتك الأخيرة يعرضنا لا محالة إلى حرب أهلية. نحن مستعدون لتنفيذ الالتزام المؤرخ في 14 تموز بحذافيره. وقد تخذنا إلى الان اربعة من شروطنا، اننا نتعهد بشروطنا بتنفيذها. علينا أن ننسحب الجيش الفرنسي من الأماكن التي احتلها مؤخرًا.

157
خطة المعركة

في مساء يوم 20 تموز 1940 كان القسم الأكبر من الجيش الفرنسي المراقب خلف قطعات الجيش العربي قد اجتاز وادي الحرير ووصل إلى موقع جدية يابوس وعسكر فيها، كما وصلت قطعاته الراكنة إلى مرفوعات بينه ومقدمة اجتازات وادي القرن وربطت في مدخله الشرقي بعد أن اصطدمت دباباتها بقطعات الجيش العربي التي منعتها من الخروج منه. ومرت ليلة 20 - 21 بمواضيع سياسية تذهب وتعود خلالها الوفود بين الطريقين حيث تمكنت أثناء ذلك من الحصول على هيئة 44 ساعة يتوقف خلالها الجيش الفرنسي عن الرحفل. وفي يوم 22 منه تمددت هذه الهدنة لأربعة وعشرين ساعة أخرى بحيث تلتقي في منتصف ليل 23 منه كما مر ذكره، وكانت القطعات العربية خلال ذلك مستمرة في حفر الخندق وقد جاءها قطار مملوء بالتطوعيين المدنيين من إهالي دمشق وأطرافها ومعهم سرية الحرس الملكي بقيادة القائد محمد علي العجلوني وبرفقته بعض الجنود النظاميين الذين جرى تسريحهم ثم جمع بعضهم وجرى سقوطهم إلى قطعاتهم، كما جرى من جهة ثانية تسلل بعض الضباط والجنود وانسحب منهم متجهين إلى دمشق.
وفي 22 منه أصبح الموقف واضحًا لكلا الطرفين فالحكومة العربية رفضت شروط الفرنسيين الأخيرة وقررت الدفاع والفرنسيون مقرون الزحف، إذا لم تكون شروطهم، والدنة الأربع والعشرين ساعة الأخيرة ستنتهي في منتصف هذه الليلة، إذا فالمعركة ستتشاب في صباح الغد الموافق 24 تموز، وكان كل طرف واقعاً على وضع الطرف الآخر. فالفرنسيون على علم بالخطوط التي يعمل الجيش العربي على تحكمها في غربي عين ميسلون والعرب على علم بالمواقع التي وصل إليها الجيش الفرنسي بقسمه الأكبر وقعته المتقدمة. ولذلك قام كل فريق منهما بتقريب خطته التي سيقابل بها خصمها في صباح يوم 24 منه.

الخطة الفرنسية

1 - الاستيلاء على الخط الدفاعي الذي أقامه الجيش العربي على المرتفعات الغربية لعين ميسلون كهدف أول ويفتح الطريق. أمام الجيش الفرنسي الزحف نحو دمشق.

2 - الهجوم على خط الدفاع في مرتفعات عقبة الطين المشرفة على وادي البرزير ومخرج وادي القرن.

3 - الالتقاء على جناحي العدو الأيسر بقوسين الأول بواسطة المشاة المعززة بالدفعة والثاني بواسطة الخيالة.

الواجبات

1 - سريتا مشاة وفصيل دبابات ونصف سريحة هندسة يمين الطريق (مخرج وادي القرن - ميسلون).

(1) مأخوذة من مذكرات مقرر الخطة قائد الفرقة الفرنسية الثالثة الجنرال غرابيه.
2 - فوج مشاة مغربية مع بطارية 75 على يسار الطريق المذكور، على المرتفع يسار وادي الزنود.

3 - فوج سنغال مع نصف بطارية 65 على مرتفعات حلوة.

4 - فوج مشاة مع بطارية يمين ويسار الطريق في مخرج الرادي.

5 - فوج مشاة مع نصف بطارية 60 على مرتفعات الكنيسة.

6 - بطارية 75 على شرق مخرج وادي القرن.

7 - بطارية 155 غربي وادي القرن (إي في مدخله من جهة الجديدة).

8 - لواء الخيالة المراكشي في منطقة الكنيسة.

9 - سرية مشاة وسرية رشاش على مرتفعات قرية ببطروه.

10 - فوج سنغال للمحافظة على الأطفال في الجديدة.

11 - الاحتياط بقيادة الجنرال يورود من كوكبة فرسان، فوج مشاة فرنسي، فوج مشاة سنغالي، بطاريتين 75 في عين جديدة.

12 - مركز القيادة المتقدم على مرتفعات البطرونة.

المطور

1 - يقوم باستكشاف عمليات الدفاع وحركات الجيش العربي.

2 - يدعم الدفعية في مهماتها ويساعدها على تحرير الأهداف غير المرئية لها.

3 - قصف تجمعات العدو.

وبموجب ذلك توزع الأهداف والواجبات.
الانطلاق

تقررت ساعة الانطلاق في الساعة الخامسة من صباح يوم 14 تموز 1920.

الخطة الجوية العربي

خطة الجيش العربي لم تقرر بطريقة الأصولية من قبل قائد القطعات المسؤول عن سير المعركة بعد تأكد رأي المختصين من أركان قيادته وقادة قطعاته، بل جرى تقريرها بصورة مرتبة وشبه ارتطالية وعينة عن اعتبارات مبادئ الحرب الأساسيه التي يجب على كل قائد مراكزه عند تقريره الخطة، كانت المعركة كبيرة أو صغيرة.

فأول ما صدر من أوامر الدفاع عن ميسلون هو الأمر السريع الذي صدر إلى أمر اللواء الأول المقدم جسن الهندي أثناء خروجه من وادي القرن متجهاً إلى دمشق. بأن بلغه قائد نقطة ميسلون امرأً تلفونياً من وزارة الدفاع (وليس من قبل قائد فرقة الذي كان مفروضاً أن يكون في ميسلون لا بضمار دمشق متمهماً بتجميس الناس للحرب كما شاهدها بنفسه)، فعندما تلقي أمر اللواء أمر التوقف عن التوجه إلى دمشق والدفاع في ميسلون قام بواجبه على أحسن وجه، فاستطاع المنطقة وقرر خطوط الدفاع الأمامية والاحتياطية ومركز الدفاعية والترصد وكان موفقاً في قراره كل التوفيق بدليل أن تلك المواضع ساعدت على الصمود بعد ضعيل جداً أمام قوات متفقة تفوقاً كبيرةً وبدليل بحبيب هذا الخط من قبل وزير الدفاع وقائد الفرقة الذي كان يتفوقه، وهكذا وجد وزير الدفاع وقائد الفرقة عند وصولهما إلى الجبهة أن القسم الأساسي من خطة الدفاع قد قررها قائد اللواء ولم يبق ما يضاف إليها. وكانت في هذه الآونة تتوارد قوات أخرى من هندسة ومدفعية.
إصابة ومتطوعة غير التي كانت بامرة قائد اللواء فالحقت به أيضاً فتكاملاً بذلك جهدة الدفاع، والتحق أيضاً ميسولن قطعات راكبة من خيالة نظامية وغير نظامية وحجانة اقتصى أشراكهم في خطة الدفاع، بما يتعلم مع خواصها كقوى متحركة. وفي هذه الآونة أخبر قائممقام زيداني بأن فيها الرف المتطوعة المسلحين المتحمسين الذين يودون الاشتراك في المعركة، وأن هناك أيضاً موقعاً أخرى من أهالي سرانية وعصابات ملحمة قاسم الذين يريدون الاشتراك في القتال. فتقرر إرسال فوج ومدفعين إلى زيداني وفيها يتجمع أولئك المجاهدون ليشتركون معه في المعركة من جهات مرتفعات الزبداني لمواجهة الجناح الأيسر للقوات الفرنسية المهاجمة.

وهكذا نرى أن خطة الدفاع في ميسولن كانت مرتجلة أميتها الأحوال التي كانت تتلاحم، ولا يأس بالخطط الأخرى السريعة. فتمثل هذه الخطط كثيرة الوقوع ولكن يجب أن لا تكون متفككة وغير منسجمة ومرتبطة ببعضها، وأن تكون الوافجات موزعة توزيعاً منطقياً قابلاً للتطبيق، وأن تكون المسؤوليات واضحة ومركزة لا التباس فيها ولا تشويش.

وسيتبين لنا مما سنشرحه من الخطة أن ذلك لم يحصل.

الخطة

١ - الوقوف بوجه تقدم الجيش الفرنسي الزاحف على دمشق.

وذلك بالدفاع في الواضع التي أقيمت بسرعة في مرتفعات عقبة الطين غرب ميسولن والتحكمة بمخرج وادي القرن ووادي الزينور.

٢ - الالتفاف على الجناح الأيمن للفصائل المهاجمة ومنع القوات الراكية من اجرا الالتفاف على جناحنا الأيسر.
التوزيع

1 - اللواء الأول من الفرقة الأولى والقطعات الملحقة به يدافع في المواضع التي أقامها في عقبة المطين.

الفوج الأول من اللواء الأول بقيادة محي الدين البغدادي بمين طريق وادي القرن، ميسلون.

الفوج الثالث بقيادة الرائد أبو الشيخ الجابي في يسار الطريق المذكور.

في الجناح اليمين الفوج الأول من اللواء الثاني مع مدفعين 60 مع المتطوعين بقيادة المقدم توفيق العاقد يتحرك من الزيداني نحو جناح العدو الأيسر.

الهجالة والخيالة النظامية والتطوعية تتحرك باستقامة ينطه لستر جناح الدفاع الأيسر.

المدفعية توزع بحيث تصب نيرانها على خطوط تقدم العدو ومدفعيته ورئد الطريق.

لم نعتمد فيما حققناه على أي واجب أعطى إلى سرية الحرس الملكي التي كانت تتشكل بمجموعها من اليمانيين وهي أتم تنظيماً وضبطاً من جميع القطعات التي كانت في ميسلون. وقد شاهدها خلال انفراط عقد الدفاع وهي الجماعة الوحيدة التي كانت محافظة على نظام وتسير في المؤخرة بقيادة أمرها.
المعركة

في الجبهة

منذ الفجر الأول من صباح يوم ٢٤/٧/١٩٣٠ كان جميع من في جبهة ميسلون من قادة ومصاربين متقظين ومتهيئين ينتظرُون نشوب المعركة. وفي الساعة (٤٠٣) أمر الوزير أمر اللواء الذي كان بالقرب منه أن يفتح الجبهة فذهب إلى الفوج الأول الذي علِعُ يمين الطريق وائرسل مراقبه إلى الفوج الثالث على الجناح الأيسر لتنبيه قائده عن قرب نشوب المعركة. ولما لاح ضوء النهار تبين أن الفرنسيين قد وضعوا منذ الليل بطارية مدفعية في فحم وادي القرن. وفي هذه اللحظة مرت طائرة فرنسية من فوق الجبهة فرمتها المدفعية وباشرت الرشاشات والمتفجرات، كما أطلقت الدفعة نيرانها على مدفعية العدو التي ذكرت أنها كانت في مخرج الوادي. وهكذا نشب المعركة. بتراشق مدفعية الطرفين، وكانت قنابل الدفعة الفرنسية الثقيلة الموضوعة في الجديدة تصب بنيرانها على الخطوط الأمامية والخلفية. وفي الساعة السادسة اجتاز أحد أفواج المنشآة الفرنسية وادي القرن وتخطى المواقع التي أقيمت على الطريق لرقلة تقدم الدبابات وبدأت الخيالة الفرنسية تتقدم من جناحيهم الأيمن.
على مرتفعات وادي الزمرور الغربية. وفي الجناح الأيمن اجتزأ
فوجان من مشاتهم وادي الزمرور وبدأوا بتسليم منحدراته
الشرقية بحماية كثيفة من المدفعية والرشاشات، ومن الوسط
على جانبي الطريق المزفت كانت الدبابات مسيرة من المشاة
قد اجتازت الوادي الذكور والجسر وازالت المتواضع الموضوعة
على الطريق الواعد بعد الآخر. وكانت معنويات جنودنا مرتفعة
راملهما بالنصر يزداد كلما شاهدوا تباطؤ تقدم الفرنسيين
بالرغم من نار مدفعيتهم ورشاشاتهم الكثيفة، وفي هذه الأثناء
اصابت الحصن الذي وضع فيه يَامَر من الوزير رشاشين كتيبة
 مباشرة فهدمته على رؤوس الجنود، فانسحبوا منه تاركين
الرشاشات، ولكن الفرنسيين لم يَجسِروا على إشعاله حيث بقي
 نحو الساعة خالياً حتى أعيد أشعاله بعد قليل من التطور. 
وكانت الطائرات الفرنسية ناشطة تحتقق فوق ميدان المعركة
تلتقي قنابلها وصلبات رشاشاتها على ساحة المعركة والخطوط
الخلفية، وكان تقلب المعركة موجهًا إلى الجناح الأيمن نحو
الفوج الأول.

و في الساعة (8.30) شوهد على الجناح الأيسر في مرتفعات
قرية ينطح الاستيكان بين قطعاتنا الركابية (خلية وهجانة)
والقوات الفرنسية فمقر قائد الفرقة بإرسال عدد من المتطوعين
الموضوعين في خلف الفوج الثالث لاستبدالهم. ولما اشتد قصف
المدفعية والطائرات انسحب أكثر المتطوعة الذين لم يكن لهم
سابق معرفة لا بالحرب ولا بالطائرات ولم يبق من المتطوعين
الذين كانوا في احتياط الفوج الأول أكثر من 100. وقد حصل
شيء من ذلك في الفوج الثالث أيضًا. هذا عدا من كان مسجباً
من الضباط والجنود. و يؤكد جمل البرهاني مرافق قائد اللواء
ان مجموع من كان باقياً من الجنود النظاميين في الجبهة عند
نشوب المعركة لم يكن ليتجاوز 250 محارباً.
استشهد الوزير

في حوالي الساعة الثامنة والنصف وكانت المعركة على اشدها ووضع الجيش العربي لا يزال سليماً ومعضويات الباقين منه جيدة، كان الوزير في نقطة الترصد يراقب جريان المعركة وبالقرب منه قائد الفرقة وأمر اللواء ومرافقه باستغلال الجعلي ظهرت دبابات العدو وهي تتقدم صعداً على الطريق حتى اجتازت نصف المسافة التي بين أسفل الوادي ومراكز الترصد، ولما أصبحت في زاوية غير مرئية لدفعيتنا توقفت قليلاً ثم تقدمت الدبابة الأسلوبية وبدأت تصعد الطريق نحو مركز الترصد، وكان الوزير قد وضع كما ذكرنا سابقاً في أعلى منطقين الطريق من خط دفاعنا يسيطر على جميع المعطيات من أول الطريق حتى أسفل الوادي. فلما شاهد الوزير تقدم الدبابة والمدفع صامت التقت إلى أمر اللواء الذي كان بقربه وسائلاً غاضباً ما بالدفع صامتاً لا يرمي الدبابة؟ أنا ذاهب إليه وأنت اذهب إلى اليمن وثبت الجنود(1). ولما عاد أمر اللواء إلى مقر الترصد وكان ينتظر أن يكون الوزير قد عاد قبله من موضع المدفع لم يجده. وفي هذه اللحظة سمع أمر اللواء من خلفه صوتاً ينادي يوسف بك قتل فالانتقل لرئي ضابطاً برفقة وكيل من سرية الرشاش مكشور الرأس يركب حساساً مشهود وهو لا يزال يصيح يوسف بك قتل نامره بالسكته مهدداً إياه بالمسدس ثم أمر بحجزه في الخلف. وبعد قليل شوهدت دبابة تتقدم على بعد 25 متراً فرمتها بعض الرشاشات والجنود فتراجعت مع من كان يحميها من مشاة وقامت عن الأنظار واستمر ضغط العدو على الجناح الأيمن وكان الجناح الأيسر يتمتع بهدوء نسبي.
يقول جميل البرهاني الذي كان وافقاً قرب أمر اللواء في مذكراته أنه بعد حادثة الضعاب التي ذكرناها وصل مرافق الوزير النقيب باسم الجباني وهو بحالة ارتباك وسرد لامر اللواء كيفية استشهاد الوزير. عندما شاهد الوزير تقدم القوادين داخل الوادي ورفعهم الحواجز وعدم انفجار الألغام وعدم رمي الدفع على الدبابات المتقدمة وسقوط حصن عتبة الطين وانسحاب حاميته واستمرار تقدم الدبابات على الطريق بحيث قاربت مقر القيادة أخذه الخضب وذهب (كما ذكرنا) إلى موضع الدفع وطلب إلى الرامي أن يرمي الدبابة المتقدمة، وفي هذه اللحظة رمته تلك الدبابة بطلقة من مدفعها عيار (27) فاردى شهيداً.

يتبين مما ذكره البرهاني أن باسم الجباني كان مع الوزير عندما ذهب إلى المدفع وشاهدته وهو يستشهد ولكنه لم يكن بقربه بدليل أنه لم يستشهد معه بل تركز هو وعاد إلى مركز الترصد ليخبر أمر اللواء.

وقد ذاع خبر استشهاد الوزير بين خطوط المقاتلين فبدأ تسربهم إلى الخلف ضياعاً وجنوداً ولم يبق (حسب قول البرهاني) من القاداة سوى المقدم حسن الهندي يقوم بقيادة الجبهة، والاقواط الأمامية لم يبق منها سوى عدد ضئيل، منهم ثمانية جنود مع أمر اللواء يرابط بهم في مكانه. ونحو عشرة جنود من الفوج الثالث يستخدمون رشاشاتهم. أما الدفعة فيبعد مقتل الوزير ونفاد ذخيرتها تمكنت من سحب ستة مدافع صحراعية ومدفعين أوبس بعد أن تركت في ميدان المعركة الباقية وعدها (16) مدفعاً. وأما قائد الفرقة فعقب استشهاد الوزير أدرك النتيجة فأستحضر ركوبه وقال لأمر اللواء أنه داهب لتأسيس خط دفاع ثان في مرتفعات الهامة وعاد إلى دمشق.
وفي نحو الساعة الحادية عشرة كان الفرنسيون قد استولوا على جميع الخطوط الأوروبية ولم يبق أحد من الأفواج. كما لم يبق في نقطة الترصد مع أفراد اللواء سوى مراقبته ومساعدته جنود، ولم يعد أمامهم سوى الانسحاب، فأمر مراقبته بالانسحاب قبله مع نصف هؤلاء الجنود ليحمي هو والنصف الآخر انسحابهم وأن يحموا انسحابهم بعد وصولهم إلى الهضبة التي خلفهم. وهكذا كان هذا آخر انسحاب من خطوط القتال في ميسلون.

تسبيلًا لبطولته هذا القائد وكمودج للقيادة الخالصة انتقل فيما يلي نص الحبارات التي كتبها مراقبه جميل البرهاني في مذكراته عن هذه اللحظات الأخيرة من المعركة:

«من ذكريات ميسلون، ما أعظم هذا القائد... لم يقبل أن يترك الجبهة قبل بل... رجع إلى لبده متغزل في الفضاء مع ثلاثة جنود... أمرني أن أذهب قبله من مركز القيادة لاحمي تقهره... ما أنبه... ما أنبل هذا البطل العظيم... عمل عظيم يجب أن يخلده التاريخ».

وعلى هذه الصورة انتهت موقعة ميسلون في الجبهة، وفي نحو الساعة الثانية عشرة كان يمر من عين ميسلون آخر المنسحبين.

الجاراح الأيمن

في صباح يوم 22/7/1920 توجه قائد اللواء الثاني المقدم توفيق العاقل من دمشق إلى مدينة يابوس لتلقي الأوامر من قائد الفرقة، وقد أمر قبل مبارحة دمشق أن يجتمع لواءه في الفسحة التي مقابلة القيادة السليمانية. وكانت الأوامر التي تلقاها من قائد الفرقة تقدم أن يتوجه مع أحد أفراد لواءه مدفعين جبليين إلى مدينة الزبداني وهكذا سيتيح له متطوعة هذه القضاء وعصابات ملجم قاسم، وأخبره أن قائد قام
الزيداني السيد عز الدين الحلي قدر عدد هؤلاء بـ 1500 مقاتل بين فرس وراجل. وكان الواجب المعين له يتلخص أن يتحرك مع القوة التي في عهده مع من سبيلح بـ من المتطوعة في ليلة 23/7/1920 من الزبداني إلى قرية كفر يابوس، ومنها يتسلقون الجروف المطلة على جدية يابوس والطريق العام الموجه إلى وادي القرن فيماهمون مقر القوة الفرنسية في الجديدة ويسطرون على مرتفعات وادي القرن الشمالية فيقطعون خط الرجعة على القوات الفرنسية التي ستهجم مواقعا في مرتفعات عقبة الطين، ونذ يصبح الجيش الفرنسي مطلقا ومحصورا في وادي النزور ووادي القرن.

وفي الساعة الخامسة من مساء 27 بلغت هذه القوة الزبداني وكان موجودها كما يلي 11:

16 ضابطاً، 160 جندياً نظامياً، 200 متطوعاً دمشقياً (منهم 150 دون سلاح). 6 رشاشات، مدفعين جبليين. ولا قالب قائد القوة قائمقام الزبداني للاستسلام عن المتطوعة علم منه أن رجال ملحم قاسم لم يصلوا وان متطوعة الزبداني توجهوا للمرتفعات بانتظار قدموم القوة للالتحاق بها. عندئذ تحرك القوة دون دليل ومعهم القائمقام على الطريق الذي يمر من جنوب مدينة الزبداني إلى كفر يابوس ومنها بدأت تسلق المرتفعات نحو الجروف التي تطل على الجدية والطريق العام.

قضت هذه القوة ليلتها تتعثر بين محدودات ومرتفعات هذه الجبال ولم تبلغ التلال المطلة على طريق بيسوت - دمشق إلا في صباح يوم 28 وبخمسين جنديا فقط دون أن يلتقي بهم أحد من متطوعة الزبداني. وأما الدفاعان فلم يتمكنا من حملهما معهم وبقيا بين التلال. وأخذ هذا العدد القليل الذي وصل

من مذكرات المقدم حسن البندي.

(1)
وفقًا على التحالفات ينتظر وصول الدفعين. وفي هذه الآونة كانت المعركة محددة بين القوات الفرنسية والعربية في مرتبعات ميسلون. وفي الساعة الواحدة والنصف وصل أحد الدفعين ووصل الدفع الآخر في الساعة الثانية والنصف وكان ذلك بعد انتهاء المعركة في ميسلون وانصحاب الجيش العربي منها.

وفي هذه الآونة وردت من ضباط نقطة الزيداني رسالة إلى قائد اللواء تنبيه أن قوة فرنسية وصلت بالقطار إلى الزيداني وأن المتطوعة سوف لا يباركون مدينتهم وأن مسلحين من قريبة سرعانية هاجمت بعض الجنود وجردتهم من سلاحهم. وبيقي هذا العدد القليل مع الدفعين متخفيًا بين الصخور طيلة النهر لا يمكن من أي عمل. فالفرنسيون من أمامه استولوا على ميسلون ومن خلفه اشغلا الزيداني فلم يبق أمامه سوى الانصحاب ليلًا مستفيداً من الظلام. وما كاد الظلام يخفي سدوده حتى بدأ يظهر لهم من بين الصخور بعض رجال من عصابة الشماط محاربين اغتشاب أسلحة الجنود المتفرقين بين الصخور، مما سبب الفوضى وبعض الشوفيش. وكان قد سبق ذلك أثناء النهر أن رئيس هذه العصابة «حسين الشماط» قد قاطع قائد المفرزة طالبًا إليه إعطاء الرشاشات فصره بالتي هي أحسن، وهكذا أتى هذا الوغد مع رجاله ليغتصب أو يسرق ما لم يمكن من أخذه نهاراً. وشرعت القوة بانصحابها وطلع عليهم فجر 26 تموز وهم في سهل مضايا فاستنادوا بمساندهم على طريق وادي حلبين دون أن يتمكنوا من استصحاب الدفعين. وقد كانت عصابة الشماط تتغيبهم وتقوم بمهاجمتهم طيلة الطريق.

وقبل بزوغ 27 تموز وصل قائد اللواء ومن تبقى معه من عدد قليل إلى قرية معرية، حيث علموا بأن الفرنسيين دخلوا دمشق.
فأودعوا في هذه القرية ما لديهم من سلاح وعتاد وترفروا حيث ذهب كل منهم إلى بيته. وهكذا كانت الأعمال التي قام بها الجنان الأيمن والنتائج التي وصل إليها.

٣ لواء الخيالة

 وهي القوات الراحلة التي مر بها ذكر تعدادها والتي تشكل من بقايا لواء الخيالة الأول الذي وصل إلى ميسلون وما تبقى منهم بعد التسريح نحو ستين جندياً ورشاشين و(٢) ضباط (النقيب عزت الساطي والملازم عبد الله عطيفة وعرب أعتيل) وبقايا لواء الهاشمي الخيالة الذي لم يصل منه إلى ميسلون سوى قائدته المقدم اسماعيل نامق وبعض الجند فأحلقت الجنود باللواء الأول والتحق قادته بمركز تموين ميسلون فأصبح موجود الخيالة النظامية نحو مئة خيال وضعوا بقيادة النقيب عزت الساطي.

الخيالة المتطوعة وهم ممن اجتمع من إحياء دمشق ودوماً وغيرها وعدد الذين وصل منهم إلى ميسلون نحو (١٠٠) خيالاً كانوا يسيرون ويترجلون ويسيرون بصورة متفرقة ودون نظام كل حي أو أقارب أو أصدقاء مع بعضهم. فلم يحصلوا إلى نقطة ميسلون استقبلهم أمراً وطلب منهم أن يتجمعوا بالقرب من خان ميسلون وينتظروا توجيهات القيادة.

١ خيالة سقوط الدرب الاحتياطي: (الذي بقياهم) وعددهم (١٥٠) خيالاً هم العصابات التي مر بها وكانت تعمل منذ أكثر من سنة بقيادة فؤاد سليم في المنطقة التي تمتد من بعلبك حتى الجولان وهي تتشكل في الأصل من رجال تسجلوا لهذه الغاية من دروز الشوف وشراكسة من القنيطرة واكراد من الصالحية وعدد من بيوت وجبيل عامل، وقد أندتبت من الجيش بأمر من الأمير زيد لاقوم بتخريبيهم وتنظيم شؤونهم.
الانضباطية يعاونني في ذلك أربعة ضباط ملازمين أخترتهم من الجيش ممن يصلحون لهذا الواجب، لأن باتي ضباط هذه القوة لم يكونوا ضباطاً، وكان رجالها نخبة من الرجال الأشداء الأقوياء. ولأجل تأمين احتياجات هذه القوة وضعت في ملاك الدرب وسبيت بفوج الدرب – الاحتياطي وكانت تعمل تحت إشراف الأمير زيد وتوجيهاته. وعندما صدر قرار الحرب أرسل الأمير قائد هذه القوة فرَّاد سليم إلى جهات علنية للاتصال بملحم قاسم، الذي كان يتعاون معنا من أجل أجزاء الترتيبات معه حول ما يجب عليه القيام به في حالة وقوع الحرب. وهكذا بقيت القوة بقيادتي وكان الأمير بود أن تبقى قريين منه إلى آخر لحظة ولا تقرر القتال نهائياً أمرني بالتوجه إلى ميسلون وترك في حرية تقرير العمل الذي أريته. وبعد ظهير يوم 37/7 تحركت بالقطار من محطة البريطام ومعي أمر أخرى السرايا الملذة الأول سعيد عمون وكان القطار يعج بالمتطوعين الذاهبين إلى ميسلون وكانوا طيلة الطريق ينشدون الأنشهيد الدينية والوطنية وكانوا من مختلف الأعمار فهم الغلام والشاب والشيخ. وكانوا دون نظام لا رئيس ولا مراقب ولا قائد لا يعرف الواحد منهم إلى آية جهة هو ذاهب أو ماذا سيعمل وكل ما في علمه أنه ذاهب للجهاد في سبيل الله وأنه مقاتل للدفاع عن بلاده... وكان منظورهم بوجي للمرء الخشوع والاحترام الممزوج بالانكسار. وكلما وصل القطار إلى إحدى المحطات كانوا ينتشرون بجانبيه ليأكلوا ويجذروا ويدخنوا وينشدون الأنشهيد، وعندما يصلون إلى محطة الحسينية أو النكية كانوا يتركون القطار مست anon السير نحو ميسلون على الأقدام وكانوا يسيرن جملياً وأفراداً، كل أفراد حي أو أفراد أو أصدقاء مع بعضهم منتشرين من المحطة حتى ميسلون. ونزلنا في محطة الحسينية وهاجنا وجدنا خلفنا بانتظارنا فركبناها وتوجهنا إلى الديماس حيث كان رجالنا وقد
آرسلتهم قبل بوقين لانتظاري فيها. وبعد أن فتشت الخيل والجند توجهنا إلى ميسلون وكانت الخطة التي قررت العمل بها هي أن أسير بعد الظلام إلى خلف القطعات الفرنسية.

وعندما تبدأ المعركة تقوم بمهاجمة مخالبهم. وكان عملي أن أخبر قائد الجبهة بخطتي هذه قبل الشروع بها ليكون على بينة وأيضًا لها حسباً في خطته. ونا وصلت إلى بناء (الدليل جنص) القديم الذي على يمين الطريق قبل الوصول إلى المبرة بنحو مائتين متراً، شاهدت هناك بعض الضباط فقدنا أنه مقر القيادة فامر الجنود بالاستمرار بمسيرهم إلى الخان لينتظروه وتقدمت من المقدم الركن الذي كان ينتظرني إمام البناء (شيرف الحجار أمر نقطة ميسلون) فقبحته وأعلمه بمقتدى القوة التي معي وعن الخطة التي وضعتها، فشكرني وقال: نحن بحاجة أن نتشترك مع القوة التي في ميسلون، وهناك مشكلة بيننا وبين قائد قوة الهجارة فإذنكانك أنت أن تحلها وهي أننا أريدنا أن نعين لقيادتهم ضابطاً لأنهم كما أعلم يبدو لا يحسنون القتال مع القوات النظامية فرض ذلك وهم الآن متجتمعين قرب الخان عسك تقنعه بذلك وانت ذو معرفة بهم، ونا ساحض لعنديكم بعد قليل لابلغكم خطة العمل على أن نوفق بقتناه. ونا وصلت إلى قرب الخان شاهدت في الساحة التي تحيط به خيال الأهلين والهجانة مبعثرين هنا وهناك، ونشاهدت بجانب جدول الماء قائد الهجارة مرزوق الميخيمي مع امراء سرايا جالسين على سجادة وقريتهم دلال القهوة، وبعد أن عينت المكان لنزول جنودي عدت إلى قائد الهجارة فرحني بي وبدا يشكو من الاهانة التي وجهت إليه عندما أرادوا أن ينصبوا عليه قائداً.

وكانت ترتبطني بمرزوق الميخيمي صداقة منذ أيام الثورة العربية وقد كان «مضايفي» للأمير فيصل (المضايفي عند
 أمراء الجزيرة العربية بمثابة قائد مقر ورئيس تشريفات ومدير أعمال.

بعد وصول الأمير لدمشق جمع كل من كان بمعية الاشراف من هجاءة وضافهم إلى من كان منهم بمعيته وجعلهم حرساً خاصاً له وكتب في وقتها مرافقاً للشريف ناصر على ملاك البلاء. فكلف الأمير زيد أن أعوون مرزوق الذي عين قائداً عليهم بعد أن أعطيته رتبة مقدم فخري واعتبر من أعداد المرافعين. أقول كلفت أن تساعد في تنظيم أمرهم العسكري ببعض التمارين وبعض التنظيمات الداخلية فيما يتعلق بالضبط والواجبات وغيرها، وبقيت معهم إلى أن كلفت بالعمل مع العصابات التي مر ذكرها.

وبعد أن هذا مرزوق قلت له إنه عليه القبول بكل شيء في مثل هذا الوقت الذي نحن فيه ولا حرصته مغبة كل ضرر يحصل لأي سبب من الأسباب. وفي هذه الأوقات شاهدنا القائد شريف الحجار آنياً فرحنا به وما كاد يجلس حتى بدأ مرزوق بالإكلام معتباً ثم قال: أتريدون أن تعنينا علينا ضابطاً يعلمنا القتال؟ ليس هذا ضابطاً ولا شرف. فعبنيه وأنا أقبل به فجعله المقدم شريف حسناً أنة جئت من أجل ذلك، وهكذا انتهت هذه المشكلة على هذه الصورة وقرر أن أبقى مع قوة الهجاءة، وقال لي بان خيالة المتطوعة ستكون مرتبطة بنا.

وبدأ المقدم الحجار بتبليغنا أمر الحركات الشفوي ليوم الغد الذي جاء فيه ما يلي:

1 - سيبدأ القتال مع الفرنسيين في صباح يوم الغد الباكر.

2 - قوات العدو لواء خيالة ولواء مشاة ولواء مدفعية وسرية دبابات وسبع طائرات.
3 - خياله وصلت إلى مرتفعات الكنيسة ومقدمته في مخرج وادي القرن الشرقي.

4 - قواتنا لواء مشاة من فوجين وسرية الحرس الملكي ونحو ألف متطوع سيداعون في المواضع التي اقاموها في المرتفعات التي بغرب تبع ميسلون (عقبة الطين) للسيطرة على وادي الزينور ومخرج وادي القرن الشرقي.

5 - الفوج الأول من اللواء الثاني مع مدفعين جبلين سيتحركون هذه الليلة من الزبداني ويقوم في صباح الغد بحركة على جناح العدو الأيسر يقسم خلالها مقر قيادته في جديدة يابوس وينصد من المرتفعات الشمالية لوادي القرن للسيطرة عليه وقطع خط الرجعة على قطعته المهاجمة.

6 - ستقوم القوات الراكبة: خيالة الدشك والهجانة والخيالة المتطوعة المجمعة بقرب الخان والخيالة النظامية المعسكرة بقرب النبع بحركة التفاف على جناح العدو الأيمن فتفاجأته في مرتفعات الكنيسة قبل حركته منها صباح الغد، لحماية جناحنا الأيسر ومنعه من الاتفاق عليه. يتحرك هذا الزتل في الساعة الثانية من صباح الغد للوصول إلى هدفه المذكور في الوقت المناسب.

وانتهى أمر الحركات على هذه الصورة، لم تكن لدينا خريطة تستند بها على الطريق ولا طلبنا من المقدم دليلًا. إجابتنا أنه ليس عندنا أحد ممن يعرفون الطريق، كما أنه لم يذكر لنا شيئًا عن قوة الخيالة النظامية التي ستراقصنا ولا إما إذا كانت مرتبطة بنا أم مستقلة عننا. وبعد مغادرة المكان أرسلت بطلب قائد أو كبير المتطوعة فلم نجد لهم قائداً أو زعيمًا معيّناً فكانوا كما ذكرنا جماعات متعددة، فجمعت بعض رؤسائهم وبلغتهم
المعركة

موضوع الأمر الذي تلقيناه وطلبت منهم أن يكونوا في الوقت المعين متهينين للحركة معنا. ووجدت من بين رجالنا اثنين يعرفون الطريق الذي بوصلنا إلى الهدف الذي نستقصده في الساعة الثانية تحركنا من مكاننا، خيالنا في الأماكن تليها خيالة المتطوعة ثم الهجانة، وكانت الخيالات النظامية مع الرشاشين قد التحقت بالريل خلف الهجانة.

ولخرجت من خيالنا 25 خيالاً ومعهم الدليل كمقدمه. وكان مسينا في هذه الأراضي الجبلية الوعرة على هذا الطريق غير المعبد بطلاقاً لم يحسب حسابه في توصيف ساعة الحركة، وطلع الفجر ونحن لا نزال بعيدين عن هدفنا وظهر أمامنا واجهنا طورنا ولكن الطريق يمر منه فاصدر القسم الأكبر بالوقوف لانتظر اجتيازه من قبل القدمة أولاً. وما كادت تمر عشر دقائق حتى وصل من القدمة جنديان يجرون غلاماً في نحو الهجانة بقولان إنه جاسوس والغلام يبني ويقول واللهم أن العسكر السري يتسلق مرتفعات الوادي من الجهة الثانية. فالانفت إلى مرزوق التشكيبي الذي كان بجانبي وقلت له أن الأمر خطير ولا يقبل التردد والأخذ والرد فيجب على الهجانة أن تعقل هجئها وتسلق جانبي الوادي قبل أن يصل ليه العسكر وإذا كان هذا الغلام غير صادق فلا ضر من حركتنا. أما إذا كان صادقاً ولم نسبهم إلى المرتفعات فسوف يقبضون علينا جميعاً.

ونادي مرزوق رجاه أن يعلقوا(1) ابلهم ويتسلقوا، وبسرعة غريبة كانوا يقفزون نحو القمة كالآرانب. فالبدري عندما يعقل ناقته من أجل الدخول في الحركة فإنه يترك فوقها عباعته وأربما كوفيته أيضاً، بحيث يبقى خفيفاً متحرراً من كل ما يعيق

(1) عقل ناقته أي ربط بالنقل الصروف قائمة ناقته اليمنى ومنه مطوية بحيث إذا وقفت ناقته تبقى هذه القائمة مطوية والنافرة واقفة على ثلاث قوائم. وبهذه الحالة لا تتمكن من سرعة أسلوبها، فتبقي في محلها أو قريبة منه.
حركته أو يتبعه، يعكس الجندي الذي يحمل على ظهره حقيبته الملوثة بجميع لوازمه من بساط وغطاء ومعطف ولوازم الطعام والملابس وغيرها مما لا يقل عن ثلاثين كيلو. وما كانت خمس دقائق تمر على بداية تساق الهجارة حتى وصل أسرعهم الذروة وبدأ الرمي لأنهم مجرد وصولهم وجد أواخر جند السنغال قد وصلوا إلى عشرة أمتار من القمة، والطائفة من عشرة أمتار أو خمسين متر من بندقية البدري، لا يمكن أن تخطيء هدفها، فكان قتل جنود السنغال يتدحرجون من أعلى المرتفعات التي وصلوا إليها إلى الأسفل كالحجاره. وكتبت قبل ذلك قد أرسلت ٣٠ خيالاً إلى الميمنة ومتهم إلى الميسرة. وفي هذه الآونة، بدأنا نسمع دوي المدافع وأصوات الطلقات في جبهة ميسلون، وأثناء ذلك وصلتى تقرير من الملازم ذهني الدهني الذي كان على الميسرة أنه شاهد رتلًا طويلةًا من الخيالة يسير متفاهاً على جناحنا الأيسر، فذهب سريعاً إلى الميسرة وصعدت بهحصاني إلى تل صغير فشاهد رتل العدو الخيال فطلب إلى قائد الخيالة النظامية (عزت الساطي) الذي كان قد وصل مع رشاشين و٥٠ خيالاً أن يرمي بشاشاته الرتل فرماه واجبره على الاعتداء بين المنخفضات وعلمت أن خيالة الآهلين قد فروا جميعهم منذ الطلقة الأولى ولم يبق منهم أحد. وعُدِدت إلى المرتفعات التي تقاتل فيها الهجارة. وفي نحو الساعة الثامنة جاعني تقرير ثان من الميسرة يعلمني أن خيالة العدو عادت للظهور مرة ثانية، ولكن على مسافة أبعد. فقدت إلى الميسرة لأرى أن قسمًا من خيالة العدو متوجه نحو استقامة قرية دير العشائر فقدرت أنهم يقصدون قطع خط الرجفة علينا وعلى قطعاننا في ميسلون. ولعله أنه لم يكن في مدخل وادي ميسلون في جبهة دير العشائر قوة لحمايته. أمرت الملازم سعيد عمون أن يأخذ نصف عدد خياليتنا نحو (٥٠) وعُرد إلى خان
ميسلون (في غرب النبع) ويشغل المرتفعات على مدخل ذلك الوادي. وفي هذه الأوقات ازداد تأثير قنابل المدافع والطائرات الموجهة إليها. وفي الساعة التاسعة والنصف وصلني تقرير من سعيد عمون أن القوات الراكبة تدعمها المشاة تقترن من مرتفعات دير العشائر، فقدرت أن الخمسة والسبعين بندقية التي مع سعيد عمون سوف لا يتمكن من منعهم من قطع خط رجعتنا فاقتربت على مرزوق التخيمي أن ينسحب مع هيجانه ليأخذ موضعًا على يسار المرتفعات التي يشغله سعيد عمون ليسد عليهم الوادي، عن أنتي سالتحق بهم مع من تبقى معي بعد وصولهم إليها على أن يسحب في البداية نصف قوته ويعود نصف ساعة القسم الآخر. فأمر معاونه أن ينسحب مع ثلاثة سرايا (كل سراية 75 هجاناً تقريباً) إلى الموضع الذي عينته على أن يبقى مرزوق مع القسم الثاني. ولكن الذي حصل أنه ما كاد يصدر لهم الأمر بالانسحاب حتى قاموا جميعهم وانسحبوا مرة واحدة وفقدت السيطرة عليهم بسبب أن طائرتين كانتا قد اكتشفتا مكان الهجنة فوجهتا قنابلها عليهم فاختلطت بعضها وعلا صراخ أصحابها وأصبح أمرهم فوضي وجرفوا معهم الخمسة وعشرين خيالاً نظائماً مع رشاشاتهم. وقعت مع الخيالة الذين معنا (75 تقريباً) فأخذنا موضع على تلول تبعد قليلاً عن مدخل الوادي الذي كانت عليه. وأثناء انسحاب الهجنة كما نشاهد اهالي قرية حلو وهم يرمون جنودنا المنسحبين من فوق التلال التي في أسفل قريتهم.

وفي هذا الموقف قدرت أن الهجنة قد خرجوا عن سيطرة قادتهم و местهم التي أصبحت تشكل هدفاً كبيراً للطائرات المستمرة بحضورها لا يمكن ضبطها وسوف يستمرون بالانسحاب وأنه لم يبق فائدة من بقائنا في هذا الموقع ومن الضروري أن ننسحب إلى الموقع الذي أرسلت إليه عمون
محاولة سد الوادي بوجه الفرنسيين. ولكن قرية حلوة المسيطرة على طريقنا أصبحت تشكل خطراً علينا فقررنا مغامرة أمرها أولاً. وفي الساعة العاشرة جمعت الجنود وتقدمنا راكبين من خلال منصات القلول ومباشرتها حتى إذا أصبحنا على مسافة قريبة من قرية حلوة ترجلنا بعد أن شركنا خليتنا مع ماسكينا وتوجهنا إلى القرية المذكورة فقابلنا بالرسلاد ولكننا نقلنا عليهم فانهزموا ووصلنا القرية فاستقبلنا من كان فيها من شيوخ ونساء، وأما الشبان المسلحين فقد كانوا مختلفين واجل جلب عطفنا عرضوا أما من قتائين وقعا من طلقائنا فقبضنا على رجال منهم فكبلناهم بالحبال وسقناهم أما لنا بعد أن أدررت أهالي القرية بأننا سبقت لهما إن سمعنا طلقة واحدة تطلق علينا من قريبتهم أو من جوارها.

وفي حوالي الساعة الحادية عشرة وصلنا إلى المرتفعات التي كان عليها الملازم سعيد وكانوا صامدين في مواقعهم وعلم أن الهجارة استمرت بانسحابهم ولم يبق لهم أثر، وكانت المعركة في عقبة الطين قد ضعفت ومدفعيتها لم يعد يسمح لها صوب وطلقات مدافع الفرنسيين تقع على عين ميسلون وخلفها وأصبح واضحًأ أن المعركة انتهت وأن قطعنا بحالة انسحاب. فقدرت أنه لم يعد بإمكاننا أن نمنع استيلاء العدو على ميسلون وتبديل موقفنا وأصبحنا حماية انسحاب قطعنا المتراجعة في داخل وادي ميسلون، فإن العدو استولى على أكثر المرتفعات عقبة الطين، وبعد قليل سوف يصل إلى المرتفعات المطلة على العين والمسيطرة على الوادي فقررنا أن نسلق القمة الشرقية للوادي (هي القمة التي فوق مقبرة الشهداء) والسيدة من فوقها على جميع الوادي وما سيطر عليه من تلال. فأدررت سعيد عون أن يبقى معن من كان معه في الموضع الذي هو فيها بعد أن أخبرته بالعمل الذي ساقم به وانتهى سوف
استمر بثبات حماية ما تبقى من الجنود المسلمين من أهل القمة وسوف أواكب تراجعهم على طول امتداد الوادي، وبعد ذلك أصبح كمؤخرة لهم، وطلب للسيد أن يبقى في مكانه ليمنع تقدم الفرنسيين كما يفعل الآن ولم يمنعهم ضيقاً عليه أن ينسحب من خلف القمة التي سترتقى نحن ويلتقي معنا في ملقية سهل الديماس في المرتفعات. وعندما وصلنا إلى رأس القمة شاهدنا الفرنسيين وقد وصلوا إلى مرتفعات عقبة الطين، وقطعتنا لم يبق منها في الوادي سوى سرية الحرس الملكي التي كانت قد اجتازت الوادي وأصبحت بالقرب من قرية الديماس. وكان الفرنسيون بطيئين ومتجمرين في تقدمهم وكانت طلقنا يلدأ تأثيرها على طول امتداد الوادي والطريق المشرف عليه، وانقطعت نيران الدفعية عنها ولم يبق سوى الطائرات الحربية التي كانت تلقى بعض القنابل الصغيرة وبعض الصواريخ من رشاشاتها ولكن دون ثائر ودون أن تعصب لها حسباً. وبقينا ننسحب على طول الهضاب الممتدة إلى غرب طريق دمشق - بيروت إلى أن وصلنا في نحو الساعة الثانية إلى الهضبة التي تشرف على الصحراء فاجتمعنا وجلستنا لنتأخذ قسطاً من الراحة متظريين وصول باقي إخواننا مع سعيد عثمان. لقد أصبح الطريق إلى دمشق خالياً وكان آخر من مرته سرية الحرس الملكي مع قائدها الفقيح محمد علي العجلوني وبيقيت هذه السرية محافظاً على نظامها وضبطها. علمنا أن جميع أفرادنا من اليمنيين وقد كانوا في جيش الثورة مجموعين أيضاً في سرية واحدة تسمى (سرية اليمنيين) يوم من أشجع وأطعو ما رأيت من الجنود.

وبعد نصف ساعة من الانتظار قررت الاستمرار في المسيرة ثمانيات مني أن عصور ربما يكون قد سبقنا. كما قررت أن لا أتبع الطريق العام وخلقت أن أدخل منه إلى دمشق بهذه الصورة.
فقرت أن أتوجه من داخل الصحراة نحو تلول المزة ومنها إلى دمشق. وفي منتصف الصحراة شاهدنا عن بعد طائرة جائزة على الأرض، فلما وصلنا إليها وجدناها فرنسية خالية من طياريها فحاولنا أحرقها فلم تمكننا الرياح التي كانت تفتد أواء النتاك فتركناها ونحن نشاهد على بعد نحو كيلومترتين إلى يسارنا ريش خيالة العدو يتقدم نحو استقامة قطنا.

وصلنا إلى المرتفع المشرف على قرية المزة وهناك جمعت كل من معي من ضباط وجند وقلت لهم إننا نجهل الآن ما سوف يكون عليه قصر البلد، ولذلك يجب أن نأخذ أمرنا بالناتي فلا نتحرك بسرعة قبل أن نتحقق من الموقف، وارى أن نقتسم إلى فئتين الأول الدروز ومن يريد أن يرافقهم يذهبون إلى قرية حماين في الغوطة والقسم الآخر الأكراد ومن يريد أن يرافقهم يذهبون إلى حي الأكراد في حي الصالحية، وهناك تنتظرنا منا خبراً إذا أن تعود حكومتنا فندب أمورنا عليها وإما أن تزل الحكمة ويكون هناك عمل منظوراً ينفعه أن نفعله ذلك مما لا نعلم. وهكذا توجه كل قسم في اتجاهه وحبيت معني فقط الملازم زهني الدهني، ونزلنا من القمة التي كنت فيها ومثلنا من قرية المزة وناوصلنا إلى قرب الدار التي كان يسكنها الأمير زيد شاهدنا من بعد أمام الدار جمعناً كبيراً وكلما اقتربنا كانت تتجمع لنا وجهة الأشخاص إنهم الملك فيصل، الأمير زيد، الشريف ناصر الشريف جميل، الدكتور أحمد قدري، جعفر العسكري، حسين قدري، راسم سريست، الأمير عادل أرسلان، رستم حيدر، عبد الله الدليمي، صبحي الخضر، فؤاد سليم، علي جوبر اليويبي وغيرهم نحو خمسين رجلاً وخيل وعدة سيارات ركوب. وكان الجميع مسلمين أنظارهم إلينا. ولا اقتربنا أكثر سمعت الأمير زيد يقول للملك هذا صبحي وما وصلت ترجلت وربطت حصانتي في حديد شباك.
الغرفة التي على الطريق وتقدمت من الملك حبيبته بالتحية العسكرية. فرد التحية بإشارة خفيفة وكان واجماً فساني الأمير زيد من أين أنت أياً؟ قلت من مسلاون (ويظهر من سؤاله أنهم كانوا متعجبين من محجبي من هذا الطريق) فساني ما هي آخر الأخبار، أجبته أنهنا أنا أخيراً المتسابقين فلم يبق هناك أحد فجميعهم انسحبوا، وكان جميع المواقفين يصغون إلى كلامي باهتام، وما كدت انتهي حتى افتحت فيصل إلى سائق سيارته الذي كان قريبًا منه وأشار إليه فشغل السيارة وتقدم بها إليه واقترح مراقبة تحسين قدرية فتحة الباب داخلها واستعداد تحسين وركب بجانب السائق دون أن يتبث بكلمة لا هو ولا أحد من الحاضرين. وسارت السيارة نحو الغرب، فالتقت إلى الأمير زيد وقال لي: هيا أسرع وسر خلف السيارة بينما نحق بكم ولكني أشتر لى إلهاً حصاني المربوط وقد تباعدت قوامه وخفيض رأسه يكاد أن يهوي إلى الأرض، فلاحظ أنّه لا يمكن ركوبه (ركنه قد مر عليه من يربع وعشرون ساعة دون راحة ودون طعام) فأوما الأمير إلى أحد رجاله وكان ممسك بفرس من جنس (انكلو عربي) كان قد استقدمها الأمير من الهند، فقدنها إيه فامتيتها برسمة وسرت بها نحو الاستقامة التي سار بها الملك، وعندما أصبحت خارج القرية شاهدت السيارة بجانب طريق حواكير الصيارة المتجه إلى قرية دارياً، ولة رآني الملك هكذا مسرعاً أمر بتفخيف سرعة السيارة وهكذا كنت أسير خلفها، وبعد قليل شاهدنا خيالًا شاهراً بتدقيق يتسود الطريق وهو ينظر إلى السيارة وقفت السيارة ونظر إلى الملك من الشباك الخلفي فتقدمت من الرجل وسأله لماذا أنت واقف هكذا فسأني بدوره بغضب وانت مالك وسأله فاسرع من لمح البصر وجهت إليه بندقيتي وقالت له أخفض بندقيك ولا تلفظ بكلمة فستكون آخر كلماتك وكانت كلماتي وأنا في هذا الوضع اليائس شديدة وحازمة لا تقبل
التردد، فخفق الرجل فخفض بندقته واستدار وساق حرسه فقلت له: "هذا سائر إياه، إن تلقت فإن يعنيك وموتك سيكونان واحداً، وهكذا ابتعد فأشرت إلى السيارة فاستمرت بسیرها واما حرد من أمامي رأيت، فيصل قد ارست على شفتيه ابتسامة خفيفة لا تزيد كثيراً من الدهر، حتى يكشف منها الإنسان، إنها ابتسامة فيها خيط رقيق من الراضا والكثير من الألم، واستدارت السيارة إلى اليسار على طريق قرية داريما وما كدها نقطع مائتي متر حتى شاهدت السيارات مقابلة نحنها، وكنا وصلنا إلى تحت مجموعة من أشجار الجوز فوقفنا تحتها، ووصلت السيارات متلاحقة فأول لها وصلت سيارة الأمير زيد ثم الشريف ناصر والشريف جميل وغيرها وكانت كل واحدة منها ملاقاة بالرجال بذكر من حمولتها وتقلل من في السيارات مثلثين حول الملك، ولم أعد أعلم ماذا جرى بعد ذلك، إلا أنني وعمت على نفسي وأنا في مدخل محطة الكسوة فشاهدت بجانب الطريق سيارة كميين تشتعل فيها صغيرة بنزين، وعلمت فيما بعد أنه بعد وصولنا إلى شجرات الجوز والتحاق السيارات لم يبق لي قدرة على التحمل بعد ذلك الجهد الطويل وسريع خلف السيارة هذه المسافة الطويلة فسقطن من على الفرس مغماً على وصولوني بإحدى السيارات حتى وصلنا إلى محطة الكسوة.

وهكذا الدهر دخل دمشق ويرفقته جيش كبير وخمسة آلاف قارس تستقبله البلد بالازهار والرياحين وزغارات النساء ودمع الفرح، وهكذا خرج من دمشق وليس معه سوى مراقبه تحسن قدره وكابن هذه الأطر.

وكان الملك قبل مبارحته دمشق إلى الكسوة قد أخبر مجلس الوزراء بقراره وطلب إليهم بمواقفته إليها. وتوجهوا إليها بقطار خاص يراقبهم عدد كبير من العاملين في القضية الوطنية.
勋章和军衔。其中，一位是法国外长，另一位是驻外使节。在内政方面，总统与内阁成员的立场分歧也导致了政府的不稳。总统的做法引起了国内和国际社会的担忧。总统的政策被认为是过于强硬，与法国的国际形象不符。

在外交方面，法国政府继续坚持其在中东地区的重要角色。法国在中东问题上的立场一直备受关注。法国政府希望通过其在中东的问题上的影响力，来推动中东地区的和平进程。法国还一直在努力推动中东地区国家之间的对话，以期解决地区争端。

总的来说，法国政府在内政和外交方面都面临着诸多挑战。法国政府需要在维护国家利益的同时，也要考虑到国内民众的诉求。法国政府还需要在国际舞台上，以更加智慧和灵活的方式，来应对各种挑战。
بعد أن ترك عاصمة ملكه وأوصى ممثل إيطاليا السيد الجابري أن يعود الملك إلى دمشق ليحبط هذه المؤامرة وليكون اخراجه من قبل الفرنسيين بالقوة.

وتجاه هذه الأخبار بدأ الملك باستشاراته للحاضرين يسألهم رأيهم بالحل المناسب. فانقسم الراي إلى قسمين منهم من كان يشيع بالعودة إلى العاصمة وأن يسعى لحل المسألة حلاً سياسياً بدأعي أن جلالته قبل شروط الفرنسيين ولم يعلن عليهم حرباً وأنه ملك البلاد الشرعى وليس يخشى أن تساء معاملته. وكان القائلون بهذا الراي أكثرهم مدنيين ومن سوريا الداخلية. أمام العراقيين والفلسطينيين وجماعات المنطقة القريبة من مدنيين وضباط فكانوا يرون أن يظل جلالته مرابطنا في الكسوة وأن بعيد عهد الثورة العربية بأن يرهق الفرنسيين بحروب عصابات ينويون بعبثها. وكان جلالته في البداية يميل إلى الراي الثاني خصوصاً وقد وافق قاطر من شرقي الأردن فيه عدد كبير من مشايخ العشائر والوجوه حضروا كمقدمة للنجهة التي كانت ستتأتي للاشتراك بحرب الفرنسيين وقد وصلوا متأنرين. وقد أعرب عن رأيه هذا بقوله أنه يفضل أن يموت جندياً شريفاً على أن يعيش ملكاً ذليلاً. وفي هذه الأثناء وصل الكسوة نوري السعيد وأعلن انضمامه إلى القائلين بالراي الثاني في إثارة حرب عصابات يكون مسرحها حوران وجبيل الدروز لأنه أصبح يعتقد أن التوسط السلمي والطرق السياسية لا تجدي نفعاً مع الفرنسيين.

ومع أن الراي الثاني كان هو رأي الكثرة، ومع أن جلالته كان أميل إليه فيظهر أن الأخبار التي جاءها بها حسان الجابري من القنصل الإيطالي أثرت به فارتى اللجوء إلى الوسائل السلمية في معالجة الأمور. ورأى أن أول ما يجب عمله في الحل السياسي هو تأليف وزارة تتناول رضى الفرنسيين. وما كان يعرف
اُنهم يعتبرون على علاء الدين الدروبي فقد أرسل إليه مرسمًا بتالفية وزارة جديدة مرفقة بائتمًا تحتوي إسماء الوزارات موصوفة على بياء لينقوم بإملائها هو بالأشخاص الذين يختارهم.

وهيذا قبل الملك العودة إلى دمشق بالقطار نفسه الذي جاءت به الوزارة. وقبل الحركة استدعى الأمير زيد فؤاد سليم وصبيحي الخضراء كتابه هذه الأسرة وأبلغنا قرار العودة وطلب إليانا ان تقوم بمجرد دخولنا دمشق بالاختفاء في مكان آمن لاننا كتا مطلوبين من قبل الفرنسيين بسبب اشتغالنا بالعصابات على ان نخبره بالأمكنة التي سنتخب فيها ليتصل بنا عند الحاجة.

وأن هذا الترتيب مؤقت إلى ان يتبجح المتوقف. فشكرنا لسموكم وضع رجالنا الذين أرسلتهم إلى قرية جيرمانا وحي الأكراد وبيانهم ينتظرون أميرك هذا وروجوا أن يعفيون من العودة إلى دمشق ويسمح في أن ينحاز بهم. فإذا لم تسر الأمور كما يجب فيه أمامنا مجال للمقاومة على طريقة من الطرق ورجاء صبيحي فؤاد سليم أن يسمع لهما بالذهاب إلى فلسطين حتى يتم حورا للغة الملك فواعد صبيحي الخضراء من فلسطين وفؤاد نسيبه فاستشار سمو جلالته الملك فوافق على ذبحهما إلى فلسطين على أن يلتحقو به اذا علموا بوصوله إلى حورا(1) وابن لآ أرفاقهم بالعودة إلى دمشق فانصت للأمر.

وبعد ظهر ذلك اليوم 27 تموز عدنا بالقطار، وبوصولنا لمحطة القنوات ذهبت توأ لبيت شقيقتي حيث أختبأت وجامي أخي عمر فاختبره عن ضياع سعيد عمرو وطلب إلى التحري عنه. ولم يطل غيابه حتى عاد ومعه سعيد قتعانقة وكان فرحي به

(1) يظهر أن جلالته كان ينتظر أن يخرج الفرنسيين من دمشق ولكنه قبل العمل بصيحة القنصل الإيطالي، أن يخرج بالقرية بناء أن يخرج كشار من ميدان

المركة
غزيلماً جداً. وكان تستكين مع سعيد في دار واحدة في حي عرنسا فلما تخلص من الأسر وتوجه للبيت وجدته أخي يقريه.

وحدثنا سعيد عن الذي وقع له فقال: بعد أن تركتمنا في المواقع التي ندافع فيها تقدم الفرسان واحتلوا الهضاب التي عل بسارنا والتي انسحب منه الهجاء فاصبحنا تحت خطر التROWفي قآرت الجنود بالانسحاب إلى الهضاب التي خلفنا والتي أمرتنا بالانسحاب إليها للإلتئام بكم وما كننا نخطو الخطوة الأولى وقبل أن ترك المواقع التي نحن فيها حتى اسرعت كوكبة من خيالة العدو فدخلت بيننا وبينكم وأصبحنا مطوقين. ولهامالت حمصاني جهل بي صوخت على الأرض واغمي على، فما شعرت بنفسي إلا وأنا بين الجند السنافر. وبين بعض الفرنسيين وهم يقومون بقتل من وقروا باأسهم من الجنى والصعوبين وقد قتلوا جميع من وجدواهم بأبسة مدنية وأجهزوا على الجرحى وقد حاولوا قتلني ولكن شعري الأشقر曰ون بشري البيضاء وتكلمي معهم بالفرنسية جعلهم يظنون أنني من اعوانهم كما يبدو. وله فهدت هذه الفرصة جمعوا من تبقى من الجنود وأنا معهم وسافرنا خلف الجيش إلى دمشق وصلمنا إلى قيادة الموقع في شارع النصر وكان معاه قائد الموقع المباشد الشهيد شوكت العتادى. فبعد أن استعنا منفسنا على مسؤوليته فذهب كل منا في حال سبيله. فلما جئت إلى البيت لم أجد فيه أحداً صرت اجول بأطرافه فشاهدت عمر وهو يفيض غني.

وفي مساء يوم 27 تموز أي في اليوم نفسه الذي عدنا فيه إلى دمشق سلم الكولونيل تولا إلى جلال الملك الكتاب التالي:

اتشرف بإبلاغكم قرار حكومة الجمهورية الفرنسية بأنها ترجو منكم أن تعودوا دمشق بسرع ما يستطيع بسكة جديد
الحجاز مع عائلتكم وحاشيتكم وسيكون تحت تصرف سموكم.
والذين معكم قطار خاص يتحرك من محطة الحجاز غداً في ٢٨
تمر في الساعة الخامسة صباحاً.
فرد جلال الملك على هذا الكتاب ببرقيته احتجاج مطولة للجنرال
غورو جاء فيها أنه لا يعرف للحكومة الفرنسية بحق نزع
انخفاض منحه له مؤتمر الصلح رسمياً لإدارة المنطقة
الشرقية ونزع اللقب الذي منحه إياه الشعب وأن هذا
الإجراء يخالف جميع المعايير والاتفاقيات والقرارات التي
سبقته. وسلم نص هذا الاحتجاج إلى جميع قنوات الدول في
دمشق إلا أنه لم يكن بد من تنفيذ هذا الحكم ولو كان جائزاً.
وفي مساء ٢٨ منه أرسل سمو الأمير بطلبي فهد الت وبرقته
سعيد عمون فكان سروره وسور جلالته به عظيمًا بعدما كنا
نحن باست chàngاده. فأمرنا أن نتهيَ السفر في القطار في الساعة
الخامسة من صباح الغد. وفي تلك الليلة ارسلت خبراً لرفاقها
في الأكراد بسفرنا وبيانهم أحزار بتصرفاتهم ويائسني
ساهملي بهم إذا حصل ما يوجب ذلك وطلب إليهم أن يرسلوا
بذلك علمًا لأنحنينا الذين في قري جرماناً.
وفي الساعة المبينة كنا سعيد ونا في اللحظة وكانت تعم
باحاشية الملك وبعض المودعين ومن تبقى من جنود الهجانية
الذين نفقت إبلهم في المعركة. أما من بقيت إبلهم سليمة فقد
أرسلوها إلى ديرة على الطريق. وكان بصحبة الملك عدا إخوته
الأمير زيد وحاشيته جعفر العسكري ونوري السعيد وسكرته
الخاص عزى عبد الهادي ورئيس امانته إحسان الجابري
ومراقبه الخاص تحسين قدري وطيبه الخاص أحمد قدري
والأمير عادل أرسلان وسعيد عمون وكاتب هذه الأسطر. ولم
يستطيع من وزرائه سوى ساطع المصري وكان في وداعه في
المحطة عدد قليل من المواطنين.
أما ما حصل في حمص وحلب: فالفرنسيون كانوا قد خصصوا قوات للاستيلاء على كل منهما كما ذكرنا، وأثناء عمليات قواتهم الرئيسية في التقدم إلى دمشق، كانت كل من هاتين القوتين تنتمي للاستيلاء على هدفها.

في حمص:

كانت القوة التي في حمص نحو فوج مشاة ويطارية مدفعة بقيادة الزعيم زكي العظمة وقد وصله أمر التسريع متأخرًا حيث أعقبه أمر عدم التسريع والاستعداد لجبهة الفرنسيين إذا ما تقدموا نحو حمص. وعندما علم القائد بتقدم القوة الفرنسية المحتشدة في منطقة تل كلف جمع قواته لقابلههم وتقدم على الطريق المتجه إلى تل كلف وحلق به عدد من الأتراك المسلمين الذين دفعتهم الفكرة الوطنية وعدد من خيالة الدناشيد وعدد كبير من العشائر البدوية برئاسة الشيخ ابن ملال. وخرجت هذه القوة من حمص وعلى رأسها قائد موقع حمص الزعيم العظمة: المشاية ثم الدفعية ثم الأتراك المتطوعة، وفي المؤخرة البدو بقيادة ابن ملال. أما خيالة الدناشيد فكانوا في مقدمة الجيش. وفي المساء بات الجنود في موقع متوسط بين حمص وتل كلف، دون أن تكون لدى القائد فكرة تهيئة موضع دفاع. وفي صباح اليوم التالي تقدموا على الطريق باستقامة تل كلف، ولم يمر وقت كثير حتى شاهدوا طبيعة الجيش الفرنسي تتقدم، ففتحت الدفعية نيرانها عليهم دون أن تكون هناك خطة مببحة كان القصد هو إطلاق مدافع، ونفدت القذائف القليلة وبنفادها انتهت واجبات جميع الجيش وبدأت

(6) حصلت على هذه المعلومات من السيد عدنان الآتي، وهو من عاشرا هذه الأحداث وشاهدوها وهو ابن رئيس الجمهورية هاشم الآتي وكان وزيراً مفوضاً لسوريا في باريس ثم نائباً عن حمص وأحد أبرز أعضاء حزب الشعب.
التراجع غير المنتظم، وبطبيعة الحال جرف معه المطوفة من أهالي حمص والدنانير. وهكذا انتقلت هذا التراجع إلى مزيمة.
والنا بنا بابيات البدو. إن عقوبة الهزيمة بعرف البدو (في كل وقت وزمان وظروف ومكان) هي السبب، يجب عليهم أن يسلبوا جميع المنهاجرين، فلم يدعوا احداً يقلت من أيديهم.
وعند العصر وصلت سرية خيالة فرنسية بقيادة كابتن وهي السرية التي كانت في مقدمة الجيش الفرنسي. وقد شاهدوها وهي تتقدم في الشارع الرئيسي وقامتها قائدها الكابتن شاهراً سيفه ويسير بجانث حصانه على قدميه قائد موقع حمص الزعيم العظماء. إن هذا الكابتن لم يطلب قائد الموقع ولا فشقا عنه وكان بإمكانه أن يغرب عن الانتظار أو ينسحب إلى خارج البلدة، ولكنه حضر حسب تفكيكه أجل أن يسلمه ما في عهادته من مكثة ومهماته كي لا يكون مسؤولاً عنها في المستقبل.
وبهذه الصورة المخزية دخل الفرنسيون حمص دون قتال.

في حلب

فقد حدثني عما وقع فيها مساعد لواء الفتح وهو الملازم الأول شمس الدين علي (و فيما بعد الزيعيم قائد المخابرات العسكرية في الجيش العراقي) لواء الفتح هذا هو من الهجندان والذي قاتل الجيش التركي في حوران واشترك في هزيمته فدخل دمشق في أعقابه ثم قام بمطاردته حتى وقوع الهدنة في شمال حلب. وبعد الهدنة تحوّل إلى لواء خيالة وسمي بلواء الفتح وكان قائد العقيد تحسين علي (وزير دفاع في الجيش العراقي فيما بعد) وكان معناه الرائد الركن بكرا صدقي (الفريق قائد الفرقة ثم وزير الدفاع وهو صاحب الانقلاب العسكري الأول في العراق سنة 1936).
يقول محدثي أنه عندما وصلت أوامر تسيير الجيش وجرى التسيير تلكا قاد اللواء بذلك ولم ينفذ الأمر. ولما صدر أمر الغائه والتهيؤ للحرب كان أمر التسيير في قطعات الفرقة قد نفذ ولم يبق سوى هذا اللواء وبطارية المدفعية الملحة به قبل أمر التسيير. وكان اللواء معكسر الأ المرأة في المدينة. واتصل قائده برؤساء عشائر البدو التي كانت تتجمع وبدأ بتهيئة الخطة الدفاعية تجاه القطعات الفرنسية التي كانت تتقدم نحو حلب.
وفي هذا الوقت الذي لم يبق فيه قطعة من وحدات الفرقة النظامية سالما قام العملاء الخونة الذين باؤوا أنفسهم إلى الأعداء بما عهد به إليهم فنشطوا في اذاعة البلد وروح الهزيمة بين الضباط والجنود وأشاعوا أن قائد اللواء ومعاونه ويбли ضباط العراقيين لا يهمهم أمر سوريا واتهم سيسبيكون بقتلهم الفرنسيين في ضرل البلاد التي لا يهمهم أمرها وينسحبون إلى بلادهم. وفعلت هذه الدعاية فعلا في ضعف النفس فخرجوا عزائهم وبدأوا بمغادرة المعركة حتى وصل الأمر ببعض الضباط من هؤلاء أن أعلن رأيه وترشده وذكر لي محدثي أسماء الآخرين منهم قائد سرية الرشاش سعد الله الذي كان معاوني قبل أن انتقل إلى دمشق وهو الضابط الذي اعترف لي بهيمنته بعد سنوات كما مر. والضابط الثاني اسمه الملازم ملك. وهمداً بقي الضباط العراقيين وحدهم في اللواء فاصطحبوا عائلاتهم وتوجهوا إلى دير الزور ومنها إلى الموصل في بغداد وتفرقوا المشاعر ودخل الجيش الفرنسي حلب بلا قتال.
مغادرة دمشق

كم كان شعورنا مؤلمًا ونحن نبارح دمشق التي دخلناها قبل سنتين بفرحة الفتح والتحرير ونتركها الآن وقد غمرت نفوسنا خيبة الأمل وذل الانكسار. كنا نشاهد بهذه الساعه الألهمة النيران التاججة من ثاحبة سوق الحميدية وكان دمشق التي استقبلتنا قبل نحو سنتين بئرة الحرائق التي أشعلها الأتراك في القدم قبل مبارحتهم لها ابتداءً إلا أن تودعنا بئرة الحمرة تتأجج في قلبها (بريق سوق الحميدية) وصفر القطار ومشي وكان صغيرة آهات وحسرات.

وصل القطار إلى درعا وتوقف في محطتها، وكانت درعا مركزًا للفرقة الثالثة وقائدها العقيد اسماعييل الصفار وهو عراقي وكان معنا في القطار ثلاث شاهدات بنزين عائدة لسيارات الملك التي أصطحبها معه فتقرر أن يرتدي في مستودعات البترول التي كانت في المحطة تحت حراسة الجيش وعدها صفيفة. اتخذ الملك القطار مرحلة للمائة ونصف في مواجهته خيمة كبيرة للاستقبال وبدأ مشاهير حوران يحضرون للسلام عليه. وفي اليوم التالي أي في 29 تموز جاءت مليارات فرنسية تزعم قوة درعا وتلقى مناشدات عدة الحورانية وتحركهم على طرد فصيل، وفي اليوم نفسه جاءت برقية من رئيس الحكومة السورية علاء الدين الدروبي إلى منصرف حوران
يطلب إليه فيها تبليغ الملك أن الفرنسيين يطلبون إليه مساعدته
درعا إلى الحجاز. وقبل ذلك كان زعماء الحوارنة قد أبلغوا الملك
أنهم سيكونون إلى جانب إن هو من منع أن الانكليز سيدعون
حركتهم ولا فإنه ليس بمقدورهم الوقوف بجانبه، وأمام هذه
الأحوال لم يبق أمام فصيل سوى طريقين عليه اتباع
أحداهما. إما أن يعود إلى الحجاز وينفض يديه من جميع ما
قامة به من أعمال ويعود إلى أول الطريق الذي بدأ منه سيره في
بداية الثورة أو أن يذهب إلى أوروبا لإكمال ما شرع به من عمل
للموصول إلى ما لم يتمكن الوصول إليه بالحرب. وهاذا قرر
الطريق الثاني وتوجه إلى حيفا.

وفي عصر 31 تموز أرسل جلالته الملك يطلبني فدهبته إليه في
صالونه في القطار وكان يقف بجانبه أحد الأمير زيد، قال لي
الأمير أن قائد الفرقة رفض أن يعيد إليهما البنزين بحجة أنه
 أصبح ملكاً للحكومة وأنه لم يبق لنا صفعة تخوينا اخذه وله
 مصرٌ على ذلك فاذدها ورغمه على تسليمها ولم بالقوة وكان
الأمير يتكلم بتأثر والملك متجمهم متالم، فأتت أكثر منهما ثم
قال الأمير إن مشايخ عقيل هناك وقد أمرهم أن يتبعوا
أوامرهم، نزلت من الصالون حيث كان أمراء سرايا عقيل
مجتمعين بجانب خيمة الأمير بنتروشونة. قلت لهم إين
جماعتهم قالوا حاضرين. وفي الحقيقة شاهدت هم متجميعين
وكانوا نحو (300) قريبين منا قلت لهم انتظرنا هنا في مكانكم.
وذهبت إلى مقر الفرقة وكان في بركة كبيرة منا فانتهينا بقائد
الفرقة وقلت له جئت لاستلم البنزين العائد للملك. قال هذا
البنزين عائد للحكومة، قلت له بل هو عائد للملك ونحن جئنا به
إلى هنا والملك أمرني أن استلمه. قال، أنا لا أرتفع بالملك قلت
له ولكنني أنا أرتفع وستطيع أمره فانقفت من مكانه وقال
اتهددني قلت له الأحسن يا سيدي أن تسلمنا البنزين دون

194
ارقة دماء الفلسفة خرجت عن كونها مسألة بنزين وصارت مسألة كرامة، فانّا سأخذ البنزين حتماً إما باليماي هي احسن أو بالدم. فتوقف قليلًا يحذبني بنظارات فاحصة ثم قال: "طيب روح اعمل يلي تقدر عليه، فحينما خرجت، وسمعته وأنا أخرج يسال أحدهم من هذا؟ أخبرني فيما بعد أحد أصدقائي من الضباط الذين كانوا حاضرين ان أحدهم قال له: هذا فلان وهو من رؤوس العصابات الخطرين وإذا قال فعل ولا بد انه يعتمد على هؤلاء الهجامة وكتب متجها نحو مستودع المروقات وقد قررت أن اطلب تسليمهما من قبل امر الحرس عساني اتفقنا قبل ان تحضر استعمال السلاح فسمعت من خليفة قاضد الفرقة بالذات ينادي بابسي وهو خارج البراكية فعدت إليه فقال لي: أرجو أن تكفينا شرك وتشترك هذه المسألة فأجنبته وأنا أرجو يا سيدي ان تحمل الدماء فإله لا أرجع حتى أسلم البنزين وكتب قد شعرته منه الضعف فأتت أن ازدان في ضعفه بمزيد من القوة، دعاني إلى داخل البراكية وقال: انت مصري قلت: نعم، قال انك تطعنني وصلباً بالاستلام. فقال: أعلم وكبت له وصلباً وأعطى الأمر بالتسليم. وعدت إلى الملك كان عندنا الأمير وجعله جندي ونورى السيد خابره بما فعلت فظهر المرور على وجهه وابتسم وقال: بارك الله فيه وحسنًا تصرفت وأمر الهجامة بنقل البنزين إلى الشاحنات.

وأسمعت الصفار عاد فيما بعد إلى العراق ولكنه لم يقبل في الجيش ولا في الوظائف المدنية وكان هذا التصرف الشائع الذي قام به لكان له في الجيش العراقي مركز حسن.

---

(1) وقد علّم فيما بعد بأن الفرنسيين حكّموا في المحكمة العسكرية بالسجن المؤبد ويقتسمون خمسة آلاف جنيه عن الس ربعين بنزين وطلعوا هذا الحكم على باب دائرة الحكومة في دمشق.
وفى حركة الأمير من درعا تقرر أن يتوجه الشريف محمد علي
البدوى مع الهجاتة إلى شرقي الأردن، وتوجهوا إليها فعلًا.

وفي اليوم التالي في 1 آب 1926 تحرك بينا القطار من درعا
فوصينا حيفا في النهاية نفسه. وقد خُصص حاكم حيفا بيت
المم (نيوتن) لنزول الملك وأخيه وكانت هذه السيدة تعطف على
قضية العرب. وزرعت باقي الحاشية في أوتيل نصار وقد
اصبحت واحدة منهم. خلال وجودنا في حيفا توارد اليها بشتى
الوسائط الكثير من الذين بارحو دمشق خوفًا من أذي
الفرنسيين وهذه أسماء بعضهم:

الدكتور أحمد قدري، خالد الحكيم، محمود القاعود، يوسف
ياسين، الأمير عادل إرسالان، عمر شاكر، رياض الصلح، بهجت
الشهيبي، سعد الله الجابري، محمد علي الخيمي، نبيله
العثمان، سليم عبد الرحمن، جميل مردم، شكري الطباخ،
شكري القزحي، معين الملاشي، سعيد جيدر، سعيد عمون،
الشيخ كمال القصاب، توفيق الخيمي، خير الدين الزركلي،
صبحي الخضرية، ياسين ديب، عزت دروزه، عثمان قاسم، فؤاد
سليم، توفيق اليافجي، عبد القادر سكر، الشيخ عبد الحليم،
رشيد طلبع، عبد الحميد الشالجي، إسماعيل ناقم، عبد الله
الدليمي، راسم سرديت، صبحي نجيب وغيرهم.

وخلال وجودنا في حيفا كانت في كل يوم تصلنا أخبار أن
الفرنسيين بعد احتلالهم دمشق وحلب وباقى مدن سوريا
تدرجاً بدلاً باعتقال الأحرار من عراقيين وسوريين فهرب
البعض إلى فلسطين ومصر والبحار وشرق الأردن والعراق
وتركيا وقد ركزاً اهتمامهم على جمع العراقيين لما كان لهم من
نشاط في الحقل السياسي والعسكري. وساقتهم إلى جزيرة
أرواد وكان عددهم يبلغ نحو 150 معظمهم من الضباط. ومما
هو جدير بالذكر أن الفرنسيين خلال قيامهم بأعمال الإقتساد أثناء الحكم الفيصل كانوا يصنعون فكرة التفرقة بين السوريين والعراقيين بواسطة أذنابهم وجواسيسهم ومربيهم، وقد استفادوا من وجود عدد كبير من العراقيين في وظائف الدولة فصاروا يحمرون قلبي الوطن وقمعية النظر لنشر هذه الشائعات. ومع الأسف أن بعض العراقيين قد أثرت فيهم هذه المعاملة التي عوملوا بها من قبل الفرنسيين واعتبروا واعظتهم موجهة إليهم من السوريين. بينما السوريون كانوا أشد منهم أسفًا على ما وقع لهم وقد قضى العراقيون المعتقلون في أرواد بضعة أشهر إلى أن أصدر الانكليز العفو العام في العراق في سنة 1931 وعادوا إليها. ولم يكن لدى الملك حين مغادرته سوريا شيء يذكر من المال فائر لوالده يطلب إرسال شيء منه.

والتقرير الأخير يشير الملك إلى أوروبا ويلتقي جعفر العسكري إثني ساكون ضمن الحاشية التي سترافق جلالةه؛ وفي 17 منه عاد قبلة أن الحاشية اختصرت وشددت بعد قليل، ولذلك تقرر أن انتظر عودة الملك من أوروبا في القاهرة بعد الشريف ناصر وهكذا سافر جلالةه بتاريخ 18 آب إلى سويسرا عن طريق ايطاليا للاحقة القضية العربية وسافرت مع الشريف ناصر بالقطار يوم 21 آب من حيفا إلى القدس ومنها إلى القاهرة وكان معنا في القطار صبحي الخضراء وفؤاد سليم وسعيد عمود وغيرهم فنزلنا في أوتيل (جوردن هوس) وذهب سعيد لبيته والده، وهكذا انتهى العهد العربي الأول في سوريا.
إلى هنا، انتهينا من سرد الوقائع التي جرت خلال هذه الفترة من الحكم العربي في سوريا التي تعتبر بحق من أهم الفترة التي مررت بالإيام العربية، لأنها كانت نهاية للفشلاء وبداية لجهود استمر ربع قرن بلته الدموع وصبغته الدماء. وستحلل في هذا الفصل الختامي الأعمال التي قمنا بها والأخطاء التي ارتكبناها، والأعمال مهما كان نوعها حسنة كانت أو سيئة، موفقه كانت أو فاشلة لا بد لها من أشخاص قاموا بها، فنحن لا نقدس أولئك الأشخاص بذاتهم بل القصد أن نأخذ العبرة من أعمالهم لنضعها أمام أجيالنا المقبلة عسما تخطى ما وقعتنا فيه من أخطاء.

الحقيقة جوهرة تختفي بين أكوام من الأخطاء، والأيام مستمرة في سيرها لا تتوقف، ونمت الحياة يتبديل، ويت追い ونمت، فالله في أمرنا أن نتعظ بأخيالنا لنصلح أعمالنا واخلاصنا ونسعد سيرانا.

اكتب في هذا الجزء عن أحداث مر عليها أكثر من نصف قرن من الزمن وقد كنت في حينها لا أزال شاباً لم أتأكل العشرين من عمري ليس لي من العلم ما يتجاوز نطاق عمل العسكري الشاب ولم يكن في وسعنا أن نكتب أي عمل عسكري أو
سياسي أو اجتماعي قام به أحد أولئك الأشخاص المحترمين الذين سيأتي ذكرهم، أما الآن وقد تجاوزت السبعين فتعلمت خلال هذا النصف القرن الماضي ما لم يكن قد أتيح عمله إلا للقليلين ممن ساكنر أعمالهم، فخدماتي العسكرية التي تطورت عما كان بعلمه قد تجاوزت من بعدههم العشرين سنة أي ضمن سني خدمات أولئك العسكريين. إن الأحداث السياسية التي مرت خلال هذه الحقبة من الزمن تطورت وتتنوعت وتكشف الكثير من خفايا ما مر علينا منها، فعلمتنا ما لم يكن في علمهم وعلمنا وأتاحت لنا إمكانية تحليل الأمور واستجلاء الحقائق.

ما كانت بريطانيا حليفة العرب وصديقتهم اللدود تشعر بقرب انهيار الجيش التركي وإن الحرب على وجه الامتناء وحاجتها للعرب أوقفت أن تزول حتى بدأت بتهيئة الأمور لتطبيق خططها الاستعمارية المبكرة مع حليفتها فرنسا، فيباشر عملها بمجرد وصول جيشهما إلى دمشق وقبل أن تعلن الهدنة وتنتهي الحرب.

أول ما فعلته هو إيضاحها إلى لورنس أن يغادر البلاد العربية عائداً إلى انكلترا. لأن واجب لورنس في الخدمة قد انتهى وأن الأمور ستستمر بعد ذلك على طريق غير الطريق الذي وضع لورنس من أجله في ميدان الثورة العربية، فيجب في هذه الحالة أن يكون بعيداً عن هذا الطريق الجديد. لقد كان للورنس في الثورة العربية واجبها، الأول حسن مستشار للقائد العام الجنرال اللنبي في الشؤون المتعلقة بالثورة العربية بصورة عامة وبالجيش الشمالي بصورة مخصصة. والثاني أن يبقى متصلاً بالامير فيصل ليجعله مطمئناً للصداقته البريطانية وحسن نيتها ووفاتها للعرب وأن يدخل في ذهن أنه كلا أحلام العرب في ولائهم ومساعدتهم لبريطانيا أزداد اضطرارهما للوفاء لهم بعهودها وتقديم المزيد من معوناتها وصداقتها. ولهذا أصبح
من الضروري إبعاده بعد أن تغيرت المعادلة.

الأمر الثاني الذي شرعت به بريطانيا كخطوة أولى في سبيل تطبيق مخططها الاستعماري هو تقسيمها القطر السوري إلى ثلاث مناطق، ففلسطين تحت الحكم البريطاني العسكري المباشر، جنرال بريطاني، والسواحل السورية تحت إدارة حاكم فرنسي، وداخل سوريا إداره عربية يرأسها الأمير فيصل وجميع هؤلاء الحكام يتبعون القيادة البريطانية بصورة نحو مؤقت لبلاد العدو المحتلة. وكان هذا التقسيم وهذه التعينات تنطبق بصورة واضحة لا تقبل الشك على أنها شروط لتطبيق معاهدة سايكس – بيك والتي أصبح أخيرا مفوضهما ومعلوما للجميع، وأول عمل قام به الجنرال لنبي هو جلبه للقوة الفرنسية التي كانت في حيشه إلى بيروت وطرد المفرزة العربية الصغيرة التي وصلت إليها وانزال العلم العربي عن البلدي الحكومية. ومن هذه الحادثة بدأت الأخطاء السياسية والعسكرية العربية تتعاقب.

الخطأ السياسي

إن أول الأخطاء التي ارتكبها فيصل والتي جرّت خلفها سلسلة من الأخطاء، هي قبوله بهذا الإجراء الذي أعلنه الجنرال لنبي عن أنه قرار مؤقت لإدارة شؤون بلاد العدو المحتلة إلى أن يثبت بها في مؤتمر الصلح. فكما أن فرنسا أقامت الدنيا عندما رفع العلم العربي على سارية دار الحكومة في بيروت وطلبت إلى الجنرال أنزله لأن ذلك يخالف الاتفاقية معها، كان يجب على فيصل أن يقيم الدنيا أيضاً لأنها مخالفة لمعاهدة بريطانيا مع الحسين، لأنها تدخل على البداية بتطبيق تلك المعاهدة المشؤومة التي عملت بريطانيا كل ما في وسعها لإنكار وجودها. فسكت فيصل على هذا الإجراء ليس له معنى سوى
الضعف وعدم الاستعداد للحزم. وأخيراً الاستعداد للقبول به،
الأمر الذي جرأ الانكليز للإقدام على خطوات أخرى ثم
اعترافهم بوجود تلك المعاهدة ثم مداوراتهم حول ما جاء في
معاهدتهم مع الحسين.

لم يكن في معاهدة الحسين مع بريطانيا أي غموض فيما
يكفي باستقلال البلاد العربية لا من حيث الاستقلال الناجز
ولا من حيث الحدود. أما النقاطان اللتان ترك حلهما لم بعد
الحرب، وما مصايح الانكليز في بغداد والبصرة ومصالح
الفرنسين في لبنان فهي للمذكرة بأمر هذه المعاهدة وتسويتها
لا من أجل الساوية على استقلال البلاد ووحدتها، فلم تؤدي
الحساسين دارت وروست على استقلال البلاد العربية الشرقية
ومعها واستقلال سوريا الطبيعية ووحدتها بما فيها فلسطين.
اما معاهدة سايكس - بيكو فهي استعمار واضح وتجزئة بل
تفتتت ليس له مثيل في التاريخ.

كان على الملك حسين وفيمهل أن يتخذ هذا الإجراء الذي
قامت به الحكومة البريطانية بتطبيق تلك المعاهدة موقفاً حازماً
لا يقبل الشك ولا التزديد وأن يجاهزها بعزمهما وإصرارهما على
مطالبتهما بتنفيذ ما اتفقا عليه مع الانكليز ومواد السكوك عن
إي إجراء يخالفه. وبما أن طرد المفرزة العربية من بيروت
وإنزال العلم العربي جرى قبل وقوع الهدنة بينما كان الجيش
العربي لا يزال في طريقه إلى حلب. فكان على فهم السكر بمجرد
وقوع الهدنة بعد أيام من ذلك الحدث أن يجمع جيشه
الشمالية بجسره (وهنا الجيشه الذي كان يقارب 25 ألفاً من
الجيش التركي) في المنطقة الشرقية المواجهة للسواحل السورية
بما يجعل بريطانيا فرنسا تشعران أن العرب مصممون على
الاستمرار في القتال في سبيل حقهم ومستعدين لفتح باب
القتال مع أي جبهة كانت في هذا السبيل.
رب سائل يقول: هل كان بإمكان هذا الجيش الصغير مقاتلة الإنكليز والفرنسيين؟ يجب على ذلك أن كان بإمكانه التغلب على ذلك الجيش الفرنسي دون صعوبة، وأن الإنكليز لم يكونوا في ذلك الوقت مستعدين للدخول بحرب مع خليف لهم قاتل بجانبهم وله معهم معاهدة من أجل إرغامه على قبول ما يخالف جميع ما أعلنوه للعالم من أن حربهم مع الألمان كانت من أجل تحرير الشعوب، وكانت تلك البيانات لا تزال تتن في آذان العالم، وإذا فرضنا أنهم قرروا إرغام العرب بقوة السلاح، فما هو إذاً الموقف الصحيح الذي كان يجب عليه أن يتخذه؟ لقد كانوا أمام أمرين: اما أن يتخلى عن موقفهم كناضلرين عن حريتهم ويقبلوا أن يصبحوا أبطالاً مقاتلين في سبيل حريتهم وكرامتهم، ولو فعلوا ذلك لما وصل الأمر للقتال، لقد تبين من المحفوظات السريّة البريطانية التي كانت تدور في تلك الأوقات والتي نشرت أخيراً أن الحكومة البريطانية كانت تسعى مع حليفتها فرنسا لإلغاء معاهدة سايكس - بيك وكانت ترغب أيضاً في الوقوف عند أغلب النصوص فيما يتعلق بعهد بلفو، ولو لم تمس من العرب هذا الموقف الضيف الالتزام، لما ضعفت أمام الفرنسين واليهود للحد الذي وصلت إليه.

إن بريطانيا لم تخط خطوطها الثانية في سبيل تنصلها من معاهداتها مع العرب إلا بعد أن رأت تلك السهولة في خطوطها الأولى بتقسيمها البلاد إلى المناطق التي جرى عليها الاتفاق في تلك المعاهدة وتبين لها بأن تحولها عن اتفاقها مع العرب سيكون أسهل عليها من تحولها عن معاهدتها مع الفرنسيين وعدها لليهود، ولها نجحت بريطانيا بخطوطها الأولى اقتنعت على خطوطها الثانية بأن كلفت الملك حسين بصفته حليفاً أن ينتدب عنه إلى مؤتمر الصلح من يمثله، واقترحت عليه أن يكون هذا
المندوب الأمير فيصل بالذات وكان لها في ذلك قصدان: الأول أن يشاركوا معهم في تنصيلهم مما أربطوا به مع الحسين سائر الدول المشتركة في المؤتمر، والقصد الثاني هو تحويل الأمير فيصل من صفته كقائد ناجح لأحد جيوش الحلفاء إلى متدرب سياسي لم يسبق له ممارسة السياسة واعي بها، فالفرنسيون رفضوا استقباله في باريس كأمير ابن ملك الحجاز والبريطانيون لم يسمحوا له أن يدخل معهم في حوار بشأن معاهدتهم مع والده للحد الذي يصلوا فيه إلى تكراها.

وهكذا أصبح الأمير فيصل بهذا الموقف متدرباً سياسياً ساهم من أجل استقلال سوريا غير المعترف به (استقلال الحجاز كان مبتوتاً به) بعد أن كان قائداً لأحد جيوش الحلفاء المنتصرة يحمل الزيادة العربية معترف بها، وهكذا نزلوا به (من حيث لا يدري) من مرتبة القائد المنتصر المتحمس العتبر بنضاله إلى مرتبة المستنبط لحقوه، ومع مرور الأيام واستمرار هذا الموقف الضعيف تعوده، فأثر على حماسه كقائد عسكري منتصر لجعل منه سياسياً ضعيفاً يحاول أن يستخلص الحق من أبرز وأقوى السياسة العاليين لأقوى الدول الاستعمارية في ذلك الزمن.

ذهب فيصل إلى الغرب عن رأس وفد ليمثل والده المعترف به دولياً ملكاً للحجاز ولكنه بواقع معاهدته مع الانكليز التي شملت مصالح الجزيرة العربية بصورة عامة والثروتين العراقي والشامي بصورة مخصصة جعلت منه ممثلًا ومتكلماً باسم هذين القطرين، إذاً ذهب هذا الوفد ليدافع عن حقوق العرب وطلب تنفيذ ما تعاهد عليه والده مع بريطانيا التي بدأت تتضح نواياها بالنكول عما تعاهدت عليه. ومعاهدة سايكس - بيكو التي اقتسمت بموجبها قطري العراق والشام والتي كانت يخفف أمرها قد أصبحت معروفة وبدأوا بتطبيقها دون تحفظ.
فهذا الوفد الذي ذهب للدفاع عن حقوق تتعلق بمستقبل سائر عرب الشرق والذي سيجد نفسه أمام أعمام سياسيين عصرهم المتصرامن كما ذكرنا يتالف من الأمير فيصل الذي لم يسبق له ممارسة السياسة مع الأجانب ولا يقبل له إجراء مفاوضات من هذا النوع وثقافته العامة لا تساعد على الدخول في حوار سياسي مع هؤلاء السياسيين المحترفين الذين مارس كل منهم السياسة ومسؤوليات الحكم منذ عشرات السنين، كويلد جورج وكيركوز وينفيسور وغزيرة من الانتكاز وكليمتوس وغيره من الفرنسيين. أما مستشاريه أو أعضاء وفده رستم حيدر وعوني عبد الهادي وجمال مزيد فقد كانوا لا يزالون شباباً تخرجوا من جامعة باريس خلال الحرب أو قبلها بقليل، والطبيب أحمد قدري تخرج قبلهم بقليل. أما فائز الغصن وهو خريج كلية الحقوق العثمانية فإنه لم يمارس في حياته الوظيفية أكثر من عضوية محكمة في أحد الأقضية. والأمر المهم الذي جعل فيصل يميزهم ويجعلهم من مستشاريه هو كونهم من حزب الفتاة. انتني لا أقصد بما ذكرته الحز من شأن أي واحد منهم ولكنني أقصد أنهم في ذلك الوقت من فيهم الأمير فيصل لم تكتم معلوماتهم ولا توسعت مداركهم بما فيه الكفاية للقيام بهذا العباب الكبير الذي يلي على عاتقهم. وفيصل الذي كان عليه في الدرجة الأولى مفاوضة بريطانيا لم يكن في وقتها لا هو ولا أحد من مستشاريه يعرف اللغة الإنجليزية ولم ي箝ص محط مترجمة لم يروها. وأما أن يصل إلى باريس ثم إلى لندن الحق بأورنس (اسمهز من موظفي وزارة الخارجية البريطانية) الذي أصبح له الدليل والشريحت والمستشار والصديق، بوجهه إلى الطريق الذي يتلاحم مع الخطة البريطانية. كان من الخير للمصلحة العربية أن يتكون الوفد الذي سيسأل إلى المؤتمر الصلح من رئيس وأعضاء تتلامع كفاءتهم العلمية وممارساتهم السياسية على قدر الإمكان مع
المهمة التي سيضعطمون بها كمفاوضين باسم الحسين (صاحب المعاهدة) وأن يكونوا مرتبطين به لتقون تعليمات منهما، فال حسين عليكم بمراحل مفاوضاتهم وابتدأ عليه ويشعر بحساسية كبيرة تجاه المسؤولية التي أخذها على عاتقه بخروجه على السلطان أمير المؤمنين في سبيل استقلال العرب، فال حسين مخلص للقضية العربية التي أصبحت قضيته التي ترتبط بها سمعته وشخصيته قبل أي شخص آخر، وهو عديد ومتمceil وصلب في سبيلها بما فيه الكفاية ورفوق الكفاية، فكان يجب أن يبقى الحسين وحده المهيمن على المفاوضات وأن يبقى الأمير فيصل على رأس جيشه الشمالي يدعم هذا الوفد بهذا الجيش الذي يجب أن يقوم خلال المفاوضات بتسهيله وتحقيقه بتشكيلات شعبية وتوعية قومية تشتمل جميع طبقات الشعب، وبذلك يبتعد أيضاً عن الخطط التي ارتكبها بقبوله العرش خلافاًً لأي والده الأمر الذي شجعه عليه الفرنسيون ولم يثنوه عنه الأناكوند.

والغلاف الثالثة هي: انتهاء الأمر فيصل ونائبه الأمر زيد إلى جمعية الفتاة وتعمين الوزراء وكبار الموظفين من هذه الجمعية، لقد سبب هذا الإجراء إعطاء الحكم صفة الحزبية مما أفسح في المجال للتحرك في الوقت الذي كانت فيه البلاد في أشد الحاجة لوحدة الكلمة، فالحزب مهما كثر عدد أعضائه فإنهم يبقون أقلية ضئيلة يوجهها عدد من الأشخاص ممن لا يخرجون عن كونهم بشراً لكل منهم مزاياً من قوة وضعف ونحن كامة خلفية قد استنفقت لتروح من غفوتها الطويلة جداً تحت حكم جاهل ظالم، لا تزال تحاول فتح مNSErrorها وهي تحت تأثير فرحة الانتفاضة والشعور بالشخصية فقد أضاءت أزائها، تصرف لكل من بدعتين عواطفها. وفي مثل هذه الحال يكون الانتهازيون الذين يعرفون أن أقرب الطرق التي توصلهم إلى
مصائبهم هي إرضاء ممن يبيدهم الحكم، والحكام في بلادنا عادة لا يرتاحون للمعارضة والانتقاد، فكل من يعارضهم خصم مهما كان مخلصاً في نسего وكل من يؤيدهم صديق مهما كان قصده وهم ما كان مضيئ، ويمثل هذه الحالة بجد الحكام أنفسهم تحت تأثير دوري التصفيق فيظلونه التأيد من أكثرية الشعب، كما يظلون سقوط الشعب الذي تعود الصبر على الضيم سقوط الرضي. وهكذا يبقى الحكم في بلادنا تحت تأثير المتناقضين والإنتهازيين وضعائف التفوس بعيدين عن أكثرية الشعب الذي يمارسون الحكم باسمه. وبهذه الصورة قام أول حكم عرقي من قبل أشخاص لم يسبق لهم الاضطلاع بمصاويلة الحكم قلم يحسنوا لتأسسته لا تسبيها، وتحت تأثير حزب مختلف، زعماء السنوات العشر الماضية يطالبون بالإصلاح دون أن يكون لديهم تخطيط لما بعد الاستقلال، واعطت الأولية في أسلوب الحكم للعاطفة وليس للعقل ورفع الشارع إلى مقام القيادة. وهو أمر له ما له من مخاطر.

- عدم التخطيط

لم يكن لهذا العهد خططت عريضة مدرسة من قبل أخصائيين وخبراء في الأمور السياسية والعسكرية والاقتصادية لتكون بمثابة الغاية القصوى التي يسعى للموصول إليها بشتى الطرق، ولذلك أصبحت البلاد موتوكية لتأثير الأفكار والأمواء المختلفة للأشخاص والأحزاب والباراجوال وضغط الأحداث، وبذلك انتفعت الآب واسعاً أمام الدساسيين والعملاء لأشعة الشك والتردد.

من الاخطاء أيضاً - عدم دراسة أوضاع الأقليات الدينية والعنصرية بصورة علمية ومعالجة أوضاعهم وإزالة ما علق بنفوسهم من جراء ما مر بهم في العهد التركي.
اهمال الخونة والعمالاء: لقد أورثنا الحكم التركي مئات الآلاف من العناصر الموالية للأتراك والخلافة، هذه العناصر التي لم تهضم بعد الحكم العربي كالأتراك والشرق والألبان، وغير هؤلاء كان مئات الآلاف من العرب الذين لم يهضموا بعد قيام الثورة العربية مع الحلفاء ضد الأتراك المسلمين. فمن خلال هذه العناصر التي تمثل نحو نصف الشعب السوري وجد الفرنسيون والإنكليز طريقهم إلى شراء العمالاء والجواسيس وإشاعة الفوضى والترديد وعدم الثقة بين الشعب والجيش. وقديم أصبح هؤلاء من الكثرة بحيث وجد منهم من كان يشغل أكبر الوظائف وبعض الوزارات والحكومة تدري بيدم ولكنها اتبعت معهم سياسة المداراة وعدم المبالاة حتى تفاقمت خطرهم وكانوا في استيلاء الفرنسيين على سوريا الداخلية أكثر فائدة لهم من جيشهم، وإذا امتننا النظر في مجري الأحداث التي تعاقبت فإننا نجد أن هذا الاستيلاء قد تم بجهود العمالاء والجواسيس لا بجهود جيشهم فقط ونتيجة إهمال المسؤولين وضعفهم في مكافحة هؤلاء الخونة.

الخطاوات العسكرية

أولها الخطط الكبرى التي ارتكبها في هذا العهد وهي إلغاء جيش الثورة الذي تكلمنا عنه ونوهنا أن المسؤولين عن ذلك هما باسين الهاشمي الذي اقترحه وال الأمير فيصل الذي وافق عليه. إنها أكبر غلطة ارتكبها الأمير فيصل (كما اعترف بذلك فيما بعد) والتي كانت السبب الأول في خسارة موقعة ميسلون، وبالتالي السبب في زوال الحكم العربي من سوريا، لقد أبلغ جيش الثورة دون داع وهو جيش منظم كان يحارب منذ سنوات وكان منتصرًا في جميع المعارك التي خاضها ضد الأتراك الذين كانوا يفوقونه بالعدة والعدد. لقد تشكل هذا
الجيش وتجمع لغاية وطنية فاقتجم الصعاب والأخطار في سبيلها فتحملها وتقدم بها من نصر إلى نصر حتى وصل بها إلى هدفها الأول قاست للعدو والصديق اهليته وقدرته، وكانت العناصر التي يكون منها هي أول الأسباب في امر توفيقه ونجاحه، فطبيعة تجمع هذه العناصر وطبيعة الأخطار التي تلازم طريقة تطوعهم وإلتحاقهم بعملهم كانت تجعل منهم بصورة عفوية مجموعة نظيفة، مخلصة ومتهمسة وقد ربط كل منهم مصيره ومقدرته بمصير هذه الثورة القومية. لقد الفي ليشكل عوضاً عنه جيش جاء ضباطه من قنوات الجيش التركي المنهزم، أكثريتهم لا يتحسسون الشعور القومي ولا تزال العشائية تملأ عقولهم وقلوبهم، لقد الفي الجيش الذي ختم الحرب بالغلبة والانتصار ليشكل عرضه جيش بضباطه ختموا الحرب بالهزيمة والانكسار.

لقد أطلقت يد الهاشمي في قيادة الجيش بصورة مطلقة ليس لها مثيل فكان بإمكانه أن يفعل ما يشاء بدون معارضة، وقد اضطاع بأمر هذه القيادة منذ دخول الجيش العربي إلى دمشق في 1 تشرين الأول 1918 حتى يوم اعتقاله من قبل بريطانيا بتاريخ 22 تشرين الثاني 1919 أي 13 شهراً و27 يوماً وهي القسم الأكبر من المدة التي استمر فيها الحكم العرقي، وكان يصرح خلال ذلك أن بإمكان الجيش مساعدة الفرنسيين والتوفيق عليهم.

ولكن عندما حان وقت الجدل قال بعدم إمكان صمدته أمام الجيش الفرنسي لأكثر من ساعتين، ولا ساله ساطع المصري عن سبب التنافس بين قوليه إجابه أن الأحوال قد تبدلت منذ ترك الجيش.(1) ولا أوشكت أن تقمع المواجهة وكاف أن يكون

(1) كتب د.ديمو سليم الحسني.
ضابط ركن للأمير زيد في قيادة الجبهة رفض وأبقى أن يتحمل المسؤولية.

نحن لا نقول أن الهاشمي فعل ذلك عن سوء قصد، فالهاشمي كان وطنياً متخيساً ولكنه كان معقداً وضيع موفق لا في إلغائه لجيش الثورة ولا في تشكيكه جيشاً بديلاً فأبقى البلاد بلا قوة تدافع بها عن كيانها، واعتقد أنني لا احتج إلى دليل إذا قلت أن الهاشمي لم يكن بالكفاءة التي تتلاعما مع المسؤولية التي انيطت به. ريم ما يكون أول من يقول هذا في حق ياسين الهاشمي ولكن أن الواقع هو الذي يقول ذلك والآخرون بنتائجها بقي الهاشمي في سوريا بعد دخول الفرنسيين ولم يرافق الملك في مبارحته لها، كما فعل غيره من العراقيين لأنه كان مشغولاً بإكمال البايطة التي كان قد شرع ببنائها في مملكة عربوس. وناذب بعد تصفية أعماله إلى العراق. كان الأمر فعال قد أصبح ملكاً فيها وكلف قائد جيشه الشمالي في الثورة جعفر العسكري رئيسي نوري السيد بن تأسيس الجيش العراقي فأسسهم ووفقهما بذلك أي توفيق وكان خبر الجيوش في الشرق الأوسط في ذلك الوقت. وابتعد الهاشمي عن العمل في الجيش وزالت عنه عقدته التي تكملوا عنها وأصبح الزعيم السياسي الأول ورئيسيًا للمعارضة. وأقام واستند وسنوي كيف ختم حياته السياسية بما ختم به حياة العسكرية رحمه الله. لقد استمر الحكم العربي لمدة 22 شهراً و34 يوماً، وكان الهاشمي كما ذكرنا بيضطلع بقيادة الجيش خلال أكثر هذه المدة فما إذا فعل وواجبه الأصلي هو تهيئة وسائل الدفاع؟

لم يكن الشعب السوري في وقت من الأوقات مستعداً مقاومًا ومعنوياً للقيام بواجبه الوطني بالمقاومة الذي كان مستعداً له في ذلك الوقت. كانت البلاد صالات بالأسلحة والعتاد الذي تركه
الجيشان التركي والألماني عدا ما سرب إليها طيلة أيام الحرب، وكانت الحالة الاقتصادية حسنة من جراء الأموال (واكثرها بالعملة الذهبية) التي تدفقت إليها من الانكليز والآشراك والألمان في السنة الأخيرة من الحرب. وكان الشعب السوري الذي تخلص من كابوس الحكم التركي قد دافع طوع الحرية وبدأ يشعر بشخصيته ويراهبه في الدفاع عن وطنه. ولا أدرى على ذلك من ثورات التي قامت في المناطق التي احتلها الفرنسيين. ففي كانون الأول 1918 أي بعد أقل من شهرين من احتلالهم قامت ثورتان انطاكية وجبيل عامل وبعد ذلك ويفصل شهرين واحد، تعاقدت ثورتا جبل صهيون وجبيل العلويين ثم تعاقبت بعدها ثورات الشوف والبقاع والحلوة وتل كله والزاوية بكر تخاريم. اندلعت هذه الثورات متفرقة كل واحدة على حدة ويقيادات مختلفة. ولم يكن المسؤولين في الحكومة العربية يد لا في إثارةها ولا في تنظيمها إلا في بعض المساعدات التي لا تكاد تذكر (باستثناء عصابات البقاع التي مر ذكرها والتي كان واجبها الأول مقاومة العصابات التي شكلها الفرنسيين من بعض الأنصار اللبنانيين. فهذه العصابات أمر بتشكيلها وشرف عليها الأمير زيد بنفسه).

وإنا، ويكثير من التواضع، أرى أنه من حقي أن أهاد بي وقد خضت الحروب النظامية وتصف النظامية وحروب العصابات خلال ثمان وعشرين سنة وقد شاركت في مجهود هذه الحقبة التي تتكلم عنها ووعشت جميع نواحي نشاطاتها في أماكنها المختلفة، أرى أنه لو تهاب النبلاء في ذلك الوقت قيادة عسكرية لرجل شجاع ذي موهبة واستعداد وعزم وقدر تلك الامكانيات العظيمة للشعب فوجد جهوده ونظم أموره كانت النتائج على غير ما صارت إليها ولكن الحال في فلسطين على غير ما ألت إليه.
الحرب منذ أن عرفت لا تكتسب بالعدد والعدة فقط، بل بالتدبير والقوة المعنوية قبل القوة المادية. وامامنا مثال يطبق على وضعنا في ذلك الوقت وهو ما وقع في العراق. في تلك الحقبة نفسها (1921) لم يكن اعتراف الإنجليز في سنة 1921 باستقلال العراق وعدولهم عما كانوا مبتنين له من استعمار مباشر وربطه بالهند الهدنة نتيجة لثورته التي قام بها في سنة 1920. أن الجيش البريطاني الذي دحر أمامه الجيش التركي حتى الحدود التركية كان لا يزال في ذلك التاريخ مرتبطاً في العراق. وعندما قام الشعب العراقي بثورته هذه كان قد خرج حديثاً من الحرب وهو فقير ومنهول القوة ليس لديه سوى القليل من السلاح القديم، لقد كان بعضهم يقاتل بالسهام والصواريخ، والمسدسات، فقد اتهموا الألوية من الجنود البريطانيين وأكثر من عشرة من الحكام السياسيين. لقد كانوا تحت حكم عسكري قاس ومباشر، ولكن الشعب العراقي كان قد عول على المقاومة والقتال في سبيل تحرير بلاده. فشيوع العشائر في الريف ورؤساء الدين في المدن والقصبات وبعض الشباب والضباط اتفقوا جميعهم على العمل فاستعملوا جميع ما كان لديهم من وسائل وإمكانات قليلة مثبنته في مكانتهم ومساكنهم والقيادة العسكريين في خيامهم وداخل معاركهم، أحرقوا الطائرات وهي جائحة في مطاراتهم، وسلقوا إلى المراكب الحربية في الأنهار فذبحوا طواقمها وهم في أسرتهم، وكمروا للقطاعات خلال تنقلها في الطرق وباغتهما ليلًا ونهارًا في المعسكرات. لقد اتفق الجميع على الجهاد في سبيل الله والوطن ومن شهد منهم قتلوه حتى أصيب معرفة أن الرجل إنما يكون مقاتلاً مخلصاً، أو موالياً مساعد، أو مقتولاً.

لم يتمكن الإنجليز أثناء هذه الثورة أن يجدوا لهم في العراق سياسياً أو ضابطاً أو عملاً واحداً يتعاون معهم لا من العرب
ولا من الأفتقادات الدينية والعنصرية لا إنشاء الثورة ولا بعدها (عرا بعض الآشوريين) وبهذه الطريقة التي يفهمها الغربيون لجبر العراق ببريطانيا على اللجوء إلى فيصل وتكييفه بعرشها فاشترط عليهم ما اشترط، وهكذا حصل العراق على استقلاله قبل أي قطر عربي آخر (ما عدا الحجاز).

ان الشعب السوري لا يقل عن أخيه العراقي شجاعة ووطنية ولذا يذهب بعيداً وامساً مثال في الثورات العديدة التي قام بها، ولنغضب على ذلك مثلًا بحدها وهي ثورة جبل العلويين التي قام بها ذلك الرجل والبطل العظيم الشيخ صالح العلية، لاعتقادنا أنها تمثل النموذج الكامل لإمكانية الشعب السوري واستعداده للتضحيه والفساد إذا ما تحقق ذلك له القيادة الخالصة. وفيها أيضًا النموذج الكامل الامثل للقائد الذي قاد ثورة على أقوى دولة في ذلك الوقت على قلعة منه في العدة والعدد، قادها لمدة اثنين وثلاثين شهراً بكريم سجاياه ونبيم مزاياء وشجاعته وقوة إرادته وصدق عزيمته ومتانة خلقه ونبله وكرمه وقوة شخصيته وفائه العسكرية، لقد تفوق على جميع من قاتلهم من القادة والجنرالات العسكريين برسخ خطط المعركة التي كان لا ينقصها شيء من قواعد القتال المقررة في فتن الحرب، كان جديدي الإرادة شديد المراس في أعماله وشؤونه الحربية وكان متدينًا عليه اللقية والإيمان بهما، ويدفع منه جهاده في سبيله، انثى لم يبلغ في وصف مزايا هذا الرجل العظيم ولا أضافت إليه من عندي شيئاً. عندما بدأت بدراسة ثورته التي استمرت أكثر من سنتين ونصف السنة على قلة وسائلها وقوة وشرسة خصمها قمت افتتش من سر هذا الاستمرار وذلك التشويق الذي رافقها، فقهرت أكثر ما كتب

(2) من هذه المدة أحد عشر شهراً، وإن لم تأدي يوماً بعد سقوط دمشق بيد الفرنسيين.
عنها وسألت بعض من شارك فيها أو عاصراها. أقول أنني فتتشت عن ذلك السر فوجدته في شخص الشيخ صالح العلي وفي مزاياه التي ذكرت بعضها.

لقد كان للشعب العلوي جميع المزايا التي يتمتع بها سائر العرب من شجاعة وإيمان وصبر وتحمل وطاغية في سبيل الله. ولكن هذه المزايا عند العلويين كانت مغطاة بطبقة كثيفة من الجهل وعقدة الشروط بالظلم وضياع الثقة بالنفس وجمالهم. وبعد التقسيم بالمشاركة الوطنية خارج حدود جبلهم. فصالح العلي هو الذي ازاح عنهم هذه الغشارة وأيقظ فيهم تلك المزايا الخارمة في قرارة نفوسهم فأظهراها وإعادتها إلى ما كانت عليه من سجايا عربية تساهم في جهادهم في سبيل الله.

لعل البعض لا يعلم أن قيادة الثورات أصعب من قيادة الجيش. فقدان الجيش تتؤن له لاحتياجات من أسلحة ومهمات و رجال عن طريق التنظيم الحكومي. أما في الثورات فتأسست كل ذلك يقع على عاتق قائد الثورة علاوة على مسؤولياته في إدارة المعارك.

وفي ثورة صالح العلي درس للقيادة العسكريين والزعماء بأن الوسائل والأسلحة الحديثة من طائرات ودبابات ومدافع ليست كل شيء في تأمين الظهر، فإن لحسن التدبير والشجاعة والقادم والإيمان والصبر الفؤاد الأول في ذلك وكلها تأتي من شخصية القائد.

- انعدام الضبط: لقد خدمت بعض الوقت في اللواء الأول من الفرقة الأولى في دمشق وكان هذا اللواء النموذج الذي كانت عليه حالة الجيش. لقد كان الضبط والربط والتدريب مقيداً في جميع قطاعات الجيش وجميع هذه الصفات تكاد أن تكون صورية لا وجود لها. والجيش الذي تعدد فيه هذه الصفات لا
يكون في مقدرته قتال أي جيش مهما كان دونه في العدة والعدد فكيف إذا كان يتفوق عليه بهما، ولذلك فهذا الجيش لم يقاتل الفرنسيين أبداً في حلب ولا في حمص واما في ميسلون فكان قتاله كما قرره في الصفحات السابقة إذا كنا نعتبر ذلك قتالاً.

- عدم مكافحة الجواسيس والعملاء داخل الجيش وتركهم يسرحون ويمرجون عليناً في داخل القطعات وكان عدد كبير منهم من الضباط يعملون دون تحفظ ولا خوف حتى أن قسماً منهم (كما ذكرنا ذلك) كان يعلن أنه مسجل عند الفرنسيين ويتضخي منهم رابطاً لرتبته. وكان أحدهم برتبة كبيرة ومرافقاً للملك وأمره هذا كان معروفاً لدى الملك والقيادة.(3)

- عدم تنظيم وتسيير قوات الشعب: لقد كان معظم الشعب مسلحاً ومتحمساً فلم تقم القيادة بتنظيمه وتسييره وتسليم الضباط طالب كافيين من مختلف مناطقه عوضاً عن بقائهم متسكعين في الوظائف وبعض التشكيكات التي لا فائدة منها، بالرغم من الثورات والانفاضات التي كانت تتعاقب منفردة.

(3) راجع كتاب يوم ميسلون الحمصي.
<table>
<thead>
<tr>
<th>الاسم</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>إبراهيم، رشيد</td>
<td>182</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو الرضوان، خليل</td>
<td>187</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو ناجي، سعيد</td>
<td>188</td>
</tr>
<tr>
<td>الفؤاد، مصطفى كمال</td>
<td>191</td>
</tr>
<tr>
<td>الأنصاري، عمر</td>
<td>194</td>
</tr>
<tr>
<td>الأنصاري، حسن</td>
<td>196</td>
</tr>
<tr>
<td>أحمد بك (الشريف)</td>
<td>198</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو، ناجي</td>
<td>198</td>
</tr>
<tr>
<td>إرستان، أمين</td>
<td>201</td>
</tr>
<tr>
<td>إرستان، عامر</td>
<td>206</td>
</tr>
<tr>
<td>أفرام (الكولونيل)</td>
<td>206</td>
</tr>
<tr>
<td>إسماعيل، محمد</td>
<td>212</td>
</tr>
<tr>
<td>إسحاق، يوسف (الخوري)</td>
<td>219</td>
</tr>
<tr>
<td>الأشلي، جميل</td>
<td>226</td>
</tr>
<tr>
<td>اللنبي (الجنرال)</td>
<td>230</td>
</tr>
<tr>
<td>بسيار، توفيق</td>
<td>232</td>
</tr>
<tr>
<td>بشرو (الكمبيوتر)</td>
<td>234</td>
</tr>
<tr>
<td>بيكو، جورج</td>
<td>236</td>
</tr>
<tr>
<td>بيهم، أمين</td>
<td>240</td>
</tr>
<tr>
<td>بيهم، جميل</td>
<td>241</td>
</tr>
<tr>
<td>الإيوبي، شكري</td>
<td>242</td>
</tr>
</tbody>
</table>
(ت)
تحسن بك (الشريف) 125
الخيميسي، مرنيسي 143، 144، 174، 175
الخيميسي، أمين 172
الخيميسي، سعيد 88
الخصمي، حسني 171
الخصمي، حمزة 171
الخصمي، شريف 171
الخصمي، سعد 171
الخصمي، محمد 171
الخصمي، مهدي 171
الخصمي، عاصم 171
الخصمي، سامي 171
(ج)
الجابري، إحسان 185، 189
الجابري، سعد الله 196
الجابري، أبو الخير 124
الجابري، ياسين 176، 178
الجروج، دعاس 88
الجازاري، سعيد 17، 116
الجازاري، عبد القادر 15
الجمسي، نزي 77
جمال بلقابل 31، 116، 117
جمال بلقابل (الشريف) 184
جلال الدين 114
جعفر، أحمد 50، 100، 205
جعفر، رفيق 94
جعفر، محسن 78
(ج)
الخزاعي، صعصعي 183، 187، 196
199
الخليفي، إبراهيم 88
الخليفي، عبد القادر 77
الخليفي، فؤاد 49
الخوري، فارس 114، 116، 118، 170
خليفة، خليل 170
(ح)
الحاج حسن، محمد 108
حادي باشا 99
حادي باشا، سليم 71
الحراكي، حكيم 87
حرفوش، جورج 88
الحسيني، مسلم 77
الحسيني بن علي (الشريف) 15، 16، 11
الدعاوق، عمر 17
داعوش، إبراهيم 62
الدروبي، علاء الدين 116، 117، 186، 187، 188، 189
دروزة، حسن 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93
الدروبي، شريف 87
الدرباني، عبد الله 182، 183، 184، 185
دوبارتو (المركزي) 185
ديبلي، د. 70
ديبلي، د. 70
ديكرين (الكولونيل) 146

(ق)
الراوي، إبراهيم 43
رقص الله، جبريل 116
مسلس، موضوع 87
شبلان، عبد الرحمن 88
ولنها، رشيد 88
الراكبي، رياض 115، 124، 132، 135
الراكبي، رياض 115
رمضان، حسن 88
رومي، محمود 88

(م)
الزكيلي، خضر الدين 196
الزكيلي، حسن 88
الزكيلي، عبد الفتاح 89
 أهم emploi، فايز 99، 88، 87

 الشهابي، فؤاد 26

 شهابي، عبد الكريم 126، 119

 شهابي، عبد الرحمن 124، 118، 117

 الشمودي، يحيى 89

 الشويني، النايس 108

 (ص)

 الصبان، حسن بخي 134

 صدقي، بكر 141

 صدقي، بكر 133

 الصفار، أسامة 141، 134

 الصلاح، رضا 126، 119

 الصلاح، رضا 88

 الصلاح، عقير 88

 الصلاح، مختار 88

 الصليبي، سعيد 88

 (ط)

 الطالب، محمد أسامة 141

 الطالب، شكري 141

 الطالب، طاهر 88

 الطالب، رشيد 74، 68، 196

 الطويل، صبحي 68

 (ع)

 العابد، مازر 23

 العابد، مازر 134، 124

 العابد، مازر 129

 العابد، مازر 88

 العابد، مازر 127، 129

 العابد، مازر 88

 عبد العظيم (الشيخ) 88

 عبد العظيم 196

 الرحب، علي 21
المؤلِّف: شكري القوتلي

الخادم، فائز
200.20

غلام، مراد
88

غزوه (الجنرال)
145, 147, 152, 156, 158, 180, 185, 188

غزو (الجنرال)
111, 112, 113, 115, 118, 130, 135, 136, 137, 138, 139, 141, 143, 145, 146, 147, 150, 152, 156, 157, 158

99

اللهام، أحمد
140, 264

لفظ الله، ميشيل
68

لبس، يوسف
77

لورنس
27, 28

اللهام، أحمد
140, 264

لافظ الله، ميشيل
68

لبس، يوسف
77

لورنس
27, 28

قاسم، عثمان
197

قاسم، محمّد
136, 149, 170, 180, 183, 185, 188, 190, 192, 193, 195, 198

قاضي
212

قدسي، ح))/ (الأمير)
148

dırdııı (العذر)
88

القتلجي، عبد الحميد
114
نيجر (الكولونيل) 132
فيوت (النس) 196

مردم، جميل 264 196
الرجيني، جمال باشا 15
المرشدي، ناجي 87
مريد، أحمد 24
مشاقة، أمين 70
مشاقة، ابراهيم 70
ملتون، أمين 43
هانئ، توم 88
ماران (المسيحي) 139
مستحثي، جورج 90
متوو، ولي 71
مور، لويس 90
ميهيج، نسيم 70

ناصر بن عسل (الشريف) 164 272 264 448 494 655 182 184 186 188
ناصر، ترفيق 199
ناصر، إسماعيل 196 172
نجيب، صباح 196
الدحوي، عبد الرحمن 88
بديع، محمود 77
التشاطشي، راغب 88
نصيف، سليمان 70
نعمة، مصطفى 134
نفاع، رشيد 88
نور، فاس 70
ثوري، بيات الدين 138
القابي، حكيم 87
ميسنر، هي ولاية إحدى معرفة العرب.
ال حين والحديث حولها واستمر في الزمن وسعت معركة ثم تمحو بنحو ال
بدر عاصمة عربية دورة قتال معركة النصر
في التفاصيل.
صحي العصر يضغط عربي حاضر تلك
القراءة. وكتب دراسته عنها لوجدنا في
التفاصيل التي ربما كما تجملها حتى
الساعة قد توقف في كتب من أثره
والتحقيق. وقد لا توقفه ولكننا لا نستطيع
إلا أن نعرف أهمية هذه الدراسة.
فالمشتهي للتاريخ العربي الحديث.
ميسنر وفازر، ميسنر التفاصيل.
بين هذه وتلك، بسنداد المؤلف إلى موضوع شيق.
وهم
To: www.al-mostafa.com